محمد حسنين هيكل

بين الصحافة والسياسة

قصة (ووثائق) معركة غربية في الحرب الخفية!

Bibliotheca Alexandrina
0030342

بين الصحافة والسياسة

الناشر : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
تلفون ٣٤٤٢٤٦ تلكس ٢٢٦٦١
ص.ب ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

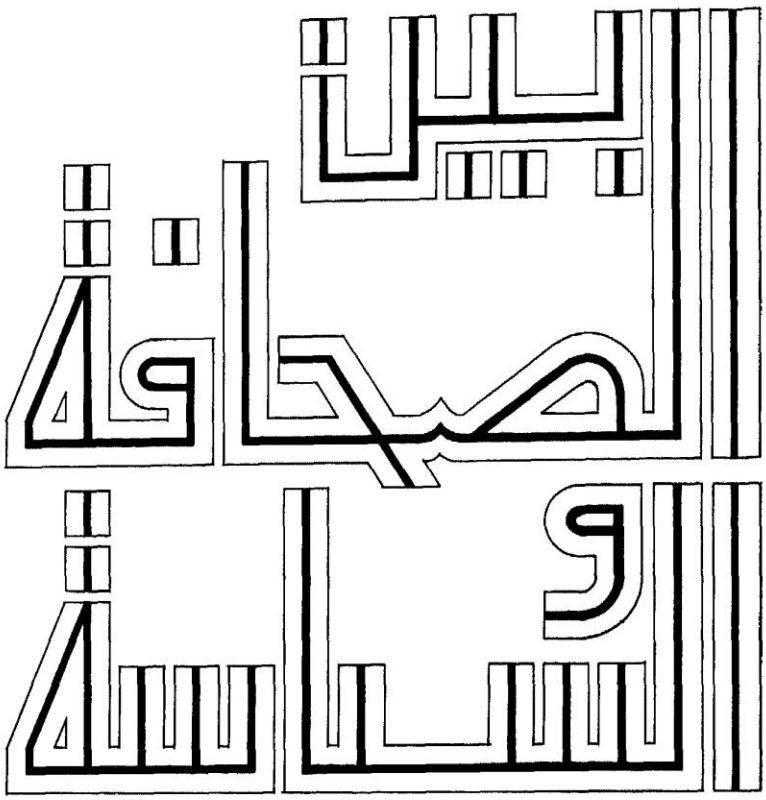
الليلة الصاخبة
قصّة (وَوثائق) مَعركَة
غرْبيّة في الحرب الخفيّة!

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة ١٩٨٥

الفصل التاسع
صاعقـــة تنقـــــض

كنت بالطبع أطلع الاستاذ مصطفى أمين علي ما يصلني من توأمه . وبالتأكيد فقد كان هو من ناحيته على اتصال به بوسيلة أو بأخرى .

وكان « غداء كل يوم ثلاثاء » مستمراً لاثنين بدلاً من ثلاثة ، وان اضطررت للتخلف عنه مرات لظروف أو لتحرج خصوصاً بعد طلب جمال عبد الناصر « بالتحفظ » !

وبدت لي الأمور سائرة في مجراها العادي . وبدأت أستعد للسفر الى لندن . وحين وصلت مطار هيثرو كان الاستاذ علي أمين في انتظاري . ولاسبوعين كاملين أكاد أقول أنه لم يفارقنا طول الوقت ، وحتى حين ذهبت الى ارتباطات بمواعيد مع شخصيات سياسية أو صحفية كان يرافقني الى حيث أذهب وينتظرني حتى أفرغ مما لديّ ثم يعود معي الى حيث أقصد بعدها .

وذهبنا معاً مرات الى مسارح ومتاحف ومطاعم . وحتى عطلة نهاية الاسبوع قضيناها معا ، فقد أصر الاستاذ علي أمين على أن نذهب معه الى ضاحية مارلو نتمشى في الاحراش الخضراء على ضفاف نهر التيمز .

وجاء معنا الى مستشفى مورفيلد حيث أجرى الطبيب الاخصائي أول كشف على عيني ابني ثم طلب عدة اختبارات قبل أن يقرر نهائياً في شأن الجراحة . ومضت الأيام وفكرت لحظة في أن أبعث للرئيس جمال عبد الناصر

أرجوه أن يأذن لي في التأخير ، فقد كنت قبل سفري وعدته بأن أعود قبل احتفالات ٢٣ يوليو. لكن رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر اليّ نقلتها لي السفارة سبقت فعلاً رسالة كنت أنوي أن أبعثها اليه عن نفس هذا الطريق .

كان يريدني أن أحضر الى القاهرة قبل يوم ٢١ يوليو لكي أشترك في اعداد خطابه السنوي الكبير في عيد الثورة . وشاورت الاستاذ علي أمين في مأزقي وكان رأيه . « أن أعود الى القاهرة لما أنا مطلوب على الفور من أجله ، وهو بدلا مني هنا حتى يبت الطبيب في أمر ابني على نحو أو آخر ، وعلى أية حال ففي خلال يومين أو ثلاثة أستطيع أن أعود الى لندن اذا جد ما يدعوني الى العودة » .

وسافرت يوم الثلاثاء ٢٠ يوليو وهو في وداعي في المطار حتى أقلعت الطائرة الى القاهرة ـ مطمئنا الى أنه بدلا مني في رعاية ابني حتى يبت طبيبه برأي .

ويبدو أن الطبيب بت برأي في نفس اللحظة التي ركبت فيها الطائرة ، فقد اتصل من المستشفى يقول أن الجراحة لازمة وأنه يفضل أن يجريها غدا . وقد كان .

وأبلغت حين وصولي الى مطار القاهرة في الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٠ يوليو أن الرئيس جمال عبد الناصر ينتظرني عند الظهر تماماً في بيته .

وصباح الأربعاء٢١ يوليو ذهبت مبكراً الى مكتبي في الاهرام وراجعت بعض ما استجد في غيابي ، ثم اتصلت تليفونياً بلندن واذا من يقول لي أن الجميع في المستشفى . واتصلت بالمستشفى واذا العملية قد أجريت بنجاح ، وعرفت أن الاستاذ علي أمين موجود بالمستشفى وطلبت أن أتحدث اليه لاطمئن زيادة منه . وجاء الاستاذ علي أمين الى التليفون وراح بشكل قاطع يؤكد لي أن كل شيء تم على ما يرام ، بل وأكثر من ذلك فانه ناول سماعة التليفون لابني وسمعت صوته بنفسي وتنفست الصعداء . وخرجت من « الاهرام » قاصداً بيت جمال عبد الناصر بعد أن طلبت الى مكتبي أن يرتبوا حجز مقعد لي على

الطائرة المسافرة الى لندن صباح بعد غد الجمعة ـ يوم ٢٣ يوليو ـ ورحت هادىء الاعصاب الى حد كبير أعد نفسي لمقابلة الرئيس وأفكر في موضوعات حوارنا حول خطابه في ٢٣ يوليو .

□

ودخلت غرفة المكتب في بيت جمال عبد الناصر في الساعة الثانية عشرة ودقيقتين ، وكنت متشوقاً لاخبار مصر وأخباره ، وكان يريد أن يعرف مني أخبار لندن الخاص منها والعام . وكان حميماً كعادته ، فقد أبدى أسفه لإنه انتزعني من هناك ولم يكن في باله أن هناك جراحة لابني هذا اليوم ، ورويت له ملابسات ما حدث وأنني عائد باذن الله بعد غد . ثم حدثته عن مقابلاتي في لندن وملاحظاتي على ما رأيت وسمعت . واستغرقنا هذا الحديث نصف ساعة أو أكثر قليلا ، ثم ركزنا الحديث حول خطابه المقبل . وأخذنا الوقت . وفجأة دق جرس التليفون في مكتبه وتوجه اليه من حيث كنا في ركن من القاعة تطل نافذته على الحديقة . ولم يكن يتكلم وانما كان يسمع . ولم يستغرق وقتاً طويلاً على التليفون ، فما لبث أن قال لمحدثه بهدوء : « طيب » . ثم وضع السماعة وعاد الى حيث كنت أجلس . وكنت قد نظرت إلى ساعتي عند قيامه استجابة لرنين التليفون وكانت الساعة الثالثة الا ثلثاً بعد الظهر .

واستقر مرة أخرى في مقعده أمامي ، ثم أشعل سيجارة جذب منها نفساً عميقاً وأحسست أن فكره تحوّل عما كنا نتكلم فيه ، ثم قال لي وصوته يحمل نبرة حزم وأسف في نفس الوقت :

ـ « انني سأقول لك الآن شيئاً أعرف أنه سوف يضايقك . . . »

ثم استطرد « لقد قبضوا الآن على مصطفى أمين متلبساً بالتجسس للأمريكان . . . » .

وعقد الذهول لساني وتساءلت غير مصدق لما سمعت : « غير معقول » .

وقال : « ذلك ما حدث مع الأسف » .

وقلت والذهول ما زال مستبداً بي : « سيادة الرئيس . . انني لا أفهم تماماً ما تقوله لي ؟ . . » .

وراح يقول بنفس النبرة التي يختلط فيها الحزم والأسف :

ـ اسمع . . . انني أريدك أن تعرف بشكل واضح أن الموضوع كبير وخطير وأنا لا أريدك أن تحتكم فيه الى مشاعرك الشخصية .

« أنت تعرف أولاً أنه كانت هناك شكوك ، ومن ناحيتي فاني طرحت هذه الشكوك جانباً وأعطيت فرصة جديدة ، ولم أعط فرصة واحدة وانما أعطيت عشرات الفرص، وكان آخرها موافقتي على سفر علي أمين الى لندن مراسلاً للاهرام . ولقد وافقت وأنا أعلم أن مصطفى متورط في أشياء ، لكني لم أمانع في سفر علي لأني من ناحية لم أجد شيئاً قاطعاً عليه ، ومن ناحية أخرى لأنك كنت تلح . ولقد وافقت على ضبط مصطفى بعد أن رأيت من الادلة والوثائق ما جعلني ـ بكل أسف ولكن بكل ضمير مستريح ـ أوافق على العملية . ليس لديّ ما يدعوني الى تلفيق تهمة لرجل قابلته مرات عديدة وقرأت له ما كان ينشره وما كان يتطوع بارساله لي . وأنت تعرف أنه لم يكتب منذ اليوم الأول للثورة وحتى الآن الا تأييداً لكل خطوة قمت بها . وحتى لو كان قد اختلف معي في شيء فأنا لا أضيق بخلاف في الرأي ، وعلى أي حال فذلك لم يحدث وأنت تعرف . وعلى فرض أنه اختلف معي وعلى فرض أنه عارض فلم تكن بي حاجة الى تلفيق تهمة له » .

كنت أستمع اليه بصمت ويبدو أن التعبيرات التي بدت على وجهي وأنا أسمعه تقلت اليه رسالة لم ألفظ بها ـ واستطرد :

ـ لا أريدك الآن أن تقول شيئاً . . . أريد منك شيئاً واحداً ، أن تخطو الآن عبر الشارع الى مكتب سامي شرف وأن تطلع بنفسك على الملفات والاوراق وتستمع الى التسجيلات الصوتية . ثم فكر على مهل فيما سوف

تقرؤه وتسمعه . ثم نم عليه هذه الليلة وعد الى هنا في الصباح . . . وساعتها يكون من حقك أن تقول لي ما تشاء » .

ولم يترك لي مجالاً لتعليق . قام الى المكتب ورفع سماعة التليفون يصدر أمره الى السيد سامي شرف ـ سكرتيره للمعلومات في ذلك الوقت ـ يطلب منه أن يطلعني على كل شيء .

وبخطى مثقلة بهموم نازلة مشيت. . . . قطعت مدخل البيت وعبرت الشارع وصعدت الدرجات القليلة المؤدية الى مكتب السيد سامي شرف في المبنى المقابل لبيت جمال عبد الناصر .

وتلقاني السيد سامي شرف مرحباً بعودتي من السفر ثم راح مجاملاً يقول لي من العبارات ما ظن أنه يخفف عليّ وقع ما تصور أنني أشعر به ، ثم دعاني الى فنجان قهوة ريثما يفرغون من جلب الملفات والاوراق واعداد جهاز تسجيل أسمع عليه « الشرائط ». وقال لي انه أخلى غرفة قريبة أجلس فيها دون أن يقاطعني أحد ولا هو .

دخلت الغرفة في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تقريباً . . . وخرجت منها في الساعة الثامنة مساء .

دخلتها مهموماً وخرجت منها ممزقاً .

□

كانت الغرفة التي دخلتها بجوار مكتب السيد سامي شرف غرفة اجتماعات تتوسطها مائدة تحيط بها مقاعد . على المائدة كان هناك جهاز تسجيل والى جانبه عدد من الاشرطة من ناحية ، ومن ناحية أخرى عدد من الملفات .

وسألني السيد سامي شرف عما اذا كنت أريد أن أبدأ بسماع التسجيلات . وقلت إنني أفضل أولاً أن أقرأ الاوراق . وقال انه سيترك واحداً

من مساعديه قرب باب الغرفة اذا احتجت إلى شيء : فنجان قهوة أو كوب ماء أو تشغيل جهاز التسجيل - وتركني وحدي وخرج .

وأمسكت بأول الملفات . كان عنوانه من الخارج « هيئة الامن القومي » . ثم اسم : « بروس تايلور أوديل » ، ثم رقم مسبوق بمجموعة حروف ، وفي الداخل مجموعة من التقارير تروي بداية قصة بدت لي مثيرة ، ومزعجة [1] .

والقصة - من واقع الملف - تبدأ من أول سنة ١٩٦٤ ، وترسم بدايتها صورة نشاط مكثف لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في مصر . فالعلاقات بين مصر والولايات المتحدة تسوء والاسباب كثيرة : الحركة المصرية النشيطة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في اطار تيارات التحرر الوطني وعدم الانحياز، ثم الحرب في اليمن، ثم الضغط المصري على المملكة العربية السعودية كأثر من آثار التواجد العسكري المصري في شبه الجزيرة العربية (في اليمن والجنوب العربي وعدن) ، ثم رفض مصر قبول اقتراحات أمريكية بتحديد حجم جيشها وحجم اهتمامها بالتسليح والانتاج الحربي وبالذات في الطائرات والصواريخ .

وسوء العلاقات وصل الى ما يشبه صراع ارادات بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الامريكي ليندون جونسون؛راح الرئيس الامريكي بسببه يهدد بوقف مشتريات مصر من القمح الامريكي . وصحبت ذلك دلائل تشير الى أن المخابرات المركزية الامريكية تلقت تعليمات بالعمل على نطاق واسع في مصر ، أولا لجمع معلومات ، ثم للبحث عن ثغرات في النظام ، ثم للترتيب لعمليات في الداخل اذا سنحت فرصة مواتية .

ويظهر اسم « بروس تايلور أوديل » لاول مرة في القصة من خلال تقرير من مندوب سري لهيئة الامن القومي في أثينا - عاصمة اليونان - يقول كاتبه إن

---

(١) حاولت أن أستوعب الصورة وأحدد ملامحها فرحت أكتب أهم النقط فيما أنا أقرأ ثم أسمع ، فقد كنت في البداية أتصور (برغم أية انفعالات) أنني سأناقش ما أقرؤه وأسمعه بعد ذلك مع الرئيس جمال عبد الناصر .

معلومات وصلته بأن أحد رجال المخابرات المركزية الامريكية واسمه «بروس تايلور أوديل » قد رشح للعمل في مصر ، وأنه سيجيء اليها تحت ستار أنه مستشار في السفارة الامريكية في القاهرة [1] .

تاريخ هذا التقرير ٦ مارس ١٩٦٤ . لكن تقارير تلته تضم تحريات جرت في مصر أظهرت أنه لا يوجد في هيئة السفارة الامريكية في القاهرة شخص يحمل هذا الاسم . وفجأة في شهر أغسطس ١٩٦٤ ظهر « بروس تايلور أوديل » في مصر بدرجة مستشار في السفارة الامريكية في القاهرة .

ويصدر أمر بمتابعته ورصد كل اتصالاته بمنتهى الحرص لانه خبير مدرب .

ومن أغسطس ١٩٦٤ حتى نوفمبر ١٩٦٤ تشير مجموعة تقارير رقابة منظمة الى أن « بروس تايلور أوديل » يتصرف بطريقة عادية ـ كأي دبلوماسي آخر يحضر الحفلات التقليدية ويجري اتصالات لا تثير شبهات ويقوم بنشاط مألوف .

وفي الفترة من ديسمبر ١٩٦٤ الى مارس ١٩٦٥ تتخذ اتصالات « بروس تايلور أوديل » نسقاً محدداً ، ويتكرر ظهور اسم الاستاذ مصطفى أمين في عداد من يقابلهم .

ثم تبدو بعد ذلك في التقارير ظاهرة ملفتة للنظر (وضع أحدهم في هيئة الامن القومي تحتها خطا بالحبر الاحمر) فقد أصبحت اللقاءات بين الاثنين ـ الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » ـ دورية ـ غداء في يوم الاربعاء من كل أسبوع ـ ووحدهما بدون أي شخص آخر ، وفي بيت الاستاذ مصطفى أمين في شارع صلاح الدين بالزمالك . ثم ان هذه اللقاءات كانت تحاط

---

(١) ظاهرة استخدام الغطاء الدبلوماسي لرجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية معروفة ، وقد أظهرت تحقيقات الكونجرس في أعمال هذه الوكالة سنة ١٩٨٢ أن أكثر من ٤٠٪ من الدبلوماسيين في السفارات الامريكية ـ في العالم الثالث خصوصا ـ هم من رجال هذه الوكالة .

باجراءات للتمويه ، منها أن « بروس تايلور أوديل » كان ينزل من سيارته في شارع بعيد عن شارع صلاح الدين ويتركها هناك ويمشي على قدميه ثم يدخل العمارة التي يسكنها الاستاذ مصطفى أمين ويضغط زر المصعد على دور آخر غير الدور الذي يسكن فيه الاستاذ مصطفى أمين ، ثم يصعد أو ينزل السلم على قدميه الى مقصده النهائي .

وطلبت هيئة الأمن القومي في ٢٩ مارس ١٩٦٥ أن يؤذن لها بوضع أجهزة تسجيل في بيت الاستاذ مصطفى أمين للتحقق مما يجري في هذه الاجتماعات الدورية المنظمة . ويبدو أن الموضوع بدا أكبر من اختصاص أي مسئول في المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج الى قرار سياسي ، وهكذا فان هيئة الأمن القومي لم تحصل على الاذن الذي طلبته الا في ٢٦ ابريل سنة ١٩٦٥ . ويبدو أن وضع أجهزة التسجيل السرية في بيت الاستاذ مصطفى أمين اقتضى هيئة الامن القومي أسبوعين تقريباً لأن الملفات لم تضم أول اجتماع بين الاثنين جرى تسجيله الا بتاريخ يوم الاربعاء ١٢ مايو ١٩٦٥ .

وبعده اجتماع في يوم الاربعاء ١٩ مايو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢٦ مايو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ١٦ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢٣ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٣٠ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٧ يوليو .

وكانت هناك مجموعة ملفات صغيرة بعد ذلك يضم كل منها مجموعة من الاوراق تحتوي على ملخص لوقائع الاجتماع المسجل بين الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » ، وكان عدد هذه الملفات الصغيرة ثمانية على واجهة كل منها تاريخ الاجتماع وتوقيت بدايته ونهايته من واقع التسجيل .

وتركت هذه الملفات الصغيرة أعود اليها فيما بعد لكي أقرأها أثناء دوران جهاز التسجيل حتى أستطيع مضاهاة الاصوات والاقوال فيما أسمعه وما أراه مكتوباً أمامي .

وكانت هناك بعد ذلك في الملفات مذكرة من رئيس هيئة الأمن القومي

مقدمة الى رئيس المخابرات العامة يطلب فيها الاذن بضبط الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » أثناء اجتماعهما القادم « بعدما أظهرته التسجيلات من خطورة المعلومات التي يقدمها الأول للثاني ، الى جانب الطريقة التي يتم بها ذلك . فقد كان ظاهراً من التسجيلات أن أوديل يجيء كل مرة ومعه قائمة مكتوبة بأسئلة يريد اجابات عليها ، الامر الذي يضع اللقاءات كلها في اطار عملية « تخابر » لا شك فيها » .

ويبدو مرة أخرى أن الأمر كان أكبر من اختصاص أي مسئول في المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج الى قرار سياسي ـ فان الاذن تأخر . . . . كان طلب الاذن يوم ٨ يوليو ١٩٦٥ ولم تحصل هيئة الأمن القومي عليه الا في ١٨ يوليو ١٩٦٥ .

وهكذا فان الورقة التالية لهذا في الملف كانت خطابا بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٥ موجها من رئيس هيئة الأمن القومي الى رئيس نيابة امن الدولة العليا ـ نصه كما يلي :

هيئة الأمن القومي

السيد رئيس نيابة امن الدولة العليا

بعد التحية ،

نحيط سيادتكم ان السيد مصطفى امين ـ مصري الجنسية ـ يعمل رئيس تحرير الاخبار ، يقيم في ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك ـ الدور السادس ـ الشقة ٦٢ وفي فيللا تقع في ٢٦ شارع الاسماعيلية المتفرع من طريق الحرية بالاسكندرية .

وقد دلت تحرياتنا السرية ان المذكور يقوم بالتخابر والعمل لحساب المخابرات الامريكية في القاهرة والعمل ضد امن وسلامة الدولة يعاونه في ذلك آخرون . وسيجتمع المذكور مع مندوب المخابرات الامريكية الحالي في القاهرة

سعت ١٤٠٠ يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٥/٧/٢١ في احد العنوانين اللذين يقيم فيهما المذكور والموضحة عاليه .

برجاء التكرم باتخاذ اللازم قانونا لضبط هذا الاجتماع وتفتيش هذين العنوانين كذا مكتبه في « مؤسسة أخبار اليوم » بشارع الصحافة بالقاهرة وضبط أي أوراق أو مستندات تفيد التحقيق كذا أي أشياء ممنوع حيازتها قانونا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

١٩٦٥/٧/٢٠ (امضاء)

رئيس هيئة الامن القومي

□

انقضى عليّ ساعة وعشر دقائق وسط هذا الهم الثقيل كله . ولحظة بعد لحظة كنت اشعر انني اتنفس بصعوبة . ومع ذلك فقد بقي لديّ خيط اتعلق به وهو التسجيلات نفسها . ماذا يمكن ان يكون فيها ؟ ثم الا يمكن ان يكون ما فيها كلام عادي مما عساه ان يدور بين صحفي ودبلوماسي ،ثم جاء منطق الامن القومي والمخابرات فحمل المسائل فوق ما تحتمل ومن ثم اساء التفسير والتأويل ؟

وعدت الى الملفات الثمانية التي تحوى تلخيص ما دار في الاجتماعات الثمانية التي جرى تسجيلها ، وبينما انا اتصفح اولها فتح باب الغرفة ودخل السيد سامي شرف يسألني «هل اقتنعت»؟ . قلت انني ما زلت بعد أقرأ وسوف ابدأ في السماع وفي يدي ما لخصته الاوراق من الشرائط .

وقال السيد سامي شرف : سوف تسمع اشياء غريبة . مصطفى ينقل ضمن ما ينقله الى «الراجل» اخبار واحاديث منسوبة إلى سيادة الرئيس ويدعى انه سمعها من سيادته بنفسه . وكان الاثنان حين يتكلمان عن الرئيس يسميانه

«ر» الحرف الاول من « رئيس » وستجد ان مصطفى رتب للمخابرات الامريكية ان تتصل بعلي في لندن لكي يعمل معهم هناك » .

ثم استطرد السيد سامي شرف : « حينما قبضوا عليه ظهر اليوم كان هناك مبلغ خمسة آلاف جنيه مصري . قبل ذلك سوف تجد في الاشرطة ان مصطفى سلم « للراجل » مبلغ عشرة آلاف جنيه ، ولا بد أنه كانت هناك مبالغ اخرى قبل أن تبدأ التسجيلات . »

حين كشفت التسجيلات مسألة «الفلوس» لاول مرة تصورنا أن مصطفى يقبض من «الراجل» ثم اكتشفنا ان مصطفى ايضا يعطي للراجل مبالغ ليحولها له بوسائله الى بنك في الخارج لان مصطفى كان يريد اخراج امواله كلها من مصر » .

ثم يواصل السيد سامي شرف الحاحه :

ـ هل تستطيع ان تفسر لي لماذا يقبل مندوب المخابرات وممثلها في السفارة الامريكية ان يقوم بعملية تهريب لصالح احد ؟ المفروض في رجل المخابرات في السفارة ان يتوارى وان لا يلفت الانظار اليه وان يتجنب اكثر من غيره اي مخالفة لقوانين البلد الذي يعمل فيه . لا بد ان مصطفى كان مهما جداً « للراجل » بحيث يقبل أن يقوم لحسابه بتهريب أمواله من مصر » .

ورجوته ان يتركني مع الشرائط وان يترك معي احد معاونيه لكي يتولى تشغيل الجهاز لاني لا أنوي ان اسمعها بالكامل . . . وانما اريد ان اسمع عينات من كل شريط في الوقت الحالي على الاقل ، لان سماعي لها جميعاً سوف يبقيني هنا الى الصباح . .

□

وبدأ الشريط الأول يدور على الجهاز :
اصداء فارغة ثم صوت يسأل عما اذا كان أحد قد سأل عنه في غيابه ،

وصوت يجيب . لم يخالجني شك في أن السائل هو الاستاذ مصطفى أمين فانا لا استطيع ان اخطىء صوته ، ثم ان المجيب هو «صادق» رئيس الخدمة في بيته وانا اعرفه حق المعرفة فقد كان من قبل رئيس الخدمة في بيت احمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكي السابق ، وعندما قتل احمد حسنين في حادث سيارة استقر صادق في بيت الاستاذ مصطفى أمين .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرحب بزائر سبقه الى بيته وانتظره حتى وصل ، ولم يكن هناك شك في أن الصوت واللغة واللهجة لامريكي - « بروس تايلور أوديل » بالطبع .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يتحدث عن احد الصحفيين العاملين معه ويقول : لقد اعطوه اجازة مفتوحة . لم يرغب في كتابة مقالات شيوعية فاقصوه . تصوروا انني ساعترض على اقصائه ومن ثم يتمكنون من ابعادي ، لكني اظهرت عدم الاهتمام . « قال لي انهم يريدون ابعادي «ر» اتصل بي اليوم الساعة ١٠ صباحاً وابلغني ان الدكتور القيسوني تقابل مع السفير . «ر» طلب من القيسوني ان يفهم من السفير نواياكم عن القمح . يظهر ان القيسوني متفائل .

أصوات متداخلة ثم صوت أوديل يسأل الاستاذ مصطفى أمين : سننتقل الآن الى موضوع جديد . وصوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : نعم . وعاد صوت أوديل يسأل : هل فهمت من « ر » أنه على استعداد لبحث تسوية في اليمن ؟ . ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين ان « ر » قرر لي أنه يبحث عن حل يحفظ للجيش كرامته بحيث لا تعود القوات وهي تشعر أنها انهزمت . « ر » أبلغني أن أحداً لا يستطيع أن يكسب هذه الحرب .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين يروي عن « ر » : علمت من « ر » أنه اتفق مع عارف على قطع العلاقات مع ألمانيا وأن سفارة سويسرا في بون سترعى مصالح العراق هناك . سفارة أفغانستان سوف ترعى مصالح مصر . لن تكون هناك اجراءات أعنف من ذلك ضد ألمانيا الغربية .

العلاقات ستعود بعد شهور والغرض من العملية كلها اظهار التضامن العربي .

يتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين : هناك مسألة مهمة . كانت هناك سيارة قادمة من السويس الى الاسماعيلية . سيارة عسكرية فيها عدد من الضباط . أوقفت عند الكيلو ٢٥ ، وعند تفتيشها وجدوا فيها ٢٤١ كيلو ديناميت . الكونستابل الذي ضبطها كان يعتقد أنها تحمل حشيش . رقم السيارة ٣٩٠٣٦ .

واكتفيت من الشريط الاول ورجوت مساعد السيد سامي شرف الذي كان جالساً أمامي صامتاً كأنه تمثال ـ أن يتفضل بإيقاف الجهاز وأن يضع الشريط الثاني عليه .

. . . . . .

. . . . . .

دار الجهاز مرة ثانية بالشريط الثاني :

أصوات متداخلة . صوت الاستاذ مصطفى أمين وصوت بروس أوديل في نفس الوقت يتبادلان ما بدا أنه حديث اجتماعي ، ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : معلوماتي من « ر » أننا سنطلب شحنة أسلحة جديدة من روسيا . يبدو أن ذلك سيتم عند سفر وفد مصري للاشتراك في احتفالات موسكو . هناك اتفاق أيضا على دعوة كوسيجين (رئيس الوزراء السوفييتي وقتها) . مبدأ الدعوة اتفق عليه والتاريخ لم يتحدد بعد .

صوت بروس أوديل يسأل : لدينا تقرير عن مقابلات المشير عامر مع زعماء قبائل « جهم » في اليمن لكن هناك فجوة في تحركات عامر . لا نعرف ماذا كان نشاطه في أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٣ ، فهل تستطيع أن تتحرى أين كان في هذه الأيام الثلاثة ؟

صوت بروس أوديل يعود للكلام : « أين صدقي محمود (قائد الطيران وقتها) لم يظهر له أخيراً نشاط » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « كان في موسكو » .

صوت أوديل : « هل عاد عن طريق الشرق الاقصى » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « نعم وفي الغالب عن طريق الصين » .

تداخلت الاصوات ثم استبانت وصوت الاستاذ مصطفى أمين يسأل أوديل : « هل جرى تحويل النقود » ؟ . وصوت أوديل يجيب « سوف أسأل » . ثم يعود صوت الاستاذ مصطفى أمين يتحدث « قابلت الملحق الصحفي الانجليزي وطلبت منه ان يرتب لي موعداً مع السفير . الملحق قال لي انهم سعداء لسفر علي أمين للخارج » .

صوت بروس اوديل : « هل يعرف علي علاقتك بنا » ؟ ويرد صوت الاستاذ مصطفى أمين « لا بد ان تتصلوا به في لندن » . تداخلت الاصوات ثم استبانت مرة اخرى على صوت اوديل يقول « سوف نرتب ان يتصل به آرشي روزفلت . المهم ان تتم اتصالات بينهما خارج لندن لكي لا يعرف الانجليز . . . . » .

واكتفيت .

. . . . . .

. . . . . .

وانتقلت الى الشريط الثالث

تداخل اصوات ثم صوت أوديل بوضوح : « هل تمكن ماكلويد من زيارة مصنع ٦٣ » ؟ ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين بما لم استطع تبينه . ثم ظهر صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول « على بنك ميدلاند في لندن . الحساب باسم علي » .

ثم صوت أوديل يسأل : « هل اتصل بك « ر » او اتصلت به ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « نعم . اتصل بي يوم الخميس » .

صوت اوديل يسأل : « ما هي أخباره ؟ » .

يرد صوت الاستاذ أمين : « قال لي ان الحالة المالية سيئة جداً وانه سوف يخصص ١٥ مليون جنيه اعتماداً اضافياً للجيش . وان هناك اقتراحين على مكتب وزير التموين ، واحد بشأن رفع ثمن الخبز او خلطه،والثاني بشأن رفع قيمة منتجات البترول ، ولم يتخذ بعد قرارا في هذا الشأن » .

صوت بروس أوديل : ألم تتحدث معه عن الانفجارات التي وقعت لخط انابيب البترول في ليبيا ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « نعم سألته . فهمت منه ان الذي قام بالعملية عزت سليمان [1] واستعان هناك بمجموعة من ضباط ناصر .

صوت بروس أوديل : « ماذا ايضا ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « هو يحاول اقناع السوفييت بتقصير مدة تنفيذ السد العالي . « ر » قال لي ان علي صبري كتب للسوفييت في هذا الموضوع دون اخطار صدقي سليمان » .

. . . . . .

. . . . . .

وطلبت الانتقال الى الشريط الرابع :

صوت بروس أوديل يسأل : « هل لديك تأكيد لنبأ أن عامر ذهب الى اليمن ؟ » ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لا لم يذهب » . وعاد صوت بروس أوديل يسأل « ما هو مصدرك لكي تؤكد على هذا النحو ؟ » . ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين « مصدر موثوق به . جدا « شمس بدران » . قابلته في بيت الموسيقار محمد عبد الوهاب مساء يوم الاربعاء الماضي » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل هناك قوات اضافية ذاهبة الآن لتعزيز

---

(١) احد كبار المسئولين في المخابرات المصرية وقتها .

القوات الموجودة في اليمن » ؟ وصوت الاستاذ مصطفى أمين يجيب « نعم » . ويعود صوت أوديل يسأل « ما هو مصدرك ؟ » ويرد الاستاذ مصطفى أمين : « نفس المصدر » شمس بدران . حاول أن يغطي فقال أنها مجرد عملية استبدال قوات » .

. . . . . .

. . . . . .

وطلبت أن أنتقل الى الشريط الخامس ، ورجوت أن أسمعه قرب نهايته من باب التنويع :

بقايا حديث ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : الرئيس العراقي عارف مريض وناصر كلف عشرة أطباء بفحصه ، ومن المحتمل أن يكون مصاباً بالسرطان . وعرفت أن الدكتور حسن أبراهيم قال لـ « ر » أنه لا بد من اجراء عملية خطيرة للرئيس عارف ، واقترح أن يجريها الطبيب الانجليزي تانر لانه ليس في امكان طبيب مصري أن يقوم بها .

صوت خشخشة أوراق ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : تقابلت مع عبد الحميد السراج[1] وقال لي أنه قلق بالنسبة الى الشيوعيين. عندما يقرأ جريدة الاخبار يشعر أنها شيوعية ١٠٠٪ ، وكذلك آخر ساعة وروز اليوسف ، وهو يرى أن ذلك يسيء كثيراً الى المصريين في الدول العربية ، وطلب السراج مني أن أنقل هذا الحديث لـ « ر » . السراج قال لي أنه منذ ١٩٥٩ لم ينضم شيوعي واحد الى الاحزاب الشيوعية العربية لكن منذ أن دخل الشيوعيون الصحف انضم عدد كبير منهم الى الاحزاب الشيوعية . السراج يشعر أن « ر » يستهين بالنشاط الشيوعي ويتصور أنه يمكن القبض عليهم جميعاً ، لكن سلاح الصحافة يمكن أن ينشيء أو يتسبب في ظهور خلايا سرية جديدة غير معروفة . السراج قال لي انه ذهب الى سفارة الجزائر في القاهرة وفوجيء بأن جميع المصريين العاملين بالسفارة شيوعيون » .

---

(١) كان وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الجمهورية في سوريا أثناء الوحدة .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل تعرف شيئاً عن الرسالة التي جاء بها رئيس حكومة سيلان السابق » ؟ . صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لا » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل لديك شيء عن رحلة صدقي محمود » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد بشيء لم أستطع تبينه .

صوت بروس أوديل يسأل : « ما هو رد الفعل على المقال الذي نشر في نيويورك تيمس حول عدد القوات المصرية في اليمن وأنها وصلت إلى مائة ألف » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « الرقم قد يكون قريباً من الحقيقة » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل تستطيع أن تحصل على نسخة من نص كلام « ر » في الاجتماع السري للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي ؟ »

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « أعتقد أن مندوب الأخبار في البرلمان لديه صورة كاملة وسأحصل عليها منه » .

. . . . . .

. . . . . .

وانتقلت الى الشريط السادس :

صوت الاستاذ مصطفى أمين يسأل من اللحظة الأولى : هل تم التحويل الى لندن ؟ . وصوت أوديل يجيب : « نعم تم كل شيء والباقي سيتم » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لقد وقع انفجار في مؤخرة المدمرة المصرية « القاهـر » . الانفجار وقع داخل المدمرة وقتل فيه عدد كبير جداً من الضباط والجنود . هناك ٤٥ جريحاً كثيرون منهم حالتهم سيئة ، كانت هناك

على المدمرة ذخائر لم تنفجر وألقوا بها في البحر . هذه المدمرة أحسن مدمرات الاسطول البحري » .

صوت أوديل يسأل : « أين وقع الانفجار ؟ في ميناء الاسكندرية أو في أي ميناء آخر ؟ »

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « سحبوها من الاسكندرية » .

صوت أوديل يتساءل : غريبة لو كان هذا الانفجار وقع في الاسكندرية وصل الينا من مصادر أخرى لنا هناك .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : اهتمام المسئولين كان ينحصر في الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر في الارواح .

صوت بروس أوديل يسأل : « متى كان آخر اتصال بينك وبين « ر » ؟ .

وردَّ صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : يوم ٢٩ ، وكان قلقاً لاحساسه بتغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه البلاد ، وقال لي إنه منذ شهر أغسطس الماضي حين انتهت خدمة « جون بادو » سفير الولايات المتحدة السابق في مصر ، شعر أن المعونة الامريكية لمصر سوف تقطع ، وأن العلاقات السياسية في عهد كنيدي كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالي (جونسون) الذي تغيرت فيه العلاقات تغيراً كبيراً . واستعملوا سياسة القوة ولم يقابلها أي تصد من جانب الاتحاد السوفييتي الذي بدا متخوفاً ، وسنكون نحن الضحايا لهذا الخوف » .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« ر » لم يتصل بي يوم الأحد ٣٠ واتصل بي يوم ٣١ وقال لي انه قابل محجوب (رئيس وزراء السودان) ، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من محمود رياض (وزير الخارجية المصرية) يتضمن أن محجوب أعرب له عن استيائه من تغلغل العناصر الشيوعية في الصحافة المصرية وخوفه من أن يؤثر

ذلك على الشعب السوداني ، وأنه يعتقد أن المخطط الشيوعي هو الاستيلاء على الثورة السودانية ثم الاستيلاء على الثورة المصرية » .

يتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« محجوب يروي فضائح كثيرة عن تصرفات زعماء الكونجو الثوريين في السودان . وصل منهم بأسلحتهم ٣٠٠ أو ٥٠٠ . هذا الرقم دقيق » .

ودخل صوت الاستاذ مصطفى أمين في تفاصيل من الكونجو وما يجري فيه ، وطلبت الانتقال الى موضع آخر من الشريط تنتهي عنده حكايات الكونجو . . .

صوت الاستاذ مصطفى أمين :

موضوع مهم جداً . « ر » أبلغني في حديث تليفوني أمس أنه تم اكتشاف خلايا سرية في وحدات المشاة بالجيش المصري وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد .

صوت بروس أوديل يسأل : هل قابلت صديقك الكولونيل أخيراً ؟ .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « لا » .

صوت بروس أوديل يقول : هل تستطيع أن تجعل « ر » يشعر أن حكومة الولايات المتحدة مستاءة من الاتجاه الشيوعي الظاهر في الصحف المصرية ؟ ان ذلك سوف يكون مجديا ولكن لا تقل ما هو أكثر » .

ثم تطور حديث الاصوات الى ترتيب اتصالهم بعلي أمين في لندن ومن يقوم بهذا الاتصال وكيف ؟ ويتضح من التسجيل أن الاستاذ مصطفى أمين يكتب خطاباً باللغة العربية يحمله « آرشي روزفلت »[1] الى علي أمين في لندن كدليل تعارف . ويسمع صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « إن علي

---

(١) آرشي روزفلت ابن عم لكيرميت روزفلت مندوب وكالة المخابرات المركزية الشهير في الشرق الاوسط . وكان آرشي هو الآخر من البارزين في صفوف هذه الوكالة .

يعرف آرشي روزفلت فقد قابلناه سوياً سنة ١٩٤٤ » .

ويسمع صوت أوديل يقول : ان آرشي روزفلت هو رجلنا الآن في لندن .

وتسمع مرة أخرى خشخشة أوراق . ثم يجيء صوت أوديل يقول :

« أريدك أن توصل بأي طريقة الى « ر » أن ما سوف يدور في مؤتمر الجزائر (القمة الآسيوية الأفريقية) سوف يؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وأنه يخطىء في فهم طبيعة الرئيس الامريكي،ولا بد أن يفهم أنه من أهل تكساس الذين يتصفون بالعناد وبالجرأة على استخدام القوة » .

ثم يظهر صوت أوديل يسأل : « هل يظنون أن الاتحاد السوفييتي سيزيد مساعدته لهم عندما تضغط عليهم الولايات المتحدة ؟ » .

ويرد صوت الاستاذ مصطفى أمين : « انهم يعرفون أن الاتحاد السوفييتي ليس عنده شيء يعطيه » .

ويعود صوت أوديل يسأل : « هل تستطيع ان ترتب أمرك لكي تحضر مؤتمر الجزائر ؟ ان هذا المؤتمر يهمنا جداً وقد كانوا يفكرون في ارسالي شخصياً الى هناك » .

. . . . . .

. . . . . .

وطلبت وضع شريط آخر. أحسست أنني لا أريد أن أسمع بعده أو أقرأ أو حتى أن أظل لحظة واحدة أمام هذه الملفات كلها وأشرطة التسجيل .

بدأ الشريط بصوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « ان مرض السكر يزداد على «ر » . زادت وطأة المرض عليه بعد أن علم بانقلاب الجزائر ضد بن بيللا . كان المرض قد أصابه بعد انقلاب سوريا » .

ويستطرد صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول :

« ر » نفسه قال لي ذلك . انقلاب الجزائر يقلقه . عرف أن الناس في مصر يقولون أن المشير عامر سوف يفعل في مصر ما فعله بومدين في الجزائر .

انه أرسل عامر الى الجزائر لانقاذ حياة بن بيللا وأرسل معه هيكل لأن هيكل له أصدقاء مقربون في الجزائر مثل محمد حربي وزهوان اللذان اعتقلا في الانقلاب ثم هربا . ومحمد حربي معروف بميوله الشيوعية الصينية ، وزهوان كان وزيراً للدعاية في حكم بن بيللا وأنه زعيم الشيوعية في الجزائر » .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« ر » مضطرب لسقوط بن بيللا ويقول ان سقوط بن بيللا يعني أنه فقد ذراعه الأيمن في العالم العربي ، « ر » قال لي إن بومدين له صديقة بعثية تؤثر فيه اسمها فاطمة عبد الله . « ر » قال لي ان الصين الشعبية تساند بومدين لكسب الجزائر قبل الاتحاد السوفييتي » .

ثم جاء صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول :

« لديّ معلومات مهمة من « ر » نقلاً عن شوين لاي [1] ، « ر » لاحظ أثناء لقائه بشوين لاي أن كراهيته للاتحاد السوفييتي أكبر من كراهيته للولايات المتحدة ، وهو يقول ان خروشوف كان صريحاً في سياسته في حين أن زعماء السوفييت الجدد يعملون في الخفاء ضد الصين الشعبية في كافة الدول الأجنبية وداخل الصين ذاتها ، وأن روسيا أصبحت دولة امبريالية والروس معجبون بالأمريكيين لدرجة أنهم أصبحوا يقلدونهم ، وأن هناك تواطؤاً سرياً بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة من أجل اضعاف الصين الشعبية ، وأن الصين لديها من الوثائق ما يثبت ذلك » .

وأحسست بأجراس تدق في ذاكرتي .

---

(١) كان شوين لاي رئيس وزراء الصين قد توقف في مصر أيامها في الطريق الى مؤتمر القمة الآسيوي الافريقي الذي كان منتظراً عقده في الجزائر .

كنت أنا الذي قلت هذا الكلام للاستاذ مصطفى أمين أثناء « غداء يوم الثلاثاء » ـ راح يسألني بالحاح عن مقابلتي لشوين لاي ورويت له طرفاً من حديثنا ـ فاذا هو في غداء يوم الاربعاء ينقله الى بروس أوديل وينسبه للرئيس جمال عبد الناصر [1] .

□

وأزحت مقعدي الى الوراء وقمت . وسألني مساعد السيد سامي شرف الذي كان يتولى استبدال الاشرطة وادارة الجهاز « ألا أريد أن أسمع الباقي ؟ »

وهززت رأسي نفياً .

والحقيقة أنني بدأت أحس بنوع من الدوار والغثيان .

ومررت على مكتب السيد سامي شرف أشكره قبل أن أنصرف ، وترك مكتبه وجاء اليّ ينتحي بي جانباً ويسألني : « ما رأيك ؟ » .

قلت : « انني أريد أن أفكر أكثر فيما سمعت وقرأت » .

قال : « هناك موضوع أريد أن أحدثك فيه بصراحة ، وهو موضوع علي أمين » .

واستطرد :

« ألا ترى أن علي ضالع في القضية ؟ أو على الاقل أن اتصالاً تم به ؟ انك أنت الذي توسطت لعلي أمين كي يخرج ، والواجب يقضي عليك بأن تعيده الى هنا » .

---

(١) وثائق هذا كله بما فيها التقارير والأشرطة محفوظة حتى الآن في هيئة الأمن القومي . وحتى سنوات قليلة مضت كان بعضها معروضاً في متحف هذه الهيئة الذي يضم وثائق أهم قضاياها ـ وقد كان آخر مسئول رسمي راجعها ـ على حد علمي ـ هو السيد كمال حسن علي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الآن ، حينما كان رئيساً لهيئة المخابرات العامة . وقد أصر ـ لآخر لحظة من وجوده في هذه الادارة ـ على ابقائها معروضة في متحف الهيئة رغم محاولات وضغوط كثيرة راحت تطالب بنقلها الى الأرشيف !

وسألته : « وكيف أفعل ذلك ؟ » .

قال : « فكرت في هذا الموضوع ، واقتراحي أن تبعث اليه برقية تستدعيه الى القاهرة للتشاور . انه بالطبع لم يعرف أن مصطفى قد اعتقل ، فنحن لم نذع شيئاً عن ذلك حتى الآن » .

وقلت للسيد سامي شرف : « إنني مع تفهمي لدوافعه لا أستطيع أن أستدرج الاستاذ علي أمين الى فخ . لا أستطيع ذلك انسانياً ولا مهنياً ولا أخلاقياً » .

وأشهد أن الرجل لم يزد الحاحاً على اقتراحه وسألني :

ـ « هل تريد أن تتصل بالرئيس تبلغه أنك اطلعت على كل شيء كما أمر ؟ » .

وقلت « انني على موعد معه غدا . وأوثر أن لا أتحدث اليه أو أقابله قبل أن أكون قد فكرت في كل شيء هذه الليلة » .

ولا أعرف كيف حملتني السيارة من منشية البكري الى شارع مظلوم حيث كان مقر الاهرام في ذلك الوقت . بدا لي كل شيء مسطحاً وفارغاً . حتى منظر الشوارع في وسط المدينة بألوانها وأضوائها بدت مجرد صور . وكانت الافكار والخواطر والهواجس في رأسي دوامات ورياحا ومطراً .

وكان عزمي أن لا أبقى طويلاً في الاهرام . نصف ساعة أو ساعة على أكثر تقدير ثم أقصد بيتي أخلو فيه الى نفسي وأحاول قدر ما أستطيع أن أواجه وأبحث وأرتب كل هذا الذي يدور في رأسي .

الفصل العاشر
تـأمـلات فـي المـاضـي والحـاضـر

في نصف الساعة او الساعة في مكتبي كانت أمامي شواغل محددة :

أن أعرف من مدير تحرير الأهرام شكل العدد الذي يوشك على الدخول الى المطبعة .

ثم أن أتصل تليفونياً بلندن ـ فقد تذكرت أسرتي لأول مرة في ساعات بدت لي دهوراً طويلة، واتصلت : أحوال ابني طيبة ، كثيرون جاءوا لزيارته وجاءوا معهم بلعب وزهور وحلوى . الأستاذ علي أمين كان في المستشفى طوال اليوم وانصرف في المساء . ووجدتني تلقائياً أقول في التليفون « انني لن أستطيع القدوم الى لندن يوم الجمعة . . . لقد اطمأننت والحمد لله ، ولديّ في القاهرة عمل يقتضي بقائي » .

ثم رجوت سكرتارية الأهرام ان تقوم بالغاء حجز تذكرة السفر الى لندن لأني عدلت عن السفر .

وخرجت قاصداً بيتي .

والتجأت غريزياً الى مقعدي المألوف في ركن من المكتبة . ثم رحت أتصفح المذكرات التي نقلتها مما قرأته وسمعته بعد ظهر ومساء هذا اليوم الطويل الطويل .

وكانت الأسئلة تتزاحم في خيالي يدفع بعضها بعضاً :

● كيف أستطيع تكييف ما قرأته وسمعته ، مكتوباً في تقارير ومسجلاً في شرائط ـ وعلى أي نحو آخذه ؟

● ماذا هناك في بقية الأشرطة مما لم أسمعه ، وأية مفاجئات ما زالت فيه ؟

● ما الذي دفع الأستاذ مصطفى أمين الى هذا الطريق الوعر ؟ ولأي هدف ؟ ومنذ متى على وجه التحديد ؟

● كيف يمكن ان يتطور التحقيق مع الأستاذ مصطفى أمين والى أين نهايته ؟ ثم ماذا ؟

● ما هي انعكاسات ذلك كله على المهنة ؟ وأي ضرر يصيبها ؟ كان هو دائماً يهاجم من يسميهم بالشيوعيين ويتهمهم بأنهم يعملون لحساب الاتحاد السوفييتي ، وها هو الآن متهم بالعمل لحساب الولايات المتحدة الأمريكية . فأي انطباع يمكن ان يأخذه القارىء او المواطن المصري والعربي العادي عن « الصحفيين » جميعاً ؟ هل يستقر في ذهنه انهم بالجملة « أتباع » ـ بعضهم لروسيا وبعضهم لأمريكا ؟ .

● أي قدر من المسئولية أتحمله وقد دخلت معركة عنيفة بين الصحفيين المحترفين وبين الآخرين الوافدين من الخارج على المهنة . لقد وجدت نفسي طرفاً في اشتباكات لا تنتهي مع التنظيم السياسي ومع عناصر قيادية في النظام لأني حاولت ان أصد غارات الوافدين من الخارج على تخوم المهنة وحدودها . . . أمامهم جميعاً موقفي الآن مكشوف ، ثم الا أستحق ـ عدلاً ـ ان ألام لأني تأثرت باعتبارات شخصية لعلها جرفتني إلى أبعد مما كان لازماً ؟ .

● وعلى ذكر الاعتبارات الشخصية ، والانسانية ، كيف أتصرف مع الأستاذين مصطفى وعلي أمين ؟ وقد يكون التصرف مع الأستاذ مصطفى أمين موضوعاً مؤجلاً لأنه الآن في ذمة سلطات التحقيق ، وأما الأستاذ علي أمين فما هي الا ساعات ثم يكون عليّ ان أقرر ؟ .

● وتتصل بذلك مسألة دقيقة وهي أسرة كل واحد منهما . لن يكون لدى أسرة كل واحد منهما الا ان تجيء اليّ ، فلقد تعودت بناتهما الأربعة ـ اثنتان لكل واحد ـ على اعتباري في مرتبة العم .

● ثم ماذا أقول لجمال عبد الناصر ؟ لقد صدقني فيما قلت وأجابني الى ما طلبت ، ومن حقه ان يعتب،ومن حقه ان يشك في أحكامي على الناس وعلى الحوادث .

● وأخيراً هل أعفيه من كل حرج وأقدم له استقالتي ؟ وكيف يؤثر ذلك على المهنة ؟ وبالتأكيد فانها سوف تصبح حرماً مباحاً لمراكز قوة أرادت دائماً ان تسيطر على الصحافة ، وهي على استعداد في أي وقت لكي تأخذ البريء بجريرة غير البريء (ولا أقول المذنب ـ ليس بعد) .

ثم ألست بتقديم استقالتي الآن أغامر بوضع نفسي في دائرة لم أدخل اليها وفي مجال لا شأن لي به ؟ .

وفي كل الأحوال ماذا أقول لجمال عبد الناصر ؟ وكيف أواجهه ؟ وبأي لغة أتحدث اليه ؟ .

□

وحتى طلع الفجر لم يكن قد استقر لي قرار ، وكانت معظم الأسئلة لا تزال تتدافع من داخلي ومن حولي في كل اتجاه .

كان موعدي مع جمال عبد الناصر في الساعة العاشرة من صباح الخميس **٢٢ يوليو ١٩٦٥** ، ولكنني كنت في بيته قبل التاسعة والنصف بقليل . والحقيقة انني قصدت ذلك،فلقد خطر ببالي أن أمرّ أولاً على مكتبه للمعلومات فأسأل اذا كان هناك جديد في مسألة الأستاذ مصطفى أمين ، حتى تكون عندي آخر التفاصيل في الصورة قبل أن ألتقي بالرئيس .

ولم يكن هناك جديد كثير .

كانت هناك بعض المعلومات عن واقعة القبض على الأستاذ مصطفى أمين .

المعلومات تكاد تكون تقليدية في عملية من هذا النوع . الأستاذ مصطفى أمين والمستر بروس تايلور أوديل يفاجآن بوكيل نيابة أمن الدولة وبعض ضباط الأمن القومي يدخلون عليهما بينما هما جالسان في ركن ظليل من حديقة البيت الذي استأجره الأستاذ مصطفى أمين ذلك الصيف في الاسكندرية .

جرى تفتيش بروس أوديل وعثر معه على بعض الأوراق التي كتبها خلال المقابلة . أثناء تفتيشه احتج بصفته الدبلوماسية وأخرج جواز سفره الدبلوماسي ، وسئل عما يفعله فقال انه كان مدعواً الى الغداء مع الأستاذ مصطفى أمين وأنهما تحدثا في « مشاكل العالم » .

وسئل بروس تايلور أوديل عن الأوراق التي ضبطت معه فقال انها تخصه ، وعن الخط الذي كتبت به فقال انه خطه . وبعد التحقق من شخصيته أفرج عنه فاستقل سيارته التي كانت داخل جاراج البيت وانصرف .

وسئل الأستاذ مصطفى أمين فقال ان الأمريكي الذي كان معه هو بروس أوديل من السفارة الأمريكية ، وانه يعرفه جيداً وقابله عدة مرات لأنه مكلف من الدولة بمهام تقتضي منه الاتصال المستمر بموظفي السفارة الأمريكية ، وقال انه يبلغ كل ما يحصل عليه من معلومات للجهات الرسمية .

وكانت هناك أيضاً بعض المعلومات عن محتويات الأوراق التي ضبطت مع بروس تايلور أوديل .

مجموعة من خمس ورقات صغيرة الحجم .

الورقة الأولى منها تحمل قائمة بالأسئلة التي أعدها أوديل قبل المقابلة لكي يسأل فيها الأستاذ مصطفى أمين ، وكانت نصوصها كما يلي :

١ ـ خطاب ٢٢ ـ المحتويات .

٢ ـ هل هناك خطاب في الاسكندرية يوم ٢٦ ؟ .

٣ ـ اليمن ـ العمري ـ ماذا حدث للنعمان ؟ .

٤ ـ السعودية .

٥ ـ التغيير في الحكومة .

٦ ـ مؤامرات الانقلاب .

٧ ـ حالة السخط .

٨ ـ الاتحاد السوفييتي .

٩ ـ الصـين .

وكانت بقية الأوراق الأربعة تحوي النقط التي كتبها بروس أوديل بينما هو يسمع الاجابات على أسئلته من الأستاذ مصطفى أمين .

وكانت النقط المسجلة في هذه الأوراق بخط أوديل كما يلي :

يوم ١٩٦٥/٧/٢١ .

الاسكندرية الساعة ١٣:٤٥ .

أولاً : اضرابـات .

يوم ١٩٦٥/٧/١٥ اتصل « ر » بـ س.م. (يبدو انه اشارة رمزية للاستاذ مصطفى أمين) في الساعة التاسعة صباحاً .

أ ـ اثنان في القاهرة . . . شركة النسيج ـ شركة الجوت .

ب ـ في يوم ١٩٦٥/٧/١٦ ـ « ر » قال له اضراب في الاسكندرية . . . شركة النقل . لم يدم أي اضراب اكثر من ٦ ـ ٨ ساعات .

سبب الاضراب المطالبة برفع الأجور .

« ر » قال له ـ المشكلة انني منحت أكثر من اللازم في فترة قصيرة أكثر

من اللازم ـ ما هي الأشياء الجديدة التي أستطيع ان أمنحها .

عدة شركات لم تحقق أرباحاً ـ ولكن لا بد من صرف أجور العمال لذلك فهم يقترضون من البنك لصرف . . . للعمال . وهذه الأخيرة لم تحقق أية أرباح .

ثانياً : يوم ١٩٦٥/٧/١٦ .

س . م . قال له كانت هناك اشاعة تقول ان العملة المصرية سوف . . .

« ر » قال له : هذا ليس صحيحاً .

« ر » قال : لماذا أفعل هذا .

« ر » قال : لا أريد أن أصل الى ذلك . انني أعرف ان هناك كميات كبيرة متداولة لانني أقوم بطبعها .

« ر » قال : قد أرتجل خطابي يوم ٢٢ ـ لن يكون خطاباً مكتوباً .

« ر » لا يعرف ماذا يقول .

س . م . قال له الناس مهتمون كثيراً بالشئون الداخلية .

« ر » رد عليه : لديّ تقارير حول أمر ما والناس تهاجمني ـ وكانت فيما مضى تهاجم المتصلين بي ـ والآن تهاجمني أنا . يبدو انهم نظموا أنفسهم لأن ما يقال يقال في القرى وفي المدن وفي الجيش .

انني أفكر في مواجهة . وأن أقوم بالرد على الناس بصراحة يوم ٢٢ .

تفيد التقارير : ما هي مصالحنا في الدول الأخرى ؟ لماذا لا نهتم بشئوننا الخاصة ؟ لماذا نصرف الأموال على الدعاية في الخارج ؟ لماذا نتدخل في الكونجو ؟ لماذا توجد قوات في العراق ؟ اذا اتجهت ج . ع . م . نحو شئونها الخاصة فسوف تكون دولة أفضل . لماذا نضيع كل هذا الوقت مع شوين لاي وأيوب خان وسوكارنو وبن بيللا الى آخره ؟ لو كان « ر » يقضي هذا الوقت مع وزرائه لاصبحت الدولة أفضل مما هي .

« ر » قال ان الناس الذين يتكلمون هكذا « أغبياء »، فلو كنا بقينا ساكتين لما استطعنا ان نبني السد العالي ولا جيشاً كبيراً ولا برنامجاً واسعاً من المساعدات الامريكية . واذا كنا نسلك طريقاً واسعاً فذلك لأننا نقوم بأمور كبيرة في الخارج . واذا ما . . . شئوننا الخاصة لتلاشت كل هذه الامور تلقائياً .

« ر » قال له : كل ما يحدث من الخليج الفارسي الى المغرب هو من تخطيط المخابرات الأمريكية .

س.م. سأله : لماذا . . . في فيتنام .

« ر » قال : لانهم لم يتمكنوا من العثور في الأمم المتحدة على أمثال بورقيبة وفيصل . فيصل . . . يريد ان يبدأ .

□

وفرغت من قراءة تقارير المعلومات التي كانت بين يدي . ثم نظرت إلى ساعتي فوجدت ان موعدي مع جمال عبد الناصر قد أزف . ونهضت صامتاً أعبر الشارع ماشياً على قدمي من سكرتارية المعلومات الى بيت الرئيس .

لم يكف عبد الناصر حتى آخر يوم في حياته عن استثارة محبتي واعجابي .

توقعت كل شيء في لقاء ذلك الصباح الا ما حدث فعلاً . لم يترك لي فرصة، وانما أخذ هو زمام الحديث من أول لحظة دخلت فيها عليه . قال على الفور :

« الوقت يسرقنا ونحن لم نفرغ بعد من اللمسات النهائية لخطاب عيد الثورة ولم تبق عليه غير ساعات . كنت حريصاً على ان تعرف موضوع مصطفى أمين مني أولاً وان ترى وثائقه بالكامل قبل أن تبدي رأيك . أستطيع أن أتصور ما تشعر به ، ولا بد ان تعرف ان كل واحد منا معرّض لهذه التجربة . تثق بشخص وتقف معه وتدافع عنه ثم تكتشف أنك خدعت . المهم ان لا يخدع الانسان نفسه وان لا يتخذ موقف العناد أمام الحقيقة حين

تظهر له . لا تقل شيئاً فأنا أعرف أنك تحتاج الى وقت لكي تستوعب ما عرفته . انني لفت نظرك مرات وليس من حقك ان تفاجأ ، ومع ذلك فلنترك المسألة برمتها للتحقيق ونلتفت نحن لما ينتظرنا اليوم » .

وكانت لديّ تعليقات وملاحظات وأسئلة . وكانت ردوده قاطعة :

● « لم تكن في حاجة الى ان تسألني . ثق انه لن يحدث أي ضغط في التحقيق ، ومع ذلك فما حاجة أي محقق للضغط والوقائع كما رأيت كاملة » .

● « أفهم بالطبع ان عائلات مصطفى وعلي أمين سوف يتصلون بك . وانا لا أخلط بين المسائل ، ولك ان تتصرف انسانياً كما تشاء على ان تزن كل العوامل وتضعها في اعتبارك باستمرار » .

● « لا . لا أستطيع مهما كانت دوافعك ان أسمح لك بزيارة مصطفى أمين الآن . ولست مقتنعاً بكل ما أبديت من أسباب » .

● « ليس هناك ما يدعوك الى أن تفكر على هذا النحو . صحيح انك توسطت لهما عندي أكثر من مرة،لكني أنا الذي استجبت،لك ولم يكن في استطاعتك ان تفرض عليّ شيئاً لولا قبولي به . فاذا كانت هناك مسئولية فأنا المسئول . لا داعي الآن لفرط الحساسية وأنا أطلب اليك من الآن ان تمسك أعصابك لأني أعرف ان هناك من هم على استعداد لاستغلال ما حدث ضدك ، ولا يصح لك ان تعطي أحداً وسيلة للنيل منك دون وجه حق » .

□

وراحت عجلة الحوادث تتحرك بسرعة . وحاولت قدر ما أستطيع أن أتابع ما يجري دون ان أقترب بأكثر مما ينبغي من مسرح الحوادث .

بدأ الخبر يتسرب ظهر يوم الخميس ٢٢ يوليو .

وتقرر استدعاء عدد من الصحفيين الى سكرتارية المعلومات وابلاغهم بتفاصيل ما حدث واتاحة الفرصة لهم كي يروا ويسمعوا .

وطبقاً لسجلات الرياسة فانه بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو دعي كل من الأستاذ أحمد بهاء الدين والاستاذ فتحي غانم والاستاذ علي الشلقاني والاستاذ محمود أمين العالم والاستاذ أحمد حمروش والسيدة سميرة الكيلاني (من الاذاعة) والاستاذ حسن فؤاد ـ للاطلاع على كل التقارير والوثائق .

ثم تقرر أن يقوم السيد محمود رياض وزير الخارجية باستدعاء السفير الأمريكي في القاهرة المستر لوشيوس باتل وابلاغه باستياء مصر مما جرى، وباعتبار المستر بروس تايلور أوديل شخصاً غير مرغوب فيه . ولم يكن محمود رياض في حاجة الى أن يلح على هذا الطلب الأخير فقد تبين ان السفير الأمريكي طلب من بروس أوديل فور علمه بما جرى بأن يركب أول طائرة ويخرج من مصر . وقد كان .

ثم كتب وزير الخارجية مذكرة عن مقابلته للسفير الأمريكي كان نصها كما يلي :

« وزارة الخارجية [1]

مكتب الوزير القاهرة في ١٩٦٥/٧/٢٢

السفير الأمريكي مستر باتل :

ـ استدعيته الساعة ١٥:٣٠ اليوم وأبلغته بموضوع القاء القبض على مصطفى أمين يوم ٢٠ يوليو في الاسكندرية أثناء تقديمه تقريراً لمستر بروس أوديل الملحق بالسفارة الأمريكية .

وانه تبين من التحقيق الأوّلي ومن الأوراق التي ضبطت ان مستر أوديل قد وجه أسئلة بخط يده الى مصطفى أمين وان المعلومات التي قدمها له الأخير كانت تتضمن معلومات سياسية وعسكرية تمس أمن الدولة وسلامتها .

---

(١) صورة مذكرة وزارة الخارجية وعلى أوراقها الرسمية في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٥) .

ـ كما أبلغته أنه قد تم الافراج عن مستر أوديل بعد التحقق من صفته الدبلوماسية .

ـ ذكر السفير انه علم بالحادث ليلة أمس وكان أوديل في اجازة ، وانه قابله صباح اليوم وفهم منه ان تواجده بمنزل مصطفى أمين بالاسكندرية كان بغرض الزيارة .

ـ أوضحت له ان زيارة الملحق الأمريكي لمصطفى أمين لم تكن زيارة عادية حيث ان مصطفى أمين كان يقدم له تقارير أسبوعية .

ـ ذكر السفير بأنه قد صدم بالحادث ورجا ان لا يترك أي أثر على العلاقات بين البلدين التي يعمل على تدعيمها .

ـ وذكر انه سيقوم باجراء تحقيق في الموضوع .

ـ وأضاف ان بعض وكالات الأنباء الامريكية علمت بالموضوع . وفي اعتقاده انه قد تصلها معلومات عن استدعائه لوزارة الخارجية كما يحتمل ان توجه اليه أسئلة بخصوص استدعائه هذا ، وان اجابته ستكون في هذه الحالة ان وزير الخارجية أبلغه بالحادث .

ـ وافقت على هذه الاجابة ثم ذكرت له ان أمثال مصطفى أمين لا يمكن ان يكونوا مصدر معلومات دقيقة ، وانما يختلق هؤلاء بعض القصص والروايات من أجل المتاجرة بها .

ـ وأضفت ان السيد الرئيس عندما يتحدث الى الشعب فانه يتحدث بصراحة تامة عن مشاكلنا الداخلية وعن سياستنا الخارجية ، ولذا فان أي جهد يبذل للحصول على ما يسمى بالمعلومات السرية هو جهد ضائع .

ـ كان السفير في حالة ضيق واضطراب ، وكرر أكثر من مرة رجاءه أن لا يتسبب هذا الحادث في خلق توتر في العلاقات بين البلدين .

وزير الخارجية

محمود رياض »

وأضاف السيد محمود رياض الى تقريره المكتوب ملاحظات شفوية أبلغها الى مكتب رئيس الجمهورية منها ان السفير الامريكي ذكر له انه لم يقابل الاستاذ مصطفى أمين على الإطلاق لأنه هو شخصياً يفضل التعامل المباشر والعلني وأنه ليس في حاجة الى أن يشرح له ـ لوزير الخارجية ـ الظروف العملية التي تمارس تحتها أجهزة الدولة ـ أي دولة ـ نشاطها الظاهر او الخفي .

□

ولم تمض على هذه المقابلة أكثر من ساعة حتى أذاع مكتب الدكتور عبد القادر حاتم وزير الارشاد القومي وقتها بياناً نصه كما يلي :

« تم القبض يوم ٢١ يوليو ١٩٦٥ على الصحفي مصطفى أمين أثناء مقابلته مع بروس تايلور أوديل الضابط بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذي يعمل تحت ستار ملحق بالسفارة الأمريكية بالقاهرة .

وكان الصحفي مصطفى أمين عميلاً للمخابرات الأمريكية يقدم لها معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تضر بأمن البلاد وسلامتها .

وقد قدمت المخابرات العربية لنيابة أمن الدولة قبل القبض على مصطفى أمين كل الوثائق التي تثبت أنه عميل للمخابرات الأمريكية .

وقد أفرجت نيابة أمن الدولة عن بروس تايلور أوديل بعد استجوابه واثبات شخصيته الدبلوماسية ، وتواصل النيابة تحقيقها . »

ثم أذاع مكتب النائب العام بياناً بهذا المعنى أضيف الى البيان السياسي الصادر عن وزير الارشاد القومي .

واجتمعت اللجنة الدائمة المتفرعة عن مجلس الأمن القومي وبحثت القضية من جوانب مختلفة،وكان بين قراراتها ضرورة اخطار المتصلين بمصر في بيروت ببعض التفاصيل عن الموضوع . فقد كان مؤكداً ان بعض الصحف اللبنانية سوف تثيره . وهكذا أرسل السيد سامي شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات ، وهو في نفس الوقت سكرتير اللجنة الدائمة لمجلس الأمن

القومي) برقية شفرية للسفير عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت تتضمن بعض المعلومات التي طلب ابلاغها الى السيد محسن ابراهيم وكان وقتها أمين جبهة القوميين العرب (التي تفرعت منها فيما بعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) . وكان نص البرقية الموجهة الى السفير عبد الحميد غالب كما يلي :

٧٣٨ مستعجل للغاية [١]

من السيد / سامي شرف

الى السفير عبد الحميد غالب (بيروت) .

سري جداً

أرجو ابلاغ الأخ محسن فوراً بالمعلومات التالية ولا مانع من استغلالها على أوسع نطاق ونشرها (٠) بخصوص القبض على مصطفى أمين (٠) مراقب من المخابرات العامة من مدة طويلة وكان يعقد اجتماعات أسبوعية مع ممثل المخابرات الأمريكية في القاهرة وكان يعطيه تقارير أسبوعية سياسية ويأخذ منه تعليمات (٠) جميع هذه الجلسات مسجلة لدينا (٠) كان يأخذ منهم نقود وكانت تحول باسمه للخارج بواسطة المخابرات الأمريكية (٠) اتضح ان جميع التقارير التي قدمها مصطفى أمين للمخابرات الأمريكية ضد مصلحة الدولة وكذلك التعليمات التي كانت تصدر اليه من المخابرات الأمريكية كلها ضد مصلحة الدولة (٠) كان يبلغ الأمريكان كلاماً على انه سمعه من الرئيس في حين ان الرئيس لا يقابله ولا يكلمه أبداً وهذا الكلام مفبرك (٠) وكان اتجاه هذا الكلام المنسوب الى الرئيس يتضمن استعداء الامريكان على ج.ع.م. (٠) هذه القضية بالكامل منذ أن بدأت مسجلة (٠) نرحب بحضور الأخ محسن للقاهرة للاطلاع على التفاصيل بعد نشر المعلومات الواردة في هذه البرقية اليوم .

سامي » .

---

(١) صورة الرسالة التي صدرت من مكتب الشفرة في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٦) .

□

شغلتني وقائع يوم ٢٢ يوليو ـ بما فيها الخطاب الكبير للرئيس في عيد الثورة ـ فظللت في الأهرام الى ما بعد منتصف الليل وحتى صدرت الطبعة الأولى .

وحين بدأت أستعد للعودة الى بيتي تنبهت الى أنني لم أتصل بلندن لكي أطمئن على أحوال ابني . واتصلت قبل أن أترك مكتبي .

وذكرتني المكالمة بأنني مهما حاولت ان أظل بعيداً فان طبائع الظروف تأبى أن تمنحني هذه الراحة .

على التليفون من لندن ـ وبعد الاطمئنان على تقدم صحة ابني ـ عرفت أن خبر ما حدث في القاهرة قد وصل وكان صدمة بالنسبة للجميع .

كان الاستاذ على أمين في المستشفى وسأل اذا كنت قد اتصلت . ولم أكن . وترك لي رسالة عندما أتصل في أي وقت ، ومؤدى هذه الرسالة :

« ماذا يفعل ؟ مع العلم بأنه مستعد لأن يركب أول طائرة الى القاهرة ويجيء لكي يقف مع مصطفى ويدافع عن سمعة الاثنين معاً » .

وتركت له رداً :

« انه في موقف يستطيع وحده تقدير عواقبه . لكنه اذا كان مستعداً للقدوم للقاهرة فوراً فان هذه أكبر خدمة يؤديها لمصطفى . مجرد قدومه يثبت اقتناعه بالبراءة . ثم ان هناك مسائل كثيرة يستطيع القيام بها في الدفاع عن مصطفى وفي رعاية شئون أسرة الاثنين معاً » (كانت زوجة الأستاذ علي أمين وابنته منها (منى) في القاهرة لم تصحباه في سفره الى لندن وكذلك كانت في القاهرة ابنته ـ من زوجته الأولى ـ (فاطمة) ـ وكانت هناك ابنتان للاستاذ مصطفى أمين (رتيبة ـ وصفية) تقيمان مع والدتهما بعد ان وقع الطلاق بين الأب والأم قبل سنوات) .

وبعد ظهر اليوم التالي ٢٣ يوليو اتصلت مرة أخرى بالمستشفى في

لندن ، وكان الاستاذ علي أمين هناك وقال لي : « انه سيركب الطائرة غداً الى القاهرة » . وهنأته على قراره .

وكانت أسرتي هي التي عادت الى القاهرة في اليوم التالي ، وأما الأستاذ علي أمين فقد قرر ان ينتظر التطورات في لندن . ثم لم يلبث أن أدلى هناك ببيان نشرته بعض الصحف اللبنانية قال فيه : « انه كان يعتزم السفر الى القاهرة ،ولكنه ينتظر تصريح الأطباء الذين يعالجونه من مرض السكر » . وأضاف انه « كان قد أخطر القاهرة وسفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن باعتزامه القدوم الى القاهرة ولكن الاخصائيين الذين يعالجونه من مرض السكر نصحوه بأن يؤجل عودته الى حين تمام شفائه » .

□

وتتابعت أيام ثقيلة . . . متثاقلة .

وفي مساء يوم ٨ أغسطس كنت مدعواً إلى العشاء مع جمال عبد الناصر في استراحة المعمورة بالاسكندرية ، وخرجنا بعد العشاء نتمشى على شاطىء البحر ونتحدث طويلاً وبعيداً عن كل شيء .

وفجأة قال لي الرئيس :

ـ على فكرة ، سوف أعطيك نسخة من خطاب بعث به مصطفى أمين إليّ .

سوف تذهل من قراءته فهو اعتراف كامل . . .

وسألته عما يقصده « باعتراف كامل »،وقال انه خطاب بخط يد مصطفى أمين من ستين صفحة ، ثم أضاف « لا أظنك تستطيع ان تقول ان ضغطاً وقع عليه من أي نوع لكي يكتب خطاباً من ستين صفحة . بالضغط يمكن لأحد أن يكتب صفحة او صفحتين ، أما أن يكتب بالضغط ما يكاد ان يكون كتاباً كاملاً . . . ويتفرغ لكتابته أربعة او خمسة أيام ـ فهذا مستحيل » .

ثم استطرد الرئيس :

ـ لكي أكون دقيقاً معك فاني أعتقد انه فوجىء بالتسجيلات وبكمية ما تحتويه من « مصائب »،ثم أنهم طمأنوه الى أقصى حد لكي يعترف . قالوا له فيما أتصور ان خبر القبض عليه لم ينشر وأنه اذا اعترف اعترافاً كاملاً فان الموضوع يمكن ان يكون محل نظر . وقالوا له ان اعترافاً مفصلاً هو الشيء الوحيد الذي يوفر امكانية حصر الضرر الذي يمكن ان ينشأ نتيجة لما قاله لضابط المخابرات الأمريكي ، وقد يساعد هذا على التصرف في القضية » .

وكنت أستمع ساكتاً ـ وقال الرئيس :

ـ عندما نرجع الى المكتب الآن سوف أعطيك صورة من خطاب الاعتراف تقرؤها » .

وبدأنا نعود أدراجنا في الظلام على شاطىء البحر نحو البيت ، وكنا ساكتين وليس من صوت حولنا غير تدافع الموج على الرمل .

ودخل مكتبه في استراحة المعمورة وأنا في انتظاره في مدخل البيت ، ثم عاد يحمل ملفاً ضخماً ناوله لي ، ثم أضاف :

ـ هناك أيضاً مظروف مغلق فيه ورقة واحدة لعلك تقرؤها أيضاً . لا تعلق عليها كثيراً ولا تدعها تؤثر في فكرك . أردتك فقط ان تكون على علم بما يثار » .

وركبت سيارتي والملف الضخم تحت ابطي والمظروف الصغير في يدي . وتحركت السيارة .

ولم يكن صبري قادراً على الاحتمال ، وفتحت المظروف الصغير أستطلع أمره على الضوء الخافت لمصباح السيارة الداخلي ، فاذا هو كما قال لي ورقة واحدة بتوقيع السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات بوصفه مسئولاً في التنظيم السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي ـ نصها كما يلي :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات
تنظيم

أفندم [1]

بدأ يتردد في بعض القواعد في التنظيم ـ حيث أبلغتني بعض الحلقات التي تعمل معي وبعض الحلقات الأخرى ـ ان هناك تيار كلامي جديد بدأ يظهر متعلقاً بقضية مصطفى أمين وهو ان الاستاذ هيكل هو الذي تسبب في الصفح عن مصطفى أمين وعلي أمين أكثر من مرة لأنه لن ينسى أنه تمرس على أيديهما والكلام يحمل الاستاذ هيكل ـ ضمناً ـ بعض المسئولية . . .

برجاء التفضل بالنظر .

سامي
٦٥/٧/٢٤

وتنهدت من أعماق قلبي . وبدا لي الصوت الصادر من حنجرتي شيئاً يشبه الأنين .

---

(١) صيغة توجيه الخطاب كتابة الى رئيس الدولة ، وأظنها لا تزال تستعمل حتى الان في مصر . ولم أستطع قبولها . وطالبت مراراً بتغييرها واعتبار صيغة « سيادة الرئيس » أو « السيد الرئيس » أكثر ملاءمة من كل الوجوه .

(صورة من المذكرة بخط السيد سامي شرف في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٧) .

الجزء الثاني

الاعـــتـــــراف

«IPSE Dixit»

(قاعدة في القانون الروماني ـ ترجمتها :

« بنفسه قالها »).

الفصل الأول
الرسالة الوثيقة

كان سهلاً ان أقرأ تقرير التنظيم الذي قدمه السيد سامي شرف الى الرئيس جمال عبد الناصر على ضوء المصباح الخافت في السيارة التي خرجت بي من استراحة المعمورة متوجهة الى الشقة التي أسكنها في ستانلي بالاسكندرية في تلك الساعة المتأخرة من الليل . . . ليل ٨ أغسطس ١٩٦٥ .

لكنه كان صعباً ان أحاول نفس الشيء بالنسبة الى الرسالة التي بعث بها الاستاذ مصطفى أمين الى الرئيس لكي يقول فيها كل شيء .

واعترف انني حاولت ان أقرأ الرسالة على ضوء المصباح الخافت لكني أدركت عقم المحاولة ـ بسبب ضخامتها من ناحية ، وبسبب قوة التركيز المطلوبة لاستيعاب ما فيها وتقدير أهميته ثم خطورته ، وما يترتب على ذلك مما سوف تحمله لنا الأيام .

تركت المحاولة ، فما هي الا ربع ساعة وأصل الى حيث أستطيع ان أجلس وأتعرف على مهمة كنت أشعر مقدماً انها لن تكون سهلة او طبيعية .

وفي الليل وعبر مصابيحه الممتدة على كورنيش البحر والسيارة تمضي في الشوارع شبه الخالية في تلك الساعة المتأخرة ـ كانت خواطري نهباً لمشاعر شتى .

أحاسيس يختلط فيها القلق بالأسى والإحباط . . . وشيء من الاستغراب والحيرة والشك في كل شيء .

وكانت هناك مشاعر وصور تطفو من الذاكرة لتعترض هذه الأحاسيس وتغطي عليها في بعض اللحظات ، ثم تتلاشى معالمها وتغيب .

صور من أول لقاء بين الاستاذين مصطفى وعلي أمين وبيني . ثم مشاهد من حياتنا المشتركة في أخبارَ اليوم . ثم أطياف لتلك المرات التي كنت أذهب فيها معها الى بيتها القديم في المنيل ونجلس نحن الثلاثة حول فراش والدتها التي كانت مريضة بالسرطان ، ونروح نحكي لها ونسمع منها . ثم تلاحق مناظر سريعة كأنها شريط سينمائي : جالس أوقع شاهداً على عقد زواج علي أمين ، علي أمين يجلس للتوقيع شاهداً على عقد زواجي ، تلك المرات الثلاث التي نزلنا فيها من سيارة واحدة أمام أخبار اليوم عندما كانت المعركة التي تصورناها بين الصحفيين المحترفين وبين الطارئين الوافدين على دور الصحف ، غداء يوم الثلاثاء ، المشي على ضفاف التيمز مع علي أمين في مارلو قبل أيام قليلة .

وتوقفت السيارة أخيراً ، لقد وصلنا .

وصلت الى لحظة رزحت على قلبي طول الطريق . . شاطىء البحر ومصابيح الليل القائمة على امتداده .

لقد جاءت لحظة الحقيقة .

وفتحت الملف الضخم [1] الذي يحوي رسالة مصطفى أمين وراحت عيناي تجريان على السطور :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر [2] .

انني أشعر انني أسأت اليك وأنني لم أعد جديراً بالثقة التي وضعتها فيّ .

---

(١) للأهمية القصوى لهذا الخطاب الوثيقة فاني أنشره كاملا رغم طوله فقد اتصل الى ستين صفحة بخط الاستاذ مصطفى أمين.ولقد رأيت ان بعض ما فيه يقتضي ايضاحات،وفضلت وضعها في حواشي منفصلة عن النص . على اني لم أحاول أكثر من ذلك ، فلم أعلق على كثير مما كتبه الأستاذ مصطفى أمين في رسالته . ولو فعلت لوجدت نفسي اكتب عشرات التعليقات ان لم يكن مئاتها ! .

(٢) صورة من صفحات هذا الخطاب بخط يد الاستاذ مصطفى أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم(٨) .

وقد تصورت دائماً انني قادر أن أنتزع معلومات هامة لبلادي ، ولقد سبق أنني جئت اليك بأكبر الأسرار وأخطرها مستفيداً من صلاتي العديدة بالأمريكيين من رجال السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية . ولقد هيأ لي الوهم أني حر في التحرك ما دمت قد نلت منك الاذن في الاستمرار في اتصالاتي . ولقد كان من السهل القيام بهذه الاتصالات طالما كنت على اتصال يومي بك ، وكان هذا الاتصال المستمر الدائم يجعلني أأمن الخطأ او الانحراف . ثم حدث في الشهور الأخيرة ان قضت كثرة أعمالك ومهام الدولة ان يصعب هذا الاتصال، وبذلك لم أعد قادراً على أن أستأذنك فيما أقول باسمك او عن لسانك أو منسوباً اليك . ولقد سبق ان قلت لسيادتك انني استعمل اسمك في أحاديثي ، وانك اذا رأيت ان المصلحة في أن تكذبني وتكذب كل صلة بي فانني مستعد ان أتحمل بشجاعة تبعة هذا التكذيب . ثم حدث انني شعرت اني أسأت اليك بنسب أحاديث اليك بغير استئذانك وبغير علمك . ثم زاد شعوري بالأسى عندما رأيت في الاجراء الذي اتخذ ضدي انك ترى أنني انحرفت في الطريق الذي تصورت اني أخدم به وطني . ولقد وجدت أن خير طريقة أكفر بها عن خطئي ان أكتب اليك معدداً المرات التي ذكرت فيها اسمك ، ونسبت فيها اليك أفكاراً وآراء معينة معتمداً على انني أستعمل هذه الطريقة في الدردشة لاحصل على معلومات تفيد بلادي كما فعلت قبل ذلك مرات في المعلومات الخطيرة التي حصلت عليها من هذه المصادر وقدمتها اليك منذ قيام الثورة الى اليوم . واذا رأيت ان هذا التصرف يستحق العقاب فانني قابل برضاء ما تراه ، واذا رأيت ان شفيعي حسن نيتي وسلامة هدفي فان الأمر لك على الحالين . ان الذي دفعني الى الكتابة اليك في هذا الموضوع هو ما علمته من ان الدردشة التي كنت أتحدث بها الى مستر بروس أوديل كان يكتبها في تقاريره متوهماً انها تعبر عن رأيك . ولهذا أريد ان أحرص على أن أذكر المرات التي ذكرت فيها اسمك حتى يمكن علاج ما قد يكون حدث نتيجة استخدام اسمك في هذا الاحاديث ، وانني على استعداد ان أعمل ما ترون ولو كان ثمن ذلك التضحية برأسي اذا كانت هذه هي الوسيلة لاصلاح ما أفسدت او ما قد أكون أسأت به اليك في هذه الأحاديث . وانني كنت أتوهم أن في أن

أنسب آرائي وأفكاري اليك ما يزيد أثر حديثي على مصادر معلوماتي . ولقد كنت أعطيهم بضاعة زائفة ، وأحصل منهم فيما أعتقد على بضائع حقيقية . وقد لا ترضيك هذه الطريقة ولكنها كانت دائماً الطريقة الناجحة في الحصول على ما كنت أقدم لك من معلومات .

ولهذا فسوف أحاول أن أعدد بعض ما قلته على لسانك في أحاديثي مع بروس أوديل الملحق السياسي بالسفارة الامريكية بالقاهرة .

ففي حديثي معه يوم الاربعاء ٧ يوليو سنة ١٩٦٥ قلت له عندما تحدثنا عن حادث سقوط الطائرة أنتينوف على بعد ١١ كيلو من السويس ان جميع ركابها قد لقوا حتفهم فيما عدا ضابط روسي تمكن من النجاة ، وان ثمن الطائرة يبلغ حوالي مليون جنيه وان الضابط الروسي الذي نجا رفض التحدث مع السلطات المصرية وتوجه الى السفارة الروسية.وهذه الطائرة هي التي أذاعت السلطات المصرية بلاغاً رسمياً عن سقوطها ووفاة كل من بها .

وعندما تحدث معي مستر بروس عن اليمن وعن أن تأخير القوات المصرية في الجلاء عنها يؤدي الى عدم تجديد المعونة ، قلت له على لسانك ان الفريق أول مرتجى قائد اليمن أبدى أن عملية تطهير الجيوب في جبال اليمن من المتمردين يلزم لها عام كامل ، والرئيس يعتبر فترة العام فترة طويلة جداً .

وعندما جرى الحديث عن أزمة محمد أحمد النعمان رئيس وزراء اليمن السابق قلت على لسانك ان النعمان يريد ان يكون شيئاً كبيراً على حساب الجمهورية العربية ، وانه مصرّ على تنحية الرئيس السلال ، لكن الرئيس مصرّ على بقاء السلال لانه يثق فيه ولا يثق في النعمان ، كما ان القوات المصرية في اليمن لا تثق في النعمان ، وان الرئيس السلال لا يتمسك بالحكم ، وان الرئيس يعتقد ان لسان النعمان مع مصر وقلبه مع فيصل .

وتحدثنا عن موقف السعودية من مصر ، قلت ان الرئيس يفكر في شن حملة صحفية ضد السعودية تبدأ في الصحف اللبنانية ثم تنقلها الصحف العربية ، وقال مستر بروس ان هذه الحملة بدأت فعلاً في صباح يوم الحديث .

وعندما جرى حديثي معه عن الرئيس بن بيللا قلت على لسانك ان بومدين كان على عداء مع ثلاثة من مستشاري بن بيللا هم لطف الله سليمان وهو شيوعي مصري ، وهنري كوربيل وهو مليونير يهودي كان زعيم الحركة الشيوعية في مصر عام ١٩٤٦ وسكرتير تروتسكي . وتحدثنا عن أخطاء بن بيللا ، فقلت له على لسانك ان الجيش الجزائري كان يعارض التسلل الشيوعي في الجزائر ، وان خطأ بن بيللا كان بسبب تركيزه واهتمامه بالشئون الخارجية خلال الاسبوعين اللذين سبقا الانقلاب .

وجرى حديث عن البغدادي [١] فقلت على لسانك ان البغدادي يعتقد انه اذا أتى الى الحكم فسوف يحرق ، أما اذا ظل بعيداً عنه وجرى انقلاب فهو يعتقد ان القادة الجدد سيقدمون له السلطة ، وان الرئيس سوف لا يترك الحكم ، وانه لو حدث انقلاب فان البغدادي سوف يكون في نفس القارب الذي فيه الرئيس .

وجرى حديث عن الاتحاد الاشتراكي فقلت ، ان الرئيس لا يريد ان يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بن بيللا بأن يظل هذا الاتحاد مجرد مظهر دون صفة .

وجرى حديث عن الحصار على مصر وقلت ان الرئيس يريد الخروج من هذا الحصار وان الزعماء العرب والافريقيين غضبوا لأن الرئيس اجتمع بسوكارنو وأيوب خان وشوان لاي بمفرده دون ان يدعوهم للاشتراك في مباحثاته ، وأنه أوفد محمد فائق [٢] بمهمة ان يطلع الزعماء بأن الحالة سيئة بالنسبة للدول الافريقية والاسيوية وأن الضرورة تدعو الى الاتحاد ، وان الرئيس قلق بالنسبة لمنظمة افريقيا واتحاد مالاجاش ، وان نتيجة هذا الانقسام تقسيم افريقيا الى تجمعات .

---

(١) يقصد السيد عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة السابق ، وكان قد استقال سنة ١٩٦٤ .

(٢) مسئول الشئون الافريقية في رئاسة الجمهورية وقتها .

وجرى حديث عن الحالة في العراق فقلت على لسانك ان الحالة في العراق سيئة وان أمين هويدي [1] ألغى اجازته ، وان ١٢ وزيراً ناصرياً سيستقيلون ، وانه يخشى ان يحدث في العراق ما حدث في الجزائر ، وان الرئيس يفكر في استدعاء القوات المصرية الموجودة في العراق .

جرى حديث عن الملك حسين فقلت على لسانك انك تلقيت معلومات تؤكد ان هناك عناصر هاشمية طلبت من الملك حسين ان يقوم بتغيير نظام وراثة العرش ، فيجعل أخاه ولياً للعهد، حتى اذا حدث انقلاب في العراق فلن يقبل العراقيون ملكاً أمه انجليزية ، وان حسين يطمع في أن يخلف نظام الحكم في سوريا .

وجرى حديث عن الموقف العربي فقلت ان الرئيس يعتقد أن هناك مخططاً بريطانياً يهدف الى عزل مصر عن بقية العالم العربي ، بما جاء في مشروع الهلال الخصيب والمغرب الكبير بجانب أن السودان في الجنوب قد ضاع ، وبذلك تكتمل حلقة عزل مصر . وأن الرئيس قلق على الحالة في افريقيا كلها .

وتحدث بروس عن خالد محيي الدين وسلمني مجلة لبنانية نشرت مقالاً مطولاً حول ميول خالد محيي الدين الشيوعية ، وقال بروس انه يعتقد ان نهاية خالد محيي الدين قد قربت ، وتساءل بروس ماذا سيكون رد فعل الرئيس عبد الناصر اذا أثبتنا ان خالد محيي الدين عميل شيوعي سوفييتي ، فقلت له ان الرئيس لن يصدق ذلك في خالد محيي الدين . وقال بروس انه منذ ان تسلم خالد محيي الدين منصبه في أخبار اليوم وهو يشك فيه وأنه قام بتحليل كل كلمة كتبها ويعتقد ان الروس اذا أعطوه مقالاً لينشره لهم فسوف يفعل ذلك .

ولقد أعطاني مستر بروس مقال جريدة الصفاء ضد خالد محيي الدين وعن اتصاله بالصين فلم أر أن أرسل لسيادتكم هذه المجلة لأنني أعلم انها

---

(١) سفير مصر في العراق في تلك الأيام .

جريدة مأجورة للغرب ، وفهمت ان الغرض هو الدس لخالد محيي الدين عندكم .

وأذكر جلسة أخرى تحدثت فيها عن مواضيع أخرى من بينها صفقة القمح الروسي وقلت بلسان سيادتكم أنه برغم ان الصفقة لم تكن كبيرة الا انكم أمرتم بالاشادة بها ، وانكم قمتم بالاتفاق بأنفسكم على هذه الصفقة من الاتحاد السوفييتي برغم ان السفير الروسي في القاهرة والسفارة الروسية نفسها كانت ترى أنه من الصعب ان تحصل مصر على كمية من هذا القمح في الظروف الحاضرة وان الولايات المتحدة تقوم بضغط شديد على البلاد الموردة للقمح لتمنع ارسال قمح بالثمن الى مصر . وأفهمته أننا نشعر بأن الولايات المتحدة وراء الصعوبات التي تقوم ضد الاتفاق مع هذه الدول ، وان الاتحاد السوفييتي يكسب بهذه الصفقة عدة أبناط في بلاد افريقيا وآسيا وأن مبادرته الى ارسال القمح لمصر سوف يزيد من هيبته في المنطقة كلها .

وتحدثت معه بشأن انقلاب الجزائر ، وقلت له بلسانك انكم كنتم تتوقعون قيام هذا الانقلاب منذ عامين وطالما حاولتم ان تتدخلوا وتتوسطوا لتوقفوا الخلافات بين زعماء الجزائر ، وان الرئيس في الأسبوع الماضي قال ان الانقلاب كان مفاجأة له . وقلت على لسانكم انكم قلتم لبوتفليقة انكم لا تسمحون باستعمال كلمة الخيانة ضد بن بيللا ، وان الرئيس طلب من علي صبري ان يعلن في البرلمان ان مصر تأكدت من أنه ليست هناك يد أجنبية وراء انقلاب الجزائر . وذكرت له بلسانكم كيف ان خالد محيي الدين اتصل بكم وطلب السماح بنشر خبر بأن السفير الأمريكي في الجزائر نصح الزعماء الجزائريين باعدام بن بيللا ، وان سيادتكم رفضتم ذلك ، وان علي الشلقاني [1] اتصل بأخبار اليوم من باريس وقال ان المخابرات الأمريكية وراء انقلاب الجزائر ، وقلت له بلسانكم ان الشيوعيين يريدون ان يقع خلاف بين

---

(١) كان الاستاذ علي الشلقاني أحد كبار مساعدي الاستاذ خالد محيي الدين في الاشراف على تحرير أخبار اليوم ، وهو الآن يملك ويدير واحداً من أكبر مكاتب الاستشارات القانونية في مصر .

الجزائر والقاهرة ولكن سيادتكم لا تريدون ان يقع مثل هذا الخلاف ، وذلك حتى لا تعزل مصر وتتحقق رغبة الغرب في حصارها . وان الحزب الشيوعي في الجزائر كان في خلاف مع بومدين .

وذكرت له على لسانكم انكم اجتمعتم مع شوان لاي وأيوب خان وسوكارنو ، وانكم حاولتم تسوية الخلاف بين الهند وباكستان وبين أندونيسيا وماليزيا ، وبين الصين والاتحاد السوفييتي ، لأن هذه الخلافات تضعف كتلة آسيا وافريقيا ودول عدم الانحياز وتقوي الغرب ، وان الرئيس يرى انه لولا الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتي لما جرؤت أمريكا على ضرب فيتنام . وان الرئيس يأمل ان يسوي هذه الخلافات ، وان الزعماء أجمعوا على ان كل الخلافات التي تحدث هي من تخطيط الولايات المتحدة . وان سوكارنو يعارض قيام انقلابات يقوم بها الجيش كما حدث في الجزائر حتى لا يحصل له ما حصل لبن بيللا . وان شوان لاي أعرب عن ابتهاجه بانقلاب الجزائر ، وانه قال ان الجزائر لا تعتقل الشيوعيين وانما عملاء السوفييت فقط . وان الرئيس سبق ان نصح بن بيللا بعدم اعدام العقيد الشعباني ، وان الشعباني من أهم القادة المسلمين في الجيش ، ولكن بن بيللا أخطأ باعدامه ، ولو كان بن بيللا سمع نصيحة الرئيس لما حدث له ما حدث،وان الرئيس مكث أربع ساعات في آخر مرة يحاول اقناع بن بيللا بالصلح مع بومدين ، لكن بن بيللا قال ان بومدين أضعف من أن يقوم بانقلاب .

وذكرت له ان الوفد المصري في مؤتمر هلسنكي ، على لسانكم ، انه سيتألف من خالد محيي الدين رئيساً ومجدي حسنين وسيزا نبراوي وانجي أفلاطون والدكتور أحمد خليفة وشخص آخر وهما من غير الشيوعيين بخلاف الأولين . وان الرئيس سوف يتخلص من خالد محيي الدين ويعينه سفيراً في فرنسا ، وكان خالد يريد ان يعين سفيراً باحدى الدول الافريقية ، وان خالد محيي الدين يريد بسفره الى باريس ان يعالج ابنته .

وذكرت له على لسانكم ان معبود الجبالي عين مديراً للطاقة الذرية ، واني أخشى ان يحولها الى خلية شيوعية وان سيادتكم قلتم انتم مش عايزين

الشيوعية لا في الصحافة ولا في التليفزيون أمال عايزهم فين ؟ .

وفي أسبوع آخر في احدى مقابلاتي مع بروس التي كانت تتم عادة يوم الاربعاء جرى حديث عن انقلاب الجزائر وكيف ان سيادتكم علمتم به وتألمتم له كما تألمتم عندما حدث الانفصال في سوريا، وان سيادتكم لا تريدون ان تختلفوا مع كل الدول، وان بن بيللا هو الوحيد في الجزائر الذي كان يقف معنا ، وان الرئيس يرى ان بومدين وطني ولا يناقش وطنيته وان الرئيس قام باتصالات بأصدقائه من رؤساء الدول لانقاذ حياة بن بيللا ، وانه لهذا السبب أرسل عبد الحكيم عامر الى الجزائر .

وقلت عن لسانكم ان العلاقات بينكم وبين عبد الحكيم عامر قوية جداً وانكم كالأخوة ، وأنه لا يمكن ان ينقلب عبد الحكيم عامر على الرئيس وانهم أشبه بأسرة واحدة ، وان عامر يرى ان العلاقات ستحتاج الى بضعة أشهر لتصل الى ما كانت عليه مع بن بيللا ، وان كل الاشاعات التي تذاع عن خلافات بينكم وبين عامر كاذبة لا أساس لها من الصحة .

وقلت على لسانكم ان سوريا بادرت بالاعتراف بالنظام الجديد في الجزائر اغاظة في مصر ، وان الصين سارعت بتأييد النظام الجديد لتكسب الجزائر قبل ان تكسبها روسيا وانه غير صحيح ان انقلاب بومدين انقلاب شيوعي بل هو انقلاب وطني .

وقلت له أن هناك بعض من شمتوا في سقوط بن بيللا، لا كراهية فيه ولكن كراهية في النظام الماضي ، وان الرئيس يعتقد ان هناك منظمة رجعية تقوم بنشر الاشاعات الكاذبة وانه سيقضى عليها ، وقلت على لسانكم ان جبهة التحرير في الجزائر ضعيفة جداً ، وان بن بيللا لم يهتم بها وان تنظيمها أقل من الاتحاد الاشتراكي .

وتكلمنا عن رأي المشير عامر في الحالة في الجزائر بأنها غير مستقرة بعد ، وان زعماء الانقلاب غير متفقين ولا يستبعد حدوث انقلاب ، وان الجزائريين رفضوا ان يفرجوا عن بن بيللا ويذهب الى مصر ، ولا يكون له نشاط ، وان

المشير أحضر معه من الجزائر صحيفة الشعب الجزائرية وقد كتبت عن الزيارة في العمود الأخير من الصفحة الأولى ، ونشر نص برقية الرئيس بتهنئة بومدين في صحيفة داخلية .

وتحدثنا عن الموقف في العراق وقلت بلسانكم ان العراق قد يحدث فيه ما حدث في الجزائر ، وانكم تفكرون في سحب قواتكم من العراق ، واننا سحبنا قوات ولم تبق سوى قوات مظلات . وان الناس في مصر فوجئت بانقلاب الجزائر لأنها كانت تتوقع ان يكون الانقلاب في السعودية او في تونس او في المغرب او في ليبيا . وسألني بروس هل الرئيس قلق ؟ فقلت قلق كثيراً على الحالة في المنطقة كلها .

وانه عندما قابل الرئيس النعمان قدمت له شيكولاته فيها بخت ، وان الرئيس فتح شيكولاتته فوجد فيها (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ، وورقة شيكولاتة النعمان فيها (بالصبر تنال المنى) ، وانه عندما عاد النعمان الى صنعاء أسرع اليه المشايخ يسألونه عن النقود التي أخذها من القاهرة .

وأننا عندما ننسحب من منطقة في اليمن ، يضرب اليمنيون في الجيش المصري لانهم لا يريدون ان ننسحب ، لانهم يستفيدون من وجود الجيش المصري في اليمن ، وان شعور النعمان ان لسانه معنا وقلبه مع فيصل .

وقد تحدثنا عن زيارة شوان لاي وقلت له على لسانكم ان هناك ٤٣ دولة تؤيد دخول الاتحاد السوفييتي المؤتمر[1] ، ودول أكثر من هذا العدد تؤيد دخول ماليزيا وان شوان لاي يكره الروس ، وانه كلما قابله شعر ان كراهيته للروس زادت ، وان الصينيين يعتقدون ان روسيا في جيب أمريكا ، وان الصين تتهم روسيا بأن كل الخطط الروسية ضدها تدبر في واشنطن ، وان الفرق بين خروشوف والزعماء الجدد ان خروشوف كان صريحاً في سياسته بينما ان الزعماء

---

(١) مؤتمر القمة الآسيوي الافريقي كان على وشك ان ينعقد في ذلك الوقت في الجزائر ثم تأخر بسبب اصرار الاتحاد السوفييتي على حضوره ثم ألغي بسبب التغير الذي طرأ على قمة السلطة في الجزائر بحلول بومدين محل بن بيللا .

الجدد يعملون ضد الصين حتى داخل أراضيها ، وان سيادتكم نصحتم شوان لاي بأن لا يهاجم امريكا في خطاباته في مصر حتى لا يحرج مصر .

وجرى حديث عن المعونة الأمريكية فقلت على لسانكم انكم حصلتم على المعونة الأمريكية دون ان تدفعوا أي مقابل سياسي ، خلافاً لما كانوا يقولون من أن أمريكا تطلب شروطاً للمعونة .

وقد جرى في هذا الحديث كلام عن رغبتي في أن أحصل من أخبار اليوم على اجازة طويلة وانني أتمنى اجازة سنة على الأقل وانني غير متفائل من عمل الصحف حتى لو خرج الشيوعيون من الصحافة ، وأتمنى أن أخرج من الصحافة بعد خروج الشيوعيين ، وان أعمل مراسلاً متجولاً . وقلت انني أتمنى أن أحصل على موافقة الرئيس على ذلك . فقال ان مثل هذا يعتبر خسارة ، وانني خدمت العلاقات الطيبة بين أمريكا ومصر ، وقال ان المهم هو سعادتي ، فقلت ان سعادتي هي أن أسافر في اجازة طويلة .

وفي جلسة مع بروس قبل ذلك بأسبوع جرى حديث عن المؤتمر الافريقي الآسيوي ، وقلت على لسانكم انكم متعبون من مقابلاتكم لجميع الزعماء الدوليين الموجودين في القاهرة ، ومحاولة ايجاد حلول للمشكلات في الخلاف بين الهند وباكستان ، وبين ماليزيا واندونيسيا ، وبين الصين والاتحاد السوفييتي، والمشاكل الموجودة بين الافريقيين أنفسهم ، وانكم ترون انه اذا لم تحل هذه المشاكل قبل المؤتمر فسوف يفشل،وان الذي يدفع الرئيس لحل هذه المشاكل ان قوته في وحدة المعسكر الافريقي الآسيوي .

وقلت لبروس على لسانكم أيضاً ان المارشال تيتو أرسل لكم رسالة يقترح فيها ان تؤيدوا روسيا في موقفها من فيتنام ، وان تعملوا على أن تؤيد الجزائر والهند هذا الموقف ، وكذلك الدول الافريقية ، وكذلك بالنسبة لبعض المسائل الاخرى وذلك لان روسيا في حاجة الى هذا التأييد نظراً لموقفها السيء بسبب نزاعها مع الصين ، وان تيتو سوف يزور موسكو ويقنع الزعماء الجدد بأن يعطوا معونة ضخمة للجمهورية العربية في مقابل هذا الموقف .

وتحدثنا عن معونة الولايات المتحدة ، وان هناك اتصالات مع الولايات المتحدة بشأنها ، وانكم لا تبنون آمالاً على هذه الاتصالات السرية وان هيكل قد يسافر الى أمريكا،وان السفير الأمريكي معجب بهيكل ويرحب بسفره الى الولايات المتحدة ، وان الرئيس لا يريد الاعتماد على مساعدة الولايات المتحدة لانها اذا شعرت اننا نعتمد عليها وحدها سوف تكسرنا .

وجرى حديث عن الوضع الداخلي فقلت ان سيادتكم مهتمون بتقوية الاتحاد الاشتراكي ومهتمون بالوزارة الجديدة ، وان المرشح لرياسة الوزارة هو زكريا محيي الدين .

وجرى حديث عن الشيوعيين في الصحف فقلت له على لسان سيادتكم انكم اتصلتم بخالد محيي الدين وتكلمت سيادتك معه عن استفحال الشيوعيين في الصحف ووضع حد له .

ثم قلت ان بغدادي يصلح لرياسة الوزارة وان سيادتكم ترون ان بغدادي يريد ان يكون ملكاً ، وان البغدادي استأذن في دعوة عدد من الضباط الى بيته ، وانهم كانوا يتصورون انه سيحدث لهم ما حدث في مذبحة المماليك في القلعة ، وانهم كانوا يضحكون ويقولون هذا كنكتة ، وان الرئيس لو شاء ان لا يحضر أحد من هؤلاء الضباط هذه الدعوة لما ذهب واحد منهم .

وجرى حديث عن مؤتمر الجزائر وقلت له على لسانكم ان مصر أرسلت النقاشين والعمال والبنائين للمساعدة في اتمام بناء المؤتمر .

وقلت له ان النعمان قابل الرئيس وطلب مساعدات مالية لليمن ، وان الرئيس رفض وقال انه ليس عنده نقود ، ولو كان عنده نقود فلا يدفعها لحكومة فيها سبعة من اليمنيين .

وجرى حديث عن الموقف مع أمريكا فقلت له عن لسانكم ان سبب سوء العلاقات بيننا وبين أمريكا هو اسرائيل واليمن والكونغو ، وان الرئيس

استخدم نفوذه كي يعدل أمين الحافظ [1] عن فكرته في شن حرب فورية على اسرائيل حتى أن جريدة الموند كتبت تقول ان عبد الناصر قال ما قاله بورقيبة وانما بطريقة أخرى ، وان الجمهورية العربية أوقفت مساعدتها لثوار الكونغو ، واننا نستعد للرحيل من اليمن ، وبذلك لا يكون هناك سبب للخلاف بين البلدين ولموقف أمريكا من المعونة .

وجرى حديث عن تغيير سفير الاتحاد السوفييتي وان السفير الجديد له علاقات طيبة مع زعماء الاتحاد السوفييتي الجدد بينما السفير القديم كانت علاقته طيبة مع خروشوف فقط ، وان هذا التغيير في مصلحة الجمهورية العربية المتحدة لأن السفير الجديد يتمتع بثقة الحكام الجدد ، وانه بهذا لا يحدث أي تأخير في اجابة طلبات الجمهورية العربية من الاتحاد السوفييتي .

وقلت في حديث عن العلاقات مع سوريا انها سيئة وانه الجمهورية العربية ستقوم بحملة على سوريا ، وان سوريا طلبت منا ان ندفع ايجاراً في مقابل استعمالنا للقاعدة الجوية ، وان عبد الحميد السراج سافر ليقوم بحملة ضد البعثيين في العراق ، وانه ستحدث أحداث في سوريا .

وفي اجتماع قبل ذلك بأسبوعين عرض عليّ أثناء الحديث ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة الانجليزية وفيها أن انفجاراً حدث في مدمرة مصرية ، وأن عدداً من ضباط البحرية المعارضين لناصر هم الذين قاموا بهذا التدمير انتقاماً منه ، وأن هناك ثورة في عدد من البوارج المصرية ، وأن حوادث تخريب حصلت في بوارج وسفن أخرى تابعة للاسطول المصري .

وقرأت هذه الورقة وأعدتها له .

وقلت له في أثناء روايتي عن أحاديثي مع سيادتكم أنك حدثتني بحزن بسبب وقوع انفجار في المدمرة القاهرة ، وأن هذا الانفجار حدث في الاسكندرية . وكان تعليقه أن هذا غير صحيح ، لانه لو كان هذا الانفجار

---

(١) اللواء أمين الحافظ القائم بأعمال رئاسة الدولة في سوريا في ذلك الوقت .

حدث في الاسكندرية لعرفوا بذلك . ثم شرحت كيف أن كثيراً من الضباط والجنود قتلوا ، وهم ٥ من الضباط وأصيب خمسة وأربعون اصابات سيئة وأن الانفجار حدث من الداخل ، كما أن هذه المدمرة واحدة من أحسن قطعنا .

وتحدثنا عن علاقة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية ، فقلت على لسانكم ان أمريكا تسير على سياسة القوة ، وأن الرئيس يخشى من أثر هذه السياسة على مصر والبلاد الاخرى ، وخاصة أن الاتحاد السوفييتي لم يرد رداً قوياً على هذه السياسة العنيفة .

وتحدثنا عن زيارة الاستاذ أحمد محمد محجوب [1] لسيادتكم ، وأن محجوب قال لكم انه متضايق لتغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية ، لان جريدة أخبار اليوم صادرتها الحكومة السودانية لان فيها اتجاهات شيوعية ، وأن الحكومة السودانية احتجت في السفارة المصرية في السودان ، وأن الرئيس قال أنه لا يوافق على تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية . وأن محجوب قال للرئيس انه يخاف من أن تؤثر الآراء الشيوعية المنشورة بالصحف المصرية على الشعب السوداني . وأن سر الختم [2] سيعتزل رياسة الوزارة ، وأن محجوب سيتولى رياسة الوزارة وأنه سيعين سر الختم سفيرا ، وأنه يخشى لو عين سر الختم سفيرا في القاهرة لأكله الشيوعيون . وأن محجوب قال ان عددا من ثوار الكونغو وصلوا الى السودان بأسلحة لم يستخدموها وأنهم كانوا يتشاجرون فيما بينهم ، وأن أحدهم أرسل الى حكومة السودان مذكرة رسمية يطلب فيها أن تعيد له عشيقته التي خطفها زعيم آخر ، وأن أحد زعماء الكونغو أرسل الى حكومة السودان مذكرة يقول فيها أن سائق سيارة خطف زوجته وهربت مع السائق ومعها ٤٨٠ ك ذهب . وأن الرئيس يرى تنظيم الانسحاب من مساعدة هؤلاء الناس تدريجياً . وأن محجوب عرض ارسال الاسلحة غير المستعملة الى مصر ، وأن الرئيس طلب ابقاء هذه الاسلحة للسودان . وطلب محجوب من الرئيس وضع خطة الانسحاب على أن تنفذها السودان .

---

(١) السيد محمد أحمد محجوب سياسي سوداني بارز تولى رئاسة الوزراة عدة مرات .

(٢) السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان في ذلك الوقت .

ثم أطلعني مستر بروس على مذكرة مكتوبة باللغة الانجليزية على الآلة الكاتبة وفيها :

أن الشيوعية تغلغلت في الجيش المصري .

أن ٧٠ في المائة من الجيش اما نصير للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية .

أن الشيوعيين وصلوا الى رتبة كولونيل .

فقلت له أن المعلومات التي عندي هي أنه اكتشفت خلايا قليلة شيوعية في بعض وحدات الجيش وأنه قبض عليها ، وأنني سمعت هذه المعلومات من الرئيس شخصياً . فهز رأسه وأخرج لسانه دهشة من كذب المعلومات التي في هذه المذكرة التي كانت معه .

وقد حدث قبل ذلك بأسبوع أن قلت لمستر بروس أن المشير عامر قال أمام الرئيس وأمامي وأمام علي أمين أنه ليس في الجيش شيوعيون إطلاقًا ويجب أن تعلموا ذلك جيداً .

فأراد بروس أن يرد على هذا الكلام فجاءني في الاسبوع التالي بالمذكرة التي تدعى أنه يوجد في الجيش المصري ٧٠ في المائة شيوعيون أو نصراء للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية .

فلما قلت له بأن الرئيس قال إنه كانت هناك خلايا شيوعية قضى عليها ، فتح فمه دهشة وأخرج لسانه لان هذا يخالف ما لديه من معلومات .

وفي هذه المقابلة تحدثت معه عن مقابلتكم لعلي أمين[1] . وعن أنه سيعمل لتحسين العلاقات بينكم وبين لندن . ولكني لم أخبره عن الطريقة الحقيقية التي تم الاتفاق عليها بينكم وبين علي أمين بشأن طريقة المراسلة وهي أن يكتب رسائله لسيادتكم عن طريق هيكل وأن هيكل يسلمها لكم . بل

---

(١) لم يحضر الاستاذ مصطفى أمين مقابلة الرئيس لعلي أمين ولم ير توأمه بعد مقابلة الرئيس الا للحظات في المطار أمام كل المودعين .

رأيت أن الاسلم أن أذكر له أن الرسائل سترسل لكم شخصياً أو للاستاذ سامي شرف ، وقلت انكم طلبتم اليه أن يعطي رسائله مقفولة الى السفير الذي سيرسلها لكم أو لسامي شرف .

وقلت له ان الرئيس مستعد لتحسين العلاقات مع بريطانيا وحل مسألة التعويضات ، وسيرسل مذكرة بذلك لعلي في لندن . وأن الرئيس يفضل علاقات طيبة مع حكومة العمال . وأن علي أخبر السفير البريطاني بأنه يأمل أن تؤدي رحلة السفير الى تحسين العلاقة بين البلدين .

وأن الرئيس قال لعلي أمين أنكم تعطون الشيوعيين في الصحافة أهمية أكثر مما لهم ، وأنهم في الواقع الآن أضعف مما كانوا عندما خرجوا من المعتقل ، وأنهم منقسمون فيما بينهم ويتكالبون على المناصب أكثر من اهتمامهم بنشر الشيوعية . وأن الرئيس قال ان الشعب يكره الشيوعيين المصريين وأن كل فائدتهم أنهم جسر بيننا وبين الاتحاد السوفييتي ، ويعودون بالفائدة في اغاظة أمريكا . وأن الرئيس لا يريد أن يخاطر مع الغرب ، وأنه لا يريد أن تسوء العلاقات مع روسيا . أي أن الرئيس لا يريد أن يكون تحسين علاقاته مع الغرب على حساب علاقاته مع الشرق ، بل انه يرغب في علاقات طيبة مع المعسكرين . وأن علي أمين سيقوم بالسفر الى فرنسا وألمانيا الغربية لنحصل على مساعدات منهما حتى نخفف الأزمة . لان قطع المعونة الامريكية أرهق مصر .

وجرى حديث مع بروس عن موقفنا من بريطانيا في الخليج العربي واليمن وقلت له على لسانكم أن الرئيس على استعداد أن يهدىء الحالة ، ويصل الى اتفاق مع بريطانيا باستخدام نفوذ مصر على شعوب المنطقة ، بشرط أن توقف بريطانيا مساعدتها للملكيين ضد الجمهوريين في اليمن . واذا توقفت بريطانيا عن هذا التدخل فان مصر مستعدة أن تسحب قواتها من اليمن ، أو تحل محلها قوات من القيادة العربية المشتركة . وأن الرئيس قال انه لا يريد أن تستخدم القاعدة الجوية الموجودة في ليبيا ضد مصر .

وجرى حديث مع بروس عما تقوم به المخابرات الامريكية في المنطقة ،

وذكرت على لسانكم أنكم تعتقدون أن المخابرات الامريكية تقوم بنشاط ضد مصر في كل المنطقة وأنها هي التي أسقطت الناصرية في انتخابات ليبيا ، وأسقطت الناصرية في انتخابات السودان ، وأنها تسيطر على جيش الملك فيصل في السعودية ، وأنها أقامت حصاراً حول مصر ، وأنها تسيطر على الحكم في تونس ، وأنها هي التي أقامت الحصار حولنا من السعودية ومن ليبيا ومن السودان ومن المغرب ومن تونس .

وتحدثنا عن الحالة في اليمن والعراق ، وأن لبنان يقف علنا مع الغرب . وجرى حديث عن استعمال أمريكا للقوة ، وأن الهزيمة في الكونغو كلفتنا كثيراً ، وأنه يجب جعل روسيا تقف موقفاً حاسماً في فيتنام كالموقف الذي وقفته سنة ١٩٥٦ حين هددت بتدمير باريس ولندن . واذا كان الروس يقفون هذا الموقف في فيتنام فكيف يقفون اذا تعرضت مصر لمثل هذا الخطر . وتحدثنا في هذا المعنى الذي سبق لسيادتكم أن خطبتم فيه في احدى خطبكم وأشرتم اليه .

وتحدثت اليه عن حضور الرئيس عارف الى القاهرة وأن الرئيس كلف ١٠ أطباء بفحصه وأنهم يعتقدون أنه مريض بالسرطان وأن من رأي الاطباء أن يجري الدكتور تانر هذه العملية الخطيرة . وانني عندما رأيت عارف في القصر الجمهوري لاحظت أنه مريض فعلاً وأن هذا هو السبب في زيارة عارف .

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت مع بروس وجرى حديث عن اخراج حلمي سلام من الجمهورية وقلت ان السبب أن حلمي سلام نشر كلاماً على لسان سيادتكم عن مقابلتكم لماكلوي مندوب رئيس جمهورية أمريكا وكيف أنه هدد بقطع المعونة ، وأنكم قلتم له اننا لا نريد معونة ، وأن سيادتكم غضبت من أن يروى على لسانكم موقفاً بطولياً لم يحدث ، وأنك لست في حاجة الى بطولات زائفة ، لان ماكلوي لم يهدد بقطع المعونة ، وأن سيادتكم لم تقولوا له هذا الكلام .

وتحدثنا عن الميزانية ، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنه سيخصص مبلغ ١٧ مليون جنيه ومبلغ عشرين مليون جنيه في الميزانية القادمة

لشراء قمح ، وأن هناك فكرة لخلط الخبز ورفع ثمن البترول وأنه على مكتبكم اقتراحان من وزير التموين بهذا الشأن لم تأخذ بأحدهما بعد ـ الاول رفع ثمن الخبز أو خلطه قمحاً وذرة دون اعلان ذلك ، والثاني رفع ثمن منتجات البترول .

وجرى حديث عن السد العالي وتحدثت على لسان سيادتكم بأننا باحثنا الاتحاد السوفييتي لاختصار المدة .

وتحدثنا عن وقف موسى صبري في أخبار اليوم وأن سبب وقفه هو أن الرئيس رأى أنه كان عليه أن يمتثل للاوامر ولا يتحداها .

وأن علي أمين قابل السفير البريطاني .

قبل ذلك بأسبوع جرى حديث مع بروس بشأن المعونة الامريكية وعن مقابلة السفير الامريكي للدكتورّ القيسوني ، وقلت على لسان سيادتكم أنكم غير متفائلين من أن الامريكيين سيستأنفون المعونة ، وأننا سوف ندبر أنفسنا على أسوأ الاحتمالات،أي أن أمريكا لن تستأنف المعونة.وقد قلت لبروس أنه في حالة توقف أمريكا عن اعطائنا القمح فان الرئيس سوف لا يسكت على هذا ، بل سوف يرد على ذلك بالالتجاء الى الكتلة الشرقية .

وجرى حديث عن اليمن ، وقلت له ان من رأى سيادتكم أن مسألة اليمن وحربها لن يكسبها أحد وأن الرئيس يعمل للوصول الى حل يبقي على هيبة الجيش المصري وسط الرأي العام العربي،وأن الانسحاب يجب أن يتم بطريقة مشرفة لمصر ، وأن الرئيس يعمل على الوصول الى حل لهذا الموضوع في اجتماع مؤتمر القمة العربي .

وجرى حديث عن العدوان في سان دومينجو[1] ، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم أن الاتحاد السوفييتي طلب منكم في رسالة حملها السفير

---

(١) كانت الولايات المتحدة قد قامت بعملية غزو لسان دومينجو أثارت عاصفة في أمريكا اللاتينية وفي العالم الثالث .

السوفييتي تأييد قضية العدوان على سان دومينجو في مجلس الامن عندما تثار بنفس الطريقة التي أثير بها العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ ، وأننا لم نتدخل تدخلاً مباشراً في أزمة سان دومينجو .

وجرى حديث عن موقف العرب من ألمانيا الغربية ، فقلت على لسان سيادتكم أن الاتفاق تم بأن يبدأ العراق بقطع العلاقات ، وأن العراق سيعهد الى سفارة سويسرا في بون بشئونه ، والذي سيتولى رعاية مصالحنا أفغانستان . وكان كثيرون قد تصوروا أن الرئيس عبد السلام عارف خالف اتفاقه مع الجمهورية العربية وسبقها بقطع العلاقات .

وجرى حديث عن الحكومة فقلت على لسان سيادتكم أنكم ترون أن هناك أموراً لا تعجبكم وأنها كثيرة في الحكومة التي تسير سيراً سيئاً ، وأن الشعب يريد حكومة قوية .

وجرى حديث بخصوص شراء أسلحة من روسيا وقلت له على لسان سيداتكم أنكم طلبتم من المشير عبد الحكيم عامر تخفيض نفقات الجيش لأن البلد تواجه صعوبات وأنكم ذكرتم أن هناك بعثة ستسافر لشراء أسلحة من الاتحاد السوفييتي وأنها سافرت بغرض حضور احتفالات الذكرى العشرين في موسكو. وكان ذلك ايضاحاً لموقفنا وأننا دبرنا أنفسنا على أساس أن لا نأخذ معونة من أمريكا وأن الاتحاد السوفييتي سوف يعطينا ما نحتاجه من أسلحة بأقل من قيمتها نتيجة لموقف أمريكا منا .

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت ببروس وقلت له أننا سنرسل علماء الى الصين ، على لسان سيادتكم ، وأننا سوف نصنع القنبلة الذرية ، وأنه تم الاتفاق على ذلك في زيارة شوان لاي .

وجرى حديث عن معونة القمح من أمريكا وادعاء الولايات المتحدة بأننا لم نطلب منها قمحاً ، وقلت على لسان سيادتكم أنكم تعمدتم في خطابكم أن تقولوا أننا طلبنا قمحاً من الولايات المتحدة ، لان مسئولا أمريكيا صرح في

الولايات المتحدة بأن مصر لم تطلب قمحاً ولهذا لم تعطها أمريكا ، وأن الرئيس أراد أن يقطع الحجة على هذه الدعوى .

وهناك ملاحظة وهي : تعلمون سيادتكم بأن الامريكيين يستعملون في أحاديثهم الحروف الاولى من أسماء الاشخاص والاشياء أو ألقابهم ، وقد كان يحدث في بعض الاحيان أن نذكر اسمك بحرف R وهو الحرف الأول من كلمة ريس ، وأحيانا نقول الريس ، وأحيانا نذكر اسمك P وهو الحرف الاول من كلمة President ، وفي بعض الاحيان ذكرت اسمك N وهو الحرف الاول من كلمة ناصر ، وان كان على ما أذكر أن في كل ما كتبته فيما تقدم أشرت اليك بحرف R ، وفي مناسبات أخرى كنت أشير الى الاشاعة باسم R ، والى الرجال المسئولين باسم R أيضا Responsible People .

وقد كانت المقابلات بيني وبين بروس تحدث في بيتي ، ونتناول الغداء يوم الاربعاء من كل أسبوع ، وأحياناً كان يتغير اليوم فيصبح الثلاثاء أو الخميس ، وقد تمت بعض المقابلات في مكتبي بأخبار اليوم .

وهناك بعض الأمور التي دارت بيننا في أحاديثنا في فترات لقائنا قبل ذلك ، ولا تسعفني ذاكرتي في أن أحدد تواريخها أو تتابعها بالضبط بسبب ابتعاد المدة .

فقد حدث في احدى المرات أن سألني بروس ماذا يحدث اذا أصيب الرئيس جمال عبد الناصر في حادث [1] فقلت له أنه اذا حدث شيء من هذا للرئيس عبد الناصر فسوف تتحول مصر مباشرة الى بلد شيوعي ، بل انني أخشى أن المنطقة كلها سوف تتحول الى الشيوعية ، لان جمال عبد الناصر يمثل الحاجز أمام البلاد العربية الذي يمنع الشيوعية ، فقال انه سمع أنه يوجد في الجيش شخصيات قوية يمكنها أن تقود البلاد في حالة اختفاء جمال عبد الناصر ،

---

(١) ترد هنا على لسان بروس أوديل وطبقا لما كتبه الاستاذ مصطفى أمين اشارات متعددة لاختفاء جمال عبد الناصر بالموت أو بالاغتيال وهي اشارات ملفتة للنظر !

فسألته عن أسماء هذه الشخصيات التي يقول عنها فلم يذكر اسماً واحداً .

والغريب أنه عاد في مقابلة بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاث ، وعاد يفتح الموضوع ويقول انه لا يفهم كيف أن اختفاء جمال عبد الناصر من الميدان سوف يؤدي الى أن تقع البلاد العربية في الشيوعية ، فقلت له انه اذا كان اختفاء جمال عبد الناصر نتيجة حادث اغتيال حتى لو كان القاتل مصري ، وهذا ما أستبعده ، فان المصريين سيعتبرون أن الامريكيين أو الغرب أو اسرائيل بالاتفاق مع الغرب هي التي دبرت هذا الحادث ، وسوف تكون النتيجة الاولى حدوث مذبحة في كل المنطقة ضد الامريكيين والغربيين كلهم ، وأن الذي أعلمه من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً أنه ألف جهازاً سرياً تحت الارض مهمته أن يقوم بالانتقام في حالة حدوث مثل هذا الحادث أو ما يشابهه . الذي يحدث أنه ستقوم المذبحة أولا ، ثم تجيء الفوضى ، وفي رأيي أن القوى الشيوعية المختفية والمفترقة ظاهرياً سوف تتجمع وستحدث انقلابات شيوعية في كل البلاد العربية .

فسألني بروس هل أعرف من هو رئيس هذا الجهاز السري المشرف على حوادث الاغتيالات فقلت له انني لا أعرفه ، والمعلومات التي لديّ من الرئيس أن احداً من رجاله لا يعرف أسماء هؤلاء الاشخاص ، وأنني حاولت أن أعرف من الرئيس اسم هذا الشخص فلم أستطع.وقد قال لي الرئيس مرة أن هذا الشخص ليس وزيراً وليس ظاهراً ولا يعرفه أحد حتى ولا نواب رئيس الجمهورية . فقال بروس معنى هذا أن هذا الرجل هو الذي سيخلف جمال عبد الناصر اذا حدث له شيء . فقلت له ان الذي علمته من الرئيس أن مهمة هذا الشخص هي قيادة هذه العملية السرية في المنطقة كلها في حالة حدوث أي اغتيال للرئيس جمال عبد الناصر . فقال بروس انه يهمه كثيراً أن أعرف اسم هذا الشخص . فقلت انني أعتقد أن هذا صعب جداً .

وحدث مرة أن سألني ـ ولا أذكر هل كان قبل هذا الحديث أو بعده ـ عن كمال الدين حسين وعن أن الاخوان المسلمين يعتبرونه

الزعيم المنتظر . فقلت له أن الذي أعرفه أن كمال الدين حسين متعصب دينيا ، ولكن ليس له أي قيمة شعبية ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر قالي لي أن كمال الدين حسين اعترض على الفوائد لانها ضد الاسلام،وانه عارض في القوانين الاشتراكية . فسأله الرئيس،اذا كنت لا تؤمن بالفوائد فلماذا لا تبيع الاسهم التي تملكها ؟ فقال كمال الدين حسين أخشى أن أخسر فيها . وأن الرئيس قال اذا كان كمال الدين حسين لا يريد أن يخسر بضعة جنيهات فكيف يجيء ويطالب بالغاء الفوائد ؟

وقال بروس في احد الاجتماعات أنه تلقى معلومات بأن علي صبري شيوعي وبأنه هو الذي يتجه بمصر الى الشيوعية . فقلت له ان الذي أعلمه أن على صبري ليست له أي سياسة خاصة به ، وأنه لا يمكن أن تكون له أي اتصالات بالشيوعيين بغير علم الرئيس جمال عبد الناصر،وأن الرئيس يحبه لأنه يعرف كل تفاصيل مسائل الوزارات منذ أن كان يعمل مديراً لمكتبه .

وقال بروس في مرة أخرى ان الشيوعيين يقولون ان علي صبري هو الذي يساعدهم ، وانه هو الذي اختار الوزراء ذوي الميول الشيوعية في الوزارة . فسألته عمن يعتقد أنهم شيوعيون في الوزارة فذكر اسم الدكتور نزيه ضيف واسم الدكتور خلاف ، وقال ان كمال رفعت حوله عدد من الشيوعيين .

وقال لي بروس انه علم بأن الرئيس جمال عبد الناصر قرب له في المدة الاخيرة صلاح دسوقي ، وأنه أصبح يعتمد عليه في المسائل الخارجية ، وأنه يثق به في الجهاز ، وأنه اختاره في عدة عمليات سياسية هامة ، وأن هناك أخباراً تقول انه الرجل القادم . وتصادف أن نشرت جريدة الاهرام كاريكاتورا هاجمت فيه بعنف صلاح دسوقي ، فأعطيته عدد الاهرام وقلت لو أن المعلومات التي لديك عن صلاح دسوقي صحيحة لما قبل هيكل نشر مثل هذا الكاريكاتور .

وقال لي بروس مرة انه سمع اشاعة بأن عدداً من قوات اليمن ترغب في

العودة ، وأنها تمردت في اليمن وأقيمت محاكمات في اليمن وصدرت أحكام عنيفة جدا ضد عدد من الضباط . فقلت له ان الرئيس جمال عبد الناصر أخبرني بأن الضباط تخانقوا على الذهاب الى اليمن وأنهم يستفيدون مادياً من هذا السفر ، وهناك أوامر باعطاء سيارة نصر وشقة ووظيفة لكل عائد من اليمن .

وذكر لي بروس أن الولايات المتحدة عقدت اتفاقا سريا مع المملكة السعودية بأنه في حالة ما اذا دخلت القوات المصرية أرض السعودية تحركت الطائرات الامريكية فورا لضرب الجيش المصري . فقلت له انني علمت من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه أصدر تعليمات الى الجيش المصري بعدم ضرب الأراضي السعودية .

وعند سقوط خورشوف ، أو بعد ذلك بفترة لا أستطيع تحديدها ، قال لي بروس أن تعليمات سرية صدرت من واشنطن بأن أمريكا قررت استعمال القوة ، وأن الحالة في داخل الاتحاد السوفييتي تسمح لها باتخاذ هذه السياسة دون خشية من رد فعل الروس ، وأن لديهم معلومات سرية بأن الروس لن يتحركوا ، وسوف يكتفون بالاحتجاجات . وذكر لي مرة أخرى بأن حكومة الولايات المتحدة ثائرة لاسلوب الكتابة في الصحف المصرية ، وأنه أسلوب شيوعي في الكتابة ، وأن واشنطن حللت أسلوب الكتابة في الصحف المصرية فوجدتها أشد روسية من جريدة برافدا .

فقلت له ان الرئيس جمال عبد الناصر قال لي انه يعرف أن الولايات المتحدة غيرت سياستها بعد وفاة كنيدي ، وأنها أصبحت تلجأ الى استعمال القوة ، وأنه سبق وأصدر أوامره للجيش المصري بعدم عبور السعودية ، برغم الحاح اليمنيين في ضرورة ذلك ، وأن الرئيس فعل ذلك قبل أن يعرف أن أمريكا لجأت الى سياسة القوة . وقلت له ان البلد غير شيوعي وان المقالات الشيوعية التي يكتبها الشيوعيون تحدث رد فعل عكسي في الرأي العام المصري ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر قال لي انه مسرور لانكشاف الشيوعيين المصريين أمام الرأي العام وأنه يعلم أن الناس تمقت الشيوعيين .

وقد قابلت الاستاذ سامي شرف وأبلغته ما سمعته من أن الأمريكيين

مستائين من أن الصحف المصرية تهاجم أمريكا بعنف ، وقلت له ان السياسة الامريكية تغيرت . فقال سامي اننا نعرف ذلك من قبل .

وأخبرني مستر بروس بأن الملك فيصل قال انه سيجعل اليمن « مقبرة عبد الناصر » وان فيصل استطاع أن يكسب من حرب اليمن أنه أصلح علاقاته مع الانجليز ، وأن الشيخ حافظ وهبة يقوم بتحسين العلاقات مع لندن ، بينما أن عبد الرحمن عزام يوثق العلاقة مع واشنطن ، وأن أمريكا ساعدت الملك فيصل ضد الملك سعود وأن الولايات المتحدة هي التي شجعته على التخلص من أخيه الملك سعود ، لانه لو بقي الملك سعود سنتين في الحكم لانهار الحكم السعودي كله ، وأن الخطر على الملك فيصل بأن صحته سيئة ، وقال ان زوجة الملك فيصل تكره جمال عبد الناصر لانه صادر عمارتها وأن نفوذها قوي جدا على الملك فيصل .

وهناك موضوعات أخرى تكلمنا فيها أنا وبروس خلال المقابلات بيننا ، فقد سألني بروس ذات يوم هل أعرف شخصا مسئولا في الازهر تثق فيه ؟ فسألته عن السبب . فقال ان الأزهر طلب مساعدة ثقافية من الولايات المتحدة . وأنت تعرف أنهم ليسوا تبع وزارة التربية والتعليم . وأنه يريد شخصاً موثوقاً به لمعرفة معلومات عن هذا الموضوع . فقلت له انه يمكن سؤال الباقوري وهو عنصر طيب ، وانني أرى أن من مصلحة أمريكا منح المعونة للازهر ، دون عمل دعاية كبيرة لهذا .

وحدثني مرة عن كتاب ألفه تيودور هوايت عن الرئيس جونسون ، وكان تعليق بروس أن جونسون يشبه الرئيس جمال عبد الناصر في عدة مسائل وهي أن كلا منهما معتد برأيه وجريء ولا يتراجع . وأنه سيرسل لي الكتاب لارسل نسخة منه للرئيس .

وحدثني بروس عن الحملات التي تشنها الصحافة المصرية على أمريكا ، وأنها تدل على سياسة معينة واتجاه . فقلت له ان هذه المقالات ليست موجهة ضد أمريكا ، وانها للاستهلاك المحلي . وكان هذا تعقيبا على حديث سابق .

فقد أثار بروس لهجة الصحف المصرية وقال انها عدائية إلى أمريكا ، وأن المقالات تترجم وتحلل وتصل الى نتيجة بأن مصر اتجهت الى روسيا ، وأن هذا سيمنع أي أمل في المعونة. فقلت له ان هذه المقالات ليست موجهة الى أمريكا ، وانما هي للاستهلاك المحلي ردا على الحملات الامريكية .

وقد تحدثت معه في أكثر من مرة أنني أفكر جديا في أن أطلب اجازة طويلة من عملي في أخبار اليوم ، لانني مرهق ، ومن رأيي أنه يجب أن أعتزل أي عمل صحفي اداري بعد بلوغي سن الخمسين ، وأنني أفكر في أن أكون مراسلا متجولا لاخبار اليوم ويكون مركزي في بيروت ، ولكني أخشى على حياتي في بيروت ، وقد سبق أن حذرت أن حياتي في خطر في هذه المدينة ، وطلبت منه أن يسأل أصدقاءنا عن آمن مكان في رأيهم ، من وجهة نظر سلامتي الشخصية ، يكون مركزي فيه خصوصا اذا حدث أثناء وجودي خارج مصر أي انقلاب فيها . فقال لي ان هذا يتوقف على القائمين بالانقلاب ، فاذا كان انقلابا شيوعيا فلن يكون مركزك طيبا لا في مصر ولا في أي دولة عربية في الشرق الاوسط . وقلت انني افضل أن يكون مركزي كصحفي متجول لاخبار اليوم مركزه لندن لانني أستطيع أن ألم بالاخبار بحكم معرفتي للغة الانجليزية . وقال لي بروس انك طبعا ستحصل على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر قبل أن تقوم بهذا العمل . فقلت انني طبعا سوف أطلب موافقة الرئيس ، ولن أقوم بمثل هذا العمل أو أي عمل الا بعد موافقة الرئيس . وقال لي بروس ان من رأيه أن لا أتقدم الى الرئيس طالبا الموافقة على هذا العمل قبل انتهاء مؤتمر الجزائر ، وقال انه يعلق أهمية خاصة على هذا المؤتمر ، وقال مقترحا أن أحضر المؤتمر في الجزائر ، وذكر أنه يأمل أن يكون في الجزائر .

وقد تطرق الحديث الى الموقف في الصحف بعد خروج الشيوعيين منها ، وقلت انني لا يمكن أن أنتظر حتى يخرج الشيوعيون لاقوم بعملي كمراسل متجول لاخبار اليوم . فقال بروس انك اذا أصبحت مراسلا متجولا لاخبار اليوم في الخارج ، والشيوعيون لا يزالون في أخبار اليوم ، فانهم لن ينشروا أي

مقالة من مقالاتك كمراسل متجول.وسألني ما سيكون الموقف في الصحافة بعد خروج الشيوعيين من الصحف . فقلت ان هذا متوقف على الطريقة التي سوف يتبعها الرئيس في اخراجهم ، واذا كانت هذه الطريقة ستجعل الشيوعيين حتى بعد خروجهم قادرين على الحاق الضرر بي نظرا لموقفي ضد الشيوعية . فقال بروس انه في مثل هذه الحالة فانه يحسن أن أطلب من الرئيس تعييني في وظيفة لها صفة متجولة في الخارج .

ولقد كان بروس دائما يصف الاقامة في بيروت بأنها خطر عظيم ، وأنه من الممكن قتلي في بيروت ببضعة ليرات . وقال لي مرة أن من السهل التصويب عليك ، وكان يردد أن البعثيين أو اليهود أو الشيوعيين يستطيعون أن يرتكبوا جريمة قتلي بسهولة جدا في بيروت . وقال بروس إن اصراري أن أكون مراسلا متجولا في الخارج سيجعله يفتقدني شخصيا ولكن صلاتنا ستستمر ، واقترح بروس أن أكون سفيرا متجولا غير رسمي . وقال ان من الصعب أن أسافر الى الخارج مع وجود أخي علي أمين في الخارج . وذكر بروس أن كل ما يهمه هو سعادتي الشخصية ، وقال لي لقد ساعدت الولايات المتحدة مساعدات عظيمة بغير جدال .

وأذكر في احدى مقابلاتي مع مستر جون سيدر في صيف العام الماضي أن عرض عليّ كشفا بأسماء بعض محرري أخبار اليوم وموظفيه الشيوعيين ، وطلب مني رأيي هل هؤلاء شيوعيون حقيقة أم في ركاب الشيوعيين . فأخبرته برأيي فيمن سألني عنه . وقد أحضر بعد ذلك بروس هذا الكشف وعاد يسألني عن اسم شخص طنطاوي ، وهل هناك اثنان طنطاوي ، ومن هو الشيوعي منهما ، فأجبته على سؤاله .

وحدث مرة أن سألني بروس عن اشاعة القبض على السفير المصري في الجزائر عقب انقلاب الجزائر . فقلت له إن الاشاعة صحيحة . فقال إن السفير لم يقبض عليه ولكن فتش فقط .

وعقب انقلاب الجزائر قال لي بروس معلقا على زيارة المشير أن تصرف

المشير في الجزائر كان بحماقة ، وأنه اعتبر نفسه إلها متعاليا على الجزائريين لدرجة أنهم كانوا يتساءلون من هو عامر هذا . وأنه اذا كان هذا التصرف قد تم بناء على رغبة الرئيس فان تصرف المتعالي هو الذي يسبب الضرر للعلاقات المصرية الجزائرية . وأن الرئيس لا يواجه الحقائق كما هي .

وحدث أن أشار بروس الى مقال مناهض لامريكا نشر في صفحة ٢ بجريدة الجمهورية يوم ٦/٧ وطلب مني أن أتحرى عن كاتب هذا المقال وكيفية وصول المقال الى الجريدة لانه يعتقد أن هذا المقال في صيغته الاصلية ليس صادرا عن قلم مصري ، ولكن مكتوب بقلم سوفييتي، وهو يريد أن يتوصل الى معرفة من مِنْ السوفييت على اتصال بجريدة الجمهورية ، وأن هذا قد يكون أحد رجال المخابرات السوفييتية ، وذكر أنه عند التوصل الى معرفة المصدر الحقيقي لهذا المقال ، وأنه اذا كان سوفييتيا ، فسيكون هذا برهانا للرئيس عبد الناصر على أن السوفييت يدسون المقال في الصحف .

وفي خلال شهر يونيو أطلعني بروس على صورة للسيدة قدرية صديقة السيد حسن ابراهيم وقد كتب عليها باللغة الانجليزية « نائبة رئيس الجمهورية الجديدة » . فقلت له ان هذه السيدة ليست زوجة حسن ابراهيم ، وأن الرئيس لم يوافق على زواج حسن ابراهيم بها .

وحدث في نفس المقابلة أن قدم لي ورقة زرقاء مكتوبة على الالة الكاتبة الانجليزية جاء فيها :

الكولونيل أحمد
سلاح المشاة

قبض عليه وهو يقود خلايا سرية كبيرة جدا في المشاه ، وله قوة كبيرة » .

وقد هززت رأسي بأنني لم أسمع مطلقا بمثل هذا الاسم ولم أسمع أن هناك خلايا سرية كبيرة ، وكل ما هناك أنه كانت بضعة خلايا سرية ولم تعرف بعد ميول هذه الخلايا .

ومرة أخرى قال لي انه علم أن الدكتور الشحات وطه النمر ومحمد مندور قتلوا في ظروف غامضة ، وأن هذه المعلومات وصلت اليهم عن طريق تقارير قدمت اليهم . فقلت له أن الدكتور الشحات انتحر لمرضه، وأن طه النمر لم يمت ولا يزال حيا ، وأن الدكتور مندور مات بالذبحة الصدرية [1] .

وفي مرة أخرى قال بروس انه يريد أن يعرف سر وجود المشير عامر في المستشفى . فقلت له ان المشير أجرى عملية الزائدة الدودية وأن هذا نشر في الصحف . فقال كنت أتمنى أن تكون العملية أسوأ من الزائدة الدودية . فرددت عليه بأن الذي يقال أنه حدث خلاف بين الرئيس والمشير بسبب مناقشة مصاريف الجيش ، وأنه عقب ذلك شعر المشير بتعب ، وأن الرئيس صحبه الى المستشفى وحضر اجراء العملية .

وقال لي بروس أن الحكومة الامريكية ترغب أن توصل بعض توجيهاتها الى السيد رئيس الجمهورية العربية في قالب يقبله وذلك عن طريقي بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فقلت له ان أحسن طريقة لهذا أن أقوم بتبليغ الرئيس ببعض الانباء المبكرة عن التصرفات التي ستقوم بها الحكومة الامريكية حيال مصر ، وبذلك سوف يقتنع الرئيس بأنه على بينة من هذه الامور عندما تنشر بعد ذلك في أمريكا بطريقة رسمية . وقلت له ان الرئيس لن يقبل أي توجيهات من أمريكا اذا عرضت عليه في قالب نصيحة ، اذ أنه قد ضاق صدره بالناصحين الامريكيين .

وكان الامريكيون كما تذكر سيادتكم يقولون عن عبد الحميد السراج انه شيوعي ، وتذكرون سيادتكم أنه أثناء محادثات الجلاء ، بعد العدوان ، في أمريكا أن طلب مني الامريكيون أن أرجو سيادتكم العمل على اخراج عبد الحميد السراج من الحكم في سوريا لانهم واثقون أنـه شيوعي مائة في المائة . وأذكر أن سيادتكم هزأتم بهذا الطلب ورفضتموه وقلتم ان عبد الحميد

---

(١) يلفت النظر تشابه هذه الاشاعات مع ما روج له فيما بعد - وبشدة - وعلى غير أساس - عن قتل الدكتور أنور المفتي بدس السم له.

السراج غير شيوعي وأن الامريكيين مغفلون .

وقد حدث أن قابلت عبد الحميد السراج في شهر مايو ودار حديث معه ، وقد رويته لبروس فقلت ان السراج قلق جدا بالنسبة للشيوعية وانه قال لي أنه عندما يقرأ جريدة الاخبار يشعر أنه يقرأ جريدة شيوعية مائة في المائة وكذلك مجلات آخر ساعة وروزاليوسف ، وأنه يرى أن ذلك ليسيء جدا الى الناصريين في الدول العربية ، ورجاني أن أبلغ هذا على لسانه للرئيس . وأنه منذ عام ١٩٥٩ لم ينضم احد إلى الاحزاب الشيوعية العربية ، ولكن منذ دخلت الشيوعية الى الصحافة بدأت حركة الانضمام الى الاحزاب الشيوعية . وأضاف السراج بأنه رغم أن الرئيس جمال عبد الناصر قال انه يمكنه القبض على الشيوعيين في ساعة واحدة ، الا أن الموقف حاليا قد تغير عن طريق سلاح الصحافة ، اذ تنشأ خلايا شيوعية جديدة لم يتعرف عليها بعد،وأنه عندما دخل السراج سفارة الجزائر في مصر وجد أن جميع المصريين فيها شيوعيون .

وسألني بروس عن صدى مقال عن الرئيس نشرته جريدة نيويورك تيمس وقالت فيه أن عدد الجنود المصريين في اليمن وصل الى مائة الف . وسألني مرة عن أن لديه أخباراً بأن المشير عامر ذاهب الى اليمن في رحلة سرية ، وطلب مني أن يعرف حقيقة هذا الخبر . فقلت له أن الخبر غير صحيح . وأصر أن يعرف مصدري . فأوهمته أنه مصدر موثوق به جدا وأنه شمس بدران . وسألني بأنه علم أن مصر أرسلت قوات اضافية الى اليمن . فقلت ان الذي يحدث هو استبدال القوات بنظام المناوبة أي أن وحدة تسافر وتعود وحدة أخرى . وأوهمته بأن المصدر هو شمس بدران ، بينما أن شمس لم يذكر لي شيئا من هذا ، وانما أردت أن أنفي نبأ زيادة قواتنا في اليمن .

وكان بروس دائم السؤال عن رحلات صدقي محمود ، ولعل ذلك يرجع الى ما سبق أن ادعيته بأننا نقوم بصنع قنبلة ذرية .

وأطلعني بروس على صورة تقرير عن القبض على ابن علي صبري وأن البوليس ضربه كما يضرب الجستابو الضحايا . فأنا قلت ان خبر القبض

صحيح وأن شخصيته لم تكن معروفة للبوليس ، وأن عسكري البوليس عوقب . وجاء ذكر قضية الاستيراد المتهم فيها صهر علي صبري ، وكيف أن السيد مصطفى الهلباوي كتب مذكرة يطعن فيها حكم المحكمة ، وأن حامد محمود مدير مكتب رئيس الوزارة طلب أن يعدل هذه المذكرة ، وأن سلطات حامد محمود كبيرة وأن الوزراء كانوا يجدون من الاسهل أن يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلة حامد محمود .

وكان يسألني كثيرا عن أخبار المشير ويطلب مني أن أتحرى عن بعض الانباء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره حول زيارة المشير لليمن واشتراكه في مؤتمر خمروان الذي تم في أيام ٢١ ، ٢٢ و٢٣ . وأنا أفهمته أن الغرض من أسفار المشير الى اليمن أنه يرفع معنويات القوات . وقال ان تحركات المشير واضحة في خلال هذه المرحلة الا أن أيام ٢١ ، ٢٢ و٢٣ أبريل غير معلوم عنها أي شيء ، وسألني عنها ولم أخبره عن ذلك .

وأحب يا سيادة الرئيس أن أروي لكم بأمانة تامة كيف بدأت علاقتي بالامريكيين . ففي سنة ١٩٣٥ عين والدي وزيرا مفوضا في واشنطن ، وسافرت معه وأقمت بالسفارة المصرية في واشنطن . وكنت أرغب في أن أدخل كلية لدراسة الصحافة . ولكن والدي كان يرفض أن أعمل بالصحافة وأصر على أن أدرس العلوم السياسية . ودخلت جامعة جورج تاون في مدينة واشنطن سنة ١٩٣٥ في كلية العلوم السياسية حيث حصلت على ماجستير في العلوم السياسية في عام ١٩٣٨ . وهذه الكلية هي المدرسة التي يتخرج فيها أغلب رجال السلك السياسي في أمريكا ، والذين يتولون وظائف وزارة الخارجية الصغيرة ، اذ أن الوظائف الكبيرة في السلك السياسي الامريكي كانت دائما وقفا على رجال الاحزاب ، ولم يصبح هناك سلك سياسي بمعنى الكلمة يترقى فيه الموظف الى أعلى الدرجات الا بعد الحرب العالمية الثانية عندما خرجت الولايات المتحدة من عزلتها .

وفي أثناء وجودي في واشنطن كانت السفارة المصرية تقيم حفلات يحضرها شبان موظفي الخارجية ، وكنت أدعى الى جميع الحفلات التي يقيمها

السفراء الاجانب في واشنطن . فقد كان اسمي مكتوبا في قائمة الدبلوماسيين في مدينة واشنطن باعتباري ابن السفير المصري .

وفي هذه الفترة تعرفت الى عدد ضخم من شبان وزارة الخارجية ، والى طلبة الجامعة ، وكل هؤلاء أصبحوا يشغلون بعد ذلك أهم مناصب السفارات الامريكية في العالم أو في وزارة الخارجية الامريكية . ولهذا كانت لي علاقات وصداقات مع كثير من الدبلوماسيين الذين كانوا شبانا في عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ و١٩٣٨ عندما كنت طالبا في جورج تاون .

وبعد عودتي من أمريكا واشتغالي بالصحافة التقيت بكثير من هؤلاء وجددت صداقاتي معهم . ثم حدث في أثناء الحرب العالمية أن حضر كثيرون من الشبان الامريكيين مع جيوش الحلفاء الى مصر . وكانت علاقاتي مستمرة بأصدقائي الذين كنت أعرفهم من قبل،وكان من بين هؤلاء كاي كار وهاي هولت وبرت سميث وماهوني . وكان بعض هؤلاء يعمل في مكتب مستر لندسي وزير الدولة الامريكي لشئون التموين . وفي هذه الفترة أيضا التقيت بآرشي روزفلت وكيم روزفلت[1] . وكان روزفلت يؤلف كتابا عن البترول في الشرق الاوسط .

وكنت ألتقي باستمرار مع هؤلاء جميعا وكنا نتحدث في شئون الحرب وفي كل شئون الشرق الاوسط . وكانوا يسألوني عن آرائي في الشرق الاوسط ، وكانت آرائي تختلف مع آراء الكثيرين منهم . فقد كنت في أثناء الحرب متحمسا لعلي ماهر ولسياسة عدم الانحياز[2] ، وكان رأيهم جميعا أن

---

(١) كيرميت روزفلت كان المسئول الرئيسي لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في الشرق الاوسط لسنوات طويلة .

(٢) الواقع أن الاستاذ مصطفى أمين كان مع القصر . ولم يكن علي ماهر يطالب بسياسة « عدم الانحياز » ولم تكن هناك أصلا سياسة « عدم انحياز » بل العكس فقد كان منذ البداية يرى ضرورة أن تطبق مصر معاهدة ١٩٣٦ وأن تعلن الحرب على ألمانيا . وكان بعض وزرائه وفي مقدمتهم عبد الرحمن عزام (باشا) هم الذين أقنعوه بالانتظار وبما عرف وقتها « بسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب » ، وقد استطاع بعض هؤلاء الوزراء اقناع السفارة البريطانية بأن مصلحة بريطانيا نفسها تقتضي أن لا تدخل مصر الحرب لكي لا تكون من ذلك ذريعة لألمانيا تضرب بسببها كل المرافق والمنشآت المصرية وكلها كانت في خدمة الجيوش البريطانية .

علي ماهر هو عميل الماني ، وكانوا يذكرون أن مصر سوف تخسر من سياسة عدم الانحياز في الحرب وحاولوا كثيرا اقناعي بأن مصلحة مصر في أن تدخل الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكني لم أقتنع بهذا الرأي .

وكنا في أيامها نهاجم سياسة الانجليز وحادث ٤ فبراير ، وكانوا في تلك الايام يؤيدون هذه السياسة ويدافعون بشدة عن حادث ٤ فبراير وحصار قصر الملك بالدبابات ، وكانوا يؤكدون أن لديهم وثائق سرية تؤكد أن الملك فاروق كان يتخابر سرا مع الالمان وهتلر في أثناء الحرب ، وأنهم ضبطوا هذه المناقشات . وكانت سياسة أمريكا وقتئذ أن مصر داخل منطقة النفوذ البريطاني وأنهم لن يتخانقوا مع الانجليز في أثناء الحرب من أجل مصر الواقفة على الحياد .

والتقيت في ذلك الوقت بالسفير الامريكي مستر كيرك ، وكان يدعوني باستمرار للغداء والعشاء معه ، وكان له عدة بيوت في القاهرة ، وكان لا يهمه أمر مصر اطلاقا ولا يجد لذة في أن يسمع أي شيء عنها ، وكان كل اهتمامه بالحفلات وبتأبين الانجليز في الحرب وبصابون سانلايت الذي كان يملك أغلب أسهم شركته .

وفي أثناء ذلك أمكنني أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتني صحفيا ، وقد سبقت صحفيي العالم بنشر نبأ تسليم ايطاليا ونشرته في جريدة الاهرام ، وبخبر فتح الجبهة الثانية ومكانه وموعده وأشرت اليه في مجلة الاثنين ، بل ان أحدهم وهو هاي هولت أخبرني بتوقع هجوم هتلر على روسيا ، وأردت ان أنشر هذا الخبر في جريدة الاهرام ولكن أنطون الجميل رئيس تحرير الاهرام أجل نشر الخبر ٢٤ ساعة فاذا بهتلر يهاجم روسيا في نفس الليلة . وحصلت منهم على خبر مفاوضات الصلح مع الالمان ونشرته ، وكان نقلا عن صديقة هاي هولي ، وكانت تعمل سكرتيرة لوزير الدولة البريطاني .

واستمرت علاقاتي واتصالاتي بالسفارة الامريكية بالقاهرة وبموظفيها . وحدث في سنة ١٩٤٧ أن طلب مني المرحوم النقراشي باشا رئيس الوزراء أن

أكون واسطة الاتصال بينه وبين الامريكيين لمناسبة سوء موقف المفاوضات بين مصر وبريطانيا وكنت دائم الاتصال بهم . وقد وعدونا في أول الامر بتأييد مصر في عرض قضيتها في مجلس الأمن ثم خلوا بنا بعد ذلك ، وكل ما فعلوه أن رئيس جمهورية أمريكا عرض وساطته بين الملك فاروق وانجلترا . وقد حصلت على الخطابات السرية المتبادلة بين رئيس جمهورية أمريكا والملك ، ونشرتها في أخبار اليوم ، فقامت الدنيا وقعدت ، وثار الامريكيون لهذا النشر يومها .

ثم تولى مستر تـاك منصب سفير أمريكا ، وكانت علاقتي به قوية جدا وكنت أقابله باستمرار . وفي تلك الايام تغيرت سياسة أمريكا ، وأصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد أن كانت تصر على أن تكون ذيلا لبريطانيا في المنطقة . وكان السر في ذلك أن أهمية البترول في السعودية بدأت تظهر وأصبحت لامريكا مصالح هامة في بترول هذه المنطقة . وكثيرا ما انتقدت قبل ذلك سياسة الامريكان في أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة ، وكانوا شبه منومين نوما مغناطيسيا ، ولا يصدقون الا ما يقوله لهم الانجليز .

ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتي بمستر كافري السفير الامريكي الجديد ، وكنت أقابله باستمرار ، وكان مقتنعا برأيي بان مصلحة أمريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه ، وهي أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني . وكان يكره الانجليز كراهية شديدة ، وعندما يسمعني أنتقد تصرفات الانجليز في المنطقة يهتز طربا وكأنه يسمع قطعة موسيقية . ولكنه كان يعطف على الملك فاروق ، وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشيره في المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أي شيء .

وبعد أن تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة قدرها مليون جنيه من أحمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالي من الوزارة . وأخبرت كافري بذلك فلم يصدق ، ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح . وكنت أبلغته كذلك لنجيب الهلالي . ثم زار كافرى نجيب الهلالي

وقال له انه تأكد أن الملك قبض فعلا مليون جنيه ليقيل الهلالي من رئاسة الوزارة . وعندئذ استقال نجيب الهلالي وراح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه . وهذا الموقف هو الذي جعل كافرى يغير رأيه في الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة .

وعرفني كافري بمستر ليكلاند ، وهو شاب أعور يعمل ملحقا في السفارة ، واكتشفت أنه أقوى موظف له نفوذ على كافري برغم أنه ملحق صغير في السفارة ، وكان يجيد اللغة العربية اجادة تامة ، وكان يزورني في مكتبي وفي بيتي باستمرار ، وأعتقد أنه له فضل كبير في التأثير على كافري وعلى سياسة أمريكا نحو مصر . فقد كان من رأي سفراء أمريكا المتعاقبين أن مصلحة مصر ومصلحة أمريكا في أن يتولى الوفد الحكم وأن النحاس هو أحسن حاكم لمصر وأن بعد الوفد ستجيء الشيوعية لمصر مائة في المائة . وكنت أنا أهاجم النحاس باستمرار . وكان من رأي الامريكيين أن هذا الهجوم لن يكسب منه الا الشيوعيون . ولكن كافري ما لبث أن اقتنع بغير ذلك .

وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أيقظ السفير البريطاني في واشنطن مستر دين اتشنسون وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر ، وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فورا وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة . وقال لي ليكلاند أن دين اتشنسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق الى كافري يسأله رأيه ، وأن ليكلاند هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر . وشعرت بحكم اتصالي المستمر بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه ، وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير الحقيقي . وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة، وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة وبين السفير الامريكي ، وشعرت أن ليكلاند في اجتماعاتي معه المتكررة أنه كثير الاسئلة وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لا قيمة له ، بينما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير وأكثر علما بالسياسة الامريكية من

جميع موظفي السفارة الامريكية الذين اجتمعت بهم .

وقد أبلغني صلاح سالم أنه يشعر ـ بل يعتقد ـ أن ليكلاند من المخابرات الامريكية ، وأن رأي رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الامريكية . وطلب مني أن أسأله بيني وبينه عن ذلك ، فسألته عن ذلك ، فنفى بشدة وقال انه طلب اليه أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك .

وكان ليكلاند يسألني أسئلة كثيرة جدا ولكنه كان يبدو متحمسا للثورة ومؤيدا لها ، ولم أشعر في علاقتي الوثيقة به أنه كان يخدعني أو يضللني أو يستغلني أو يوهمني أنه مع الثورة بينما هو في الواقع ضدها . وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جدا في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها .

وكان ليكلاند يحضر الى أخبار اليوم يوميا وفي بعض الاحيان يتناول الغداء معي أو نتناول العشاء عنده . وكان أهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هنا بين قادة الثورة من له ميول شيوعية ؟ وعرفت منه أن الانجليز كانوا يقولون باستمرار أن لديهم معلومات مؤكدة بأن عددا من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين ، وأن اتجاههم كلهم ضد الغرب . ومن ليكلاند عرفت أن الانجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعي ، وأن خالد محيى الدين شيوعي ، بل ان أنور السادات شيوعي أيضا . وكنت على صلة بأنور السادات فأكدت لليكلاند أنه اذا كان تفكير خالد محيى الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون أحد في مجلس الثورة من الشيوعيين بل اني على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية .

وقد انزعج الامريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين في أول قيامها . وكان الانجليز يؤكدون لهم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين . وكان الانجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين .

وقال لي ليكلاند أنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعيا وأن الانجليز مغفلون ، وأنه غير صحيح أنهم خير من يعرف المنطقة ، وأنه جعل

كافري يكتب تقارير يهاجم هذه الاراء التي كانت تقدمها السفارة البريطانية في واشنطن الى البيت الابيض والى وزارة الخارجية الامريكية . وشعرت بأن ليكلاند وكافري أمكنهما أن يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن .

وفي هذه الاثناء كان يحضر الى مصر من وقت الى آخر كيرميت روزفلت ، وكان كيرميت يقابلني ، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، وكانت مقابلاتي لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة .

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر أن كيرميت من المخابرات الامريكية وأنه عضو بارز فيها ، وأبديت فزعي من ذلك . ولكن الرئيس وافق على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت . وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار بكل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الاراء التي يبديها في مقابلاته معي .

وكنت أيضا على اتصال بمستر وزرزبي ومستر بين الموظفين بقسم الاستعلامات الامريكي ، وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما ، وكنت أشعر من أسئلتهما العديدة أنهما أيضا من رجال المخابرات . وعرفني مستر وزرزبي على ما أذكر أو المستر بين بمستر ايكل بيرجر . وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة بالرئيس وبزكريا محيى الدين .

وفهمت من أحاديثي مع المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيدا أن كل هؤلاء من المخابرات الامريكية وأنهم واثقون من ذلك، ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابرات الامريكية هي صاحبة السلطة الحقيقة في أمريكا وأنها أقوى نفوذاً من وزارة الخارجية الامريكية وأنها قادرة على رسم السياسة ، فان كثيرا من الاشياء التي كنا نطلبها من أمريكا أو نسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الامريكية قبل أن نعرفها بواسطة السفير الامريكي في القاهرة بعدة شهور .

ومع علم المسئولين المصريين وتأكدهم بأن هؤلاء جميعا من المخابرات

الامريكية ، فانهم كانوا يصرون دائما أن هذا غير صحيح وأن هذه المعلومات خاطئة ، وأن وظيفة كيرميت روزفلت مثلا هي أنه مستشار سياسي لرئيس الجمهورية . ولم يحدث مرة واحدة أن اعترف واحد منهم في أي حديث لا مباشرة ولا غير مباشرة بانهم من المخابرات الامريكية . وكان لدينا اعتقاد أن كثيرين جدا من موظفي السفارة الامريكية في القاهرة هم من المخابرات الامريكية . وكان يحدث في بعض الاحيان أن يكون أحد الموظفين من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الامريكية أن تجنده فيها .

وحدث في عام ١٩٥٤ أن حدثت أزمة محمد نجيب . وعلمت أن محمد نجيب اتصل بشخص من المخابرات الامريكية اسمه مستر لي وأن هذا الشخص كان ملازما لمحمد نجيب طوال الوقت . وأفهم محمد نجيب مستر لي أن أعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون ، وأنه يريد أن يخلص البلاد منهم ، وأنه يرغب في تأييد الولايات المتحدة له في معركة في مجلس الثورة . وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيب كل التأييد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا في الخلاص من جمال عبد الناصر وأصدقائه .

وكان كوبلاند يخبرني هو وايكل بيرجر عن تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقي ضد الغرب ، وأن مصلحة الغرب في بقاء محمد نجيب ، وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب بحكم مؤلف من الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين ، ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذي أكد مستر لي لهم أنه سيكون أصدق صديق لامريكا ولبريطانيا ، وأنه اذا انتصر فريق عبد الناصر فانه سيصبح خطرا على مصلحة أمريكا وبريطانيا لا في مصر وحدها بل في الشرق الاوسط كله .

وقد وقفت أخبار اليوم في هذه المعركة ضد محمد نجيب ، ونشرت مقالا في الاخبار بعنوان « سلاطة روسي » عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والاخوان . ونشرت في أخبار اليوم نص الحديث السري

التليفوني الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس . وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى في الرأي العام ، وأسقط محمد نجيب بين الجماهير . وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما أذكر يتصلان بي في تلك الايام باستمرار ويقابلاني يوميا ، وكنت اطلع المسئولين على المحاولات التي تبذل من أجل تأييد محمد نجيب .

ولقد شعرت يومها بأن نفوذ شخص مثل كوبلاند أقوى كثيرا من عدد من كبار موظفي السفارة الامريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب ، وأن الانجليز والمخابرات البريطانية أقدر على الحكم على الحالة في مصر منهم .

وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين في هذا الشأن . وكان الانجليز يؤكدون أن محمد نجيب هو الذي سينتصر . وحدث في هذه الايام أن بدأ ذلك بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة . وأخبرني كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية في القاهرة كانوا يتبادلون التهاني . ولقد كانت واشنطن نفسها مقتنعة برأي الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وبضرورة تأييده . وكان رأيي الذي أبديته دائما لكل من سألني منهم أن السلاطة الروسي التي يدعو اليها محمد نجيب ستنتهي بأن يستولى الشيوعيون على الحكم ، وأن من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الاجنبي في المنطقة ، من أن يتولاه عميل شيوعي يحول كل المنطقة الى مستعمرة روسية .

وفي سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة ببيل ميلر . وكان الرئيس جمال عبد الناصر على علم تام بهذا الاتصال. وكان ميلر يحضر الى مكتبي يومياً ، وكنت أبلغ الرئيس يوميا بما يقوله ميلر . وكان الرئيس يسميه على ما أذكر « أزمرلدا» أو اسما آخر لا أذكره ، وسألت الرئيس لماذا يسميه بهذا الاسم فقال أنه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها . وكان بيل ميلر يطلعني باستمرار على كل الانباء والبرقيات

الهامة التي تصل اليه ، كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذي كان من وظيفته في السفارة أن يطلع على البرقيات السرية .

وحدث في سنة ١٩٥٤ أن أخبرني ايكل بيرجر أنه اطلع على برقية سرية جدا وصلت على التو من السفير الامريكي في تل أبيب بأن الجيش الاسرائيلي سيقوم بعدوان في يوم معين على مصر ، وألح في أن لا أخبر الرئيس بهذا الامر ، وقال انه لو عرف أحد أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله . وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث . واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها .

واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسنين هيكل [1] ونقابل مستر بايرود السفير الامريكي ، واستطعنا أن ندحرجه ونعلم أن الخبر صحيح مائة في المائة . وأحضر بايرود البرقيات السرية التي وصلت اليه ، وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنا أنقل البرقية . وفعلا استطعت أن أنقل نص البرقية ، وقدمناها الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وأصدر الرئيس على الفور أمره الى الجيش المصري بالاستعداد لهذا العدوان المفاجيء .

وتم العدوان في موعده ، وكان الجيش المصري مستعدا له ، وأعطى الجيش المصري يومها درسا لليهود . وقد شكرني الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذي قمت به ، وقال إنني قد خدمت خدمة كبرى لبلادي .

ولقد كان ايكل بيرجر يسألني دائما أسئلة تدور كلها حول موقف الرئيس جمال عبد الناصر من الشيوعية ، وموقف زملائه من الشيوعية . وكنت أشعر أن أغلب المعلومات التي كانت تستند اليها اسئلته في هذا الموضوع مستندة على استفسارات تجيئه من واشنطن وأنها مستمدة من معلومات كانت تبلغ الى

---

(١) يورد الاستاذ مصطفى أمين اسمي في عدة مواضع من هذه الرسالة الوثيقة ولا أريد اعتراض النص هنا بالتوقف أمام نفي أو تصحيح ، فليس هذا مجاله .

أمريكا بطريق التسرب بواسطة جهاز المخابرات البريطاني الذي كان يعمل باستمرار على تشويه حقيقة جمال عبد الناصر ، ويضرب باستمرار على هذه النغمة لانه يعرف أن أمريكا تصاب بالجنون اذا عرفت أن الرئيس جمال عبد الناصر شيوعي .

ولقد حرصت باستمرار على ابلاغ المسئولين عن محاولات التشويه التي تقوم بها بريطانيا ضدنا وأنها تعطي أمريكا هذه المعلومات وهي تعلم أنها كاذبة . ولكن كان جهاز المخابرات البريطاني يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية في المنطقة وليس أن عبد الناصر يمثل خطرا شيوعيا .

وكان مايلز كوبلاند وميلر وايكل بيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي أنهم مقتنعون بهذا الرأي . وكانوا يقولون ان المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا ، ولكنهم مع ذلك ، ومع أنني أحسست منهم دائما بهذا الاقتناع فانهم كانوا يجيئون كل يوم ويسألونني عن أشخاص أثق جيدا أنهم غير شيوعيين ويؤكدون أنهم شيوعيون ، أو يقولون أن معلومات جاءتهم بأن لهم ميول شيوعية .

ومن الاسماء التي كانوا يكثرون من السؤال عنها ويتهمونها بالشيوعية أسماء أنور السادات وعبد الحكيم عامر وثروت عكاشة وعلي صبري وكمال رفعت وغيرهم .

بل لقد حدث مرة أن كيرميت روزفلت قال لي أن لديهم معلومات مؤكدة جدا بأن عبد الحميد السراج شيوعي مائة في المائة ،وأنها معلومات لا يتطرق اليها الشك ،وأنهم قاموا بتحريات واسعة في هذا الموضوع فأيدت ذلك ، وأن المخابرات البريطانية قامت ايضا بعمل جرد عام وفحص على عبد الحميد السراج فعرفت أنه شيوعي ،وأن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة مصر اذا استعمل عبد الناصر نفوذه في سوريا لاخراج عبد الحميد السراج من الحكم في سوريا .

وطلب مني كيرميت روزفلت أن أقول هذه الانباء للرئيس جمال عبد الناصر على أنها معلومات علمتها أثناء وجودي في واشنطن أثناء اشتراكي في مفاوضات الجلاء بعد العدوان ، لا على أنها معلومات هو مصدرها .

ولكني ذهبت الى الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودتي مباشرة من رحلتي في أمريكا وقلت له ان كيرميت روزفلت هو الذي قال لي هذه المعلومات . فقال الرئيس جمال عبد الناصر ان الامريكيين مغفلون وجهلاء ومعلومات مخابراتهم كاذبة ، وأنه لن يحارب عبد الحميد السراج بل على العكس سوف يؤ يده ويدعمه .

وقبل قيام العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان .

وكان بيل ميلر يتردد علينا باستمرار في أخبار اليوم ويؤكد هذا ، ويقول ان أمريكا لا توافق على هذا العدوان ، وما دامت هي لا توافق فلن يقوم العدوان .

ثم حدث أن أوفد الرئيس جمال عبد الناصر أخي علي أمين الى لندن للاتصال بحزب العمال المعارض وابلاغه وجهة نظرنا في تأميم القناة . وعاد علي أمين من لندن وقابلت معه ومحمد حسنين هيكل الرئيس في القناطر الخيرية ، فقال علي أمين للرئيس أن المعلومات السرية التي حصل عليها من انجلترا تؤكد بأن انجلترا ستقوم بالعدوان وأنها بدأت تستعد له وتجهز القوات التي ستقوم بهذه المهمة .

ثم سافرت أنا ومحمد حسنين هيكل الى أمريكا في مهمة أوفدنا اليها الرئيس في أمريكا أثناء عرض مسألة تأميم القناة في مجلس الامن . واتصلنا بكيرميت روزفلت وبايكل بيرجر وبعدد من كبار موظفي وزارة الخارجية الامريكية ، وأبلغنا مستر دالاس أن العدوان أصبح في ذمة التاريخ وأنه واثق أنه لن يحدث عدوان .

ولكن العدوان حدث بعد ذلك ببضعة أسابيع .

وكنا في جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الامريكية . وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا ، وكان يحدث كثيرا أن يسألني هؤلاء أسئلة عن الموقف ، ولكن كانت كلها أسئلة سياسية وليست أسئلة محددة .

وعندما أوفدني الرئيس جمال عبد الناصر في مهمة الى أمريكا أثناء العدوان ، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات في حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن في ذلك الوقت ، وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرفت أن المخابرات الامريكية فوجئت بالعدوان وأنها لم تعلم به الا قبل حدوثه بأربعة وعشرين ساعة ، وأنها لم تعلمه من لندن أو باريس وانما علمت به من تل أبيب .

وفي أيام العدوان الاولى كان بيل ميلر يزورنا يومياً في أخبار اليوم وأحياناً يقابلنا أكثر من مرة في اليوم . وكان السؤال الذي يسأله دائماً سؤالاً واحداً لا يتغير وهو هل نستطيع الصمود ، وكم ساعة نستطيع أن نقف على أقدامنا ؟ وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة في اليوم . وعندما كنت أجيبه بأننا سنستطيع الصمود ، كان يقول أنه لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة .

وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل وبالنهار تليفونياً بالرئيس جمال عبد الناصر وكنت أبلغه أولاً بأول بكل كلمة يقولها بيل ميلر في مقابلاته العديدة المتكررة .

واستطعنا أن نعرف أن أيزنهاور غاضب من أن العدوان تم وراء ظهره ، وأن ايدن استغفله . وكانت هذه المعلومات قيمة جداً في أثناء المعركة .

وكانت تجري المباحثات بشأن وقف اطلاق النار وارسال البوليس الدولي الى مصر في مكتبي بأخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل وبيل ميلر .

وكنا نبلغ الرئيس جمال عبد الناصر ، أولا بأول بكل المعلومات ، ونقوم

بمهمة الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وأيزنهاور ، حتى أن الرئيس عبد الناصر قال يومها أن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية تحت الارض .

وكنا نشعر وقتها أن رسائلنا تصل الى أيزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيراً مما لو أرسلت بطريق السفير .

وكان بيل ميلر يقول أنه يقوم بهذه المساعدات لنا في مقابل أن نعطيه سراً طائرة ميج بعد انتهاء العدوان وهزيمته . وأبلغته كذباً أن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على أن نعطيه طائرة ميج روسية ، لان الامريكيين وقتئذ كانوا يحاولون الحصول على هذه الطائرة بأي ثمن لانهم كانوا يجهلون سر صنعها .

وأبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بما طلبه بيل ميلر وبالوعد الذي أعطيته له باسم سيادتكم ، وقلت لسيادتكم انكم في أي وقت تستطيعون أن تكذبوا علمكم بهذا الموضوع أو أنكم عرفتم أي شيء عن هذا الوعد .

وعندما انتهت المعركة بانتصارنا راح بيل ميلر يطالبني بأن أطلب الى الرئيس جمال عبد الناصر تنفيذ الوعد ، وكنت أتهرب منه . وكان يلح في ذلك الحاحاً غريباً ، وكان يقابلني يومياً ولا يدور حديثه الا عن الطائرة الميج التي وعدته بها باسم سيادتكم . وكل ما حصل عليه بيل ميلر أن سيادتكم أهديتم له صورتكم تقديراً لموقفه معنا في أثناء معركة العدوان .

ولم يكن بيل ميلر يسأل أسئلة محددة ، ولكنه كان يطلب مني أن أبلغ الرئيس عبد الناصر رسائل معينة عن وجهة نظر الحكومة الامريكية في مسائل عديدة . وكنت أبلغ سيادتكم ما يطلب مني بيل ميلر ابلاغه الى سيادتكم . وكنت على اتصال وثيق بمستر بايرود السفير الامريكي ، وكنت أقابله باستمرار ، ولكن صلتي كانت أقوى بمستر ريموند هير ، لانني كنت صديقاً له منذ عام ١٩٤٠ عندما كان قنصلاً لامريكا في مصر . وكان هير يسألني في كثير من الأمور ويطلب مني ابلاغ رسائل معينة الى الرئيس جمال عبد الناصر .

وكانت أكثر اتصالاتي بمستر هير .

وذات يوم في أثناء ثورة لبنان في النصف الثاني من سنة ١٩٥٨ ، علمت من هير أنه تلقى رسالة من وزير خارجية أمريكا يطلب اليه أن يقدم انذاراً الى الرئيس جمال عبد الناصر بأن الاسطول الامريكي سيضرب فينا اذا اعتدي على الجنود الامريكيين الذين نزلوا في لبنان ، وأنه لم يتقرر بعد الموعد الذي يقدم فيه الانذار رسمياً .

ولم تكن سيادتكم موجودين في القاهرة ، فأسرعت وذهبت بعد منتصف الليل الى منزل السيد علي صبري بمصر الجديدة وأبلغته بما سمعته من هير . فقال علي صبري أن الامر خطير جداً ولا يمكن أن نسكت على هذا ، وأصر على استدعاء هير وايقاظه من نومه وذهابه اليه في قصر القبة ، وتم اللقاء بينهما وأبلغه علي صبري بأن الجمهورية العربية سترفض هذا الانذار اذا وجه اليها .

وكانت قد وصلت الى المخابرات الامريكية في بيروت معلومات بأن الجمهورية العربية أصدرت قراراً سرياً بأن يغتال عدد من رجال الاسطول الامريكي في لبنان .

وفي هذه الاثناء قامت أخبار اليوم بحملة عنيفة جدا ضد الشيوعية ، وتعرضت أخبار اليوم للاتهام في كثير من الدوائر بأن هذه الحملة موعز بها من أمريكا .

وتعلمون سيادتكم بأنكم الذين أمرتموني بهذه الحملة ، وأنكم الذين طلبتم مني طبع كتاب المجر ، وهي الكراسة الحمراء التي دفعت الحكومة المصرية نفقات طبعها ، وأن جميع هذه الحملة كنت أستشير سيادتكم فيها ، وذلك في أثناء تنظيم حملتنا على الشيوعية بعد خطاب سيادتكم في دمشق ، وكذلك الحملة التي قامت بها أخبار اليوم عن مذابح الموصل بعد ثورة الشواف .

وقد سافرت بعد ذلك الى أمريكا في مهمة أوفدتموني سيادتكم فيها ، وقد عرضت على سيادتكم بعد عودتي كل خطواتي ومقابلاتي واجتماعاتي . وقد وعدت فيها بأن أحصل للصحافة المصرية على ورق بمليون جنيه مجاناً من

أمريكا ، وتولى مستر هيـر السفير الامريكي في القاهرة ابلاغ سيادتكم ذلك بنفسه .

وكنت على اتصال يومي بسيادتكم . وكنت أبلغك تفصيلياً كل مقابلاتي مع الرجال الامريكيين الذين اتصلت بهم ، وكل ما كنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولا بأول كل الانباء التي يهمنا أن نعلم بها ، سواء ما يجري في أمريكا أو ما يجري في المنطقة العربية . وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة أو ابلاغهم مسائل معينة .

وكان الاستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائي الامريكيين . وأعتقد أنني كنت أحصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصيبة مختلفة .

وحدث بعد تعيين الاستاذ خالد محيي الدين رئيساً لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، أن قررت ايقاف اتصالي بأي أمريكي . وسألت الاستاذ سامي شرف في ذلك ، فطلب اليّ الاستمرار كما أنا . ثم حدث أن حصلت على بضعة أخبار هامة من محادثاتي مع بروس أوديل ، فأبلغتها الى سيادتكم شخصياً ، وأبلغتها الى الاستاذ سامي شرف أو الى الدكتور عبد القادر حاتم .

وعند مقابلاتي مع بروس أوديل لم يكن يوجه اليّ أسئلة محددة ، ولكنه كان هو الذي يتحدث ويتكلم كثيراً ، ثم يسألني بعض أسئلة متناثرة . ولكن في الشهور الاخيرة بدأت أسئلته تتحول الى أسئلة محددة ، وبدأ يسأل عن تفاصيل لم يكن الذين سبقوه يهتمون بها . ولقد كنت أجيبه على أسئلته . وكنت في كثير من الاحوال أضلله وأذكر على لسان سيادتكم أشياء لم تقولوها لي .ولقد كنت أتصور أنني بهذه الطريقة أستطيع أن أحصل على معلومات هامة ، وأن من واجبي أن أصحح بعض المعلومات الخاطئة وأن أوهمهم بأن قدراتنا ضخمة وأننا قادرون على نسف آبار البترول وعلى صنع قنبلة ذرية .

وعندما أعود الى نفسي وأتذكر كل ما قلت أجد أنني أخطأت ، ولكن شفيعي في ذلك حسن نيتي وأنني قدمت لبلادي نتيجة هذه الاتصالات

خدمات عبرتم سيادتكم في أكثر من مناسبة عن تقديركم لها .

هذه هي مجمل الاحاديث التي دارت تقريباً ويمكن تلخيص علاقاتي بالامريكيين بأن علاقتي الشخصية كانت طيبة دائماً بالسفراء الامريكيين في مصر وبرجال السفارة الامريكية ، وكان هدفي الوحيد دائما من هذه العلاقات في ذلك الوقت وفيما بعد خدمة بلادي .

وحدث بعد ذلك أن عرفني السفير الامريكي مستر كافري بمستر ليكلاند الملحق السياسي بالسفارة ، وهو الذي قال صلاح سالم لي بأنه يشك أنه ضابط مخابرات أمريكي . ولست أقطع بذلك ، ولكن دلت أسئلته أنه فعلا ضابط مخابرات ، ولكني كنت أتصل به بعلم الدولة .

ومنذ ذلك الحين بدأت اتصالاتي برجال السفارة الامريكية بالقاهرة الذين أشك وتدل أسئلتهم على أنهم من رجال المخابرات الامريكية . وكانت السلطات المصرية تعلم ذلك تماما وتعرف بهذه الاتصالات .

وقد بدأت هذه العلاقات بطريقة مقابلات غير منتظمة وكانت تتم في مواعيد متغيرة وغير ثابتة ، وبحضور بعض أشخاص آخرين منهم الاستاذ محمد حسنين هيكل .

وبدأت هذه المقابلات تصبح مقابلات شبه منتظمة ، وكانت تتم بيني وبينهم في بيتي على انفراد بعد طلاق زوجتي وعودتي للاقامة في منزلي ، وذلك في أواخر سنة ١٩٦٠ .

وكان يقابلني في ذلك الوقت مستر جون سيدل الملحق بالقسم السياسي بالسفارة الامريكية ، وكنت أشير الى اسمه دائماً في اتصالاتي بسيادتكم عندما أبلغكم الاخبار التي أحصل عليها منه .

وكانت علاقتي بسيدل عبارة عن مناقشات . وكان يسأل في خلالها بعض الاسئلة وأسأله بعض أسئلة أخرى ، ولم يحدث مرة واحدة أن أشعرني بأنه يسأل اسئلة محددة ، وان كان يسأل دائماً عن الحوادث الجارية ويستفسر عنها .

وفي بعض المرات كان يطلب مني ابلاغ السيد الرئيس بعض مسائل معينة ، مثل أن رئيس جمهورية أمريكا يطلب تحديد موعد ليطير فيه مستر ماكلوي مندوبه الشخصي لمحادثة الرئيس جمال عبد الناصر في أمور هامة .

واستمر الحال هكذا بعد أن جاء الى مصر مستر بروس أوديل الذي بدأ طريقته في المناقشات مثل طريقة سيدل ، ثم حدث في الشهور الثلاثة الاخيرة أن أصبح يوجه اليّ أسئلة محددة ويشير اشارات جعلتني أشعر صراحة بأنه يعمل في المخابرات الامريكية . فقد حدث أن سألته عن عنوان بيته في الاسكندرية فرفض ، وطلب مني عدم التردد على منزله في الاسكندرية ، كما طلب مني عندما أتصل بمنزله وقت غيابه في أثينا أن لا أذكر اسمي كاملاً بل أذكر مصطفى فقط . كما طلب أيضاً أنه يريد أن تكون مقابلاته لي في الاسكندرية غير ملحوظة لاحد . وكان عندما يريد ابلاغ توجيهات من الحكومة الامريكية للرئيس جمال عبد الناصر يطلب أن أبلغها للرئيس بطريقة كأنها صادرة مني ، وبدون الاشارة اليه أو ذكر اسمه .

وبهذه المناسبة أذكر أنه طلب مني أن أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الاسلوب ما يأتي :

١ ـ ان الحكومة الامريكية قررت أن لا تدفع لمصر سنتا واحداً من المعونة الا اذا سحبت كل قواتها من اليمن ، والا اذا توقفت عن مساعدة الكونغو ، والا اذا هادنت اسرائيل .

ولم أبلغ سيداتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني هل أبلغت الرئيس ما قلته ، فكذبت عليه وقلت نعم .

٢ ـ ان الحكومة الامريكية قررت انتهاج سياسة القوة والحزم قاصداً من ذلك تخويف الرئيس جمال عبد الناصر واجباره على اتباع السياسة التي تتلاءم مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة .

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني في الاسبوع التالي هل أبلغت الرئيس ما قلته لك ، فكذبت عليه وقلت نعم .

٣ ـ اشعار الرئيس جمال عبد الناصر دائماً بأن شخصية جونسون عنيفة غير مرنة ويتجه الى الاندفاع واستعمال القوة لتنفيذ رغباته .

ثم أراد أن يؤكد هذا المعنى فأرسل لي كتاباً ألفه مستر هوايت عن الرئيس جونسون وطلب مني أن اعطي هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر .

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني في الاسبوع التالي هل أبلغت ما قلته لك للرئيس عبد الناصر ، فكذبت عليه وقلت له أنني تحدثت تليفونياً مع سيادتكم وأبلغتكم كل ما قاله في هذا الشأن .

ولم أرسل لسيادتكم الكتاب كما طلب مني .

٤ ـ محاولة الوقيعة بين مصر والاتحاد السوفييتي ، فقد أعطاني عدة مرات مقالات نشرت في عدة صحف شيوعية وسوفييتية منها ما يمس مصر وطلب مني ارسالها للرئيس جمال عبد الناصر ، وكان المقصود بهذا الوقيعة بين مصر والكتلة الشرقية ، ولم أرسل لسيادتكم هذه المقالات ، وكذبت عليه وقلت أنني أبلغتها لسيادتكم تليفونياً .

٥ ـ محاولة الايقاع بين مصر والدول العربية ، وأذكر في هذا المجال ما قاله من أن الملك فيصل صرح بأن اليمن ستكون مقبرة للرئيس عبد الناصر .

٦ ـ الاشعار دائماً بعجز مصر المالي ، فقد طلب مني أن أبلغ سيادتكم بأن بنوك العالم قررت أن لا تعقد قروضا لمصر اذا ثبت أن الولايات المتحدة لن تستأنف ارسال المعونة .

ولم أبلغ سيادتكم هذا الخبر . سألني بروس بعد ذلك بأسبوع فكذبت عليه وقلت نعم أبلغت الرئيس .

وتنحصر باقي أهدافهم علاوة على ايصال هذه التوجيهات الى سيادتكم في الحصول على معلومات بعضها سياسي وبعضها عسكري وبعضها اقتصادي .

وقد كنت أرد على أسئلة بروس باجابات مضللة وغير صحيحة في

رأيي ، ولكي أضفي عليها صفة الاهمية كنت أنسبها أو بعضها الى أحاديث مزعومة مع سيادتكم والى بعض المسئولين المهمين .

وكانت اجاباتي على الاسئلة كلها توهمه بأن مصر في حالة سيئة وأنه على وشك أن يحدث فيها انقلاب شيوعي ضد الرئيس جمال عبد الناصر وأنه قلق ، وأن هناك خلايا سرية في الجيش ، وأنه لو أصيب عبد الناصر في حادث اغتيال فسوف يحدث في مصر انقلاب شيوعي وتعمم الشيوعية في المنطقة كلها ، وانني أرغب في الحصول على اجازة طويلة حتى لا أتعرض لاخطار الشيوعية في حالة حدوث انقلاب شيوعي .

ان هذا التصرف من جانبي دون توجيهات من سيادتكم كان خطأ ، وانني أعترف بخطئي ، الا أن دافعي من هذا أن أستدرجه لاحصل على أكبر قسط من المعلومات مما يفيد البلاد ، ولا أمكنه من الوصول الى أهدافه .

فاتني أن أذكر فيما يختص بسيادتكم أنه طلب مني في احدى المرات ـ ولا أذكر التاريخ ـ نص خطاب سيادتكم في الجلسة السرية لمجلس الامة ، ورغم أنني تظاهرت بأنني سأحضره الا أن الحقيقة أنني لم أسلمه اليه . .

بقي موضوع آخر أحب أن أوضحه على حقيقته بصراحة تامة مهما كان يتضمن من أخطاء ، وهو العلاقات المالية مع الامريكيين .

فقد حدث أن قال لي بروس انه لو أراد أن يكون مليونيرا لاستطاع ذلك ، فان كثيرين من الدبلوماسيين يعملون في التهريب ويربحون أرباحاً طائلة . وبعد ذلك طلبت اليه أن يأخذ خمسة آلاف جنيه مصري ويحولها الى لندن ، فقال انه لا يستطيع أن يفعل ذلك لان تعليمات السفير مشددة في عدم جواز ذلك ، ولكن ممكن أن يحولها لي بصفته الشخصية بواسطة صديق له يسافر الى بيروت ، وفي هذه الحالة يجب أن تحول أولاً الى ليرات ثم بعد ذلك الى جنيهات استرلينية ، وذلك نظير عمولة بسيطة وأن يتم البيع في السوق السوداء .

وفي حديث آخر عدت الى مناقشة هذا الموضوع معه وأشعرني أولاً أنه لا

يستطيع أن يجزم أن في مقدوره أن يقوم هو بهذا العمل ، بل يجب عليه أن يسأل أولاً عن امكانية ذلك ، وبعد ذلك أفهمني أنه يستطيع تنفيذ ما أطلب منه .

وعليه سلمته خمسة آلاف جنيه مصري في شهر مايو وطلبت منه أن يودع المبلغ في بنك ميدلاند في لندن ، وأبلغني بعد ذلك بثلاثة أسابيع تقريباً أنه تم ايداعها فعلا في البنك المشار اليه في لندن .

ثم بعد ذلك سلمته خمسة عشر ألف جنيه على دفعتين ، دفعة عشرة ودفعة خمسة ، واتفقنا على أن يحولها الى بيروت الى ليرات لبنانية ثم دولارات ويفتح حسابا لي بأسمي في بنك بيروت . وقد أفادني بأنه باع هذا المبلغ فعلا في السوق السوداء الا أنه قد باع المبلغ بسعر زهيد بسبب اغراق سوق بيروت بالجنيهات المصرية ، حسب ما ذكر لي ، نتيجة المؤتمر الفلسطيني في القاهرة .

وكان المفروض أن يبلغني يوم القبض عليّ باسم البنك الذي أودع فيه في بيروت المبلغ ، ولكن عملية القبض حدثت قبل ذلك .

وعندما تقرر سفر أخي علي أمين مندوباً متجولاً في أوروبا مركزه لندن ، رأيت أن مما يفيده أن تكون له اتصالات بأكبر عدد من الدوائر فيها ، خلاف الدوائر البريطانية ، واعتقدت أن علي أمين يستفيد صحفياً من أن تكون له علاقات طيبة مع السفارة الامريكية في لندن باعتبارها مركز أخبار هاماً نظراً لنفوذ أمريكا في أوروبا .

وفي مقابلة لي مع بروس في أوائل شهر مايو من هذا العام ، أخبرته بالموعد الذي سيسافر فيه علي الى لندن ، وأنه تقابل مع الملحق الصحفي البريطاني في القاهرة الذي أبلغه ارتياح السفير البريطاني لوجود شخص يمكن أن تتحدث معه الحكومة البريطانية ، اذ أنهم لا يرتاحون للاتصال مع السفارة المصرية هناك . وأنه سيتقابل مع السفير البريطاني بعد ذلك .

وقد سألني بروس في هذه المقابلة ان كان يعرف علي أمين حقيقة عمل بروس وجماعته ، وهل سبق له أن اتصل بأحد من المخابرات الامريكية .

وسألني ان كان علي أمين يعرف اسم بروس وان كان لم يقابله ، فأجبته بالنفي .

وقد سألني بروس هل يقبل علي أمين أن يتصل بالمخابرات الامريكية ، فقلت أن علي أمين يرحب بالاتصال بهم كصحفي .

وفي مقابلة أخرى مع بروس أخبرته أن علي أمين تقابل فعلاً مع السفير البريطاني بالقاهرة وتكلم عن موضوع التعويضات البريطانية كأحد المشاكل القائمة بين البلدين ، ثم في المقابلة التالية بعد ذلك بأسبوع ذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنكم قلتم لعلي أمين في المقابلة التي تمت معكم أنكم تعتبرون علي أمين السفير في لندن ، وأنكم أمرتموه بأن يبعث برسائل يقوم بارسالها عن طريق السفير باسمكم مباشرة ان كانت على مستوى عال من السرية ، أو باسم سامي شرف بالنسبة للرسائل الاخرى ، على أن تكون في مظاريف مغلقة ومختومة ، وهي غير الطريقة المتفق عليها كما تعلمون سيادتكم .

وقد تقابلت مع بروس بعد ذلك فوجدته يسألني عن امكانية مقابلة علي خارج لندن ، فأجبته بأن ذلك ممكن . فقال انهم يخشون ان تحس المخابرات الانجليزية بمقابلاتنا مع علي أمين ، فاقترحت عليه ان يقول الشخص الذي سيقابله انه من طرفي وان مصطفى قال انك تقابلنا خارج لندن اذا حصلت على دعوة والتذاكر . وقد سألني هل ناقشت هذا الموضوع مع علي أمين قبل سفره وانه من الممكن ان يتقابل مع أحد من المخابرات الأمريكية ، فأفدته بالايجاب . ولكن الحقيقة يا سيادة الرئيس انني لم أفاتح علي أمين في هذا الموضوع . وحدث في هذه المقابلة ان تحدثنا في امكانية التعرف بعلي أمين في لندن ، فاقترحت أن يتصل به رجلهم تليفونياً ، واذا به يرفض ذلك بشدة معللاً ان هذا سوف يثير شكوك المخابرات الانجليزية .

وفي الأسبوع التالي سألني بروس اذا كنت أذكر شخصاً كان في القاهرة سنة ١٩٤٤ اسمه أرشيبلد روزفلت ، فقلت له نعم . فقال بروس انه يعرفني وشقيقي علي ، وذكر ان أرشي هو رجلهم في لندن ، وتساءل اذا كان علي

سوف يذكره ، فأفدته اني أعرف روزفلت وانه صديقي ، ولكن لا أعرف اذا كان علي سوف يذكره ، فاقترح ان أكتب خطاباً يحمله أرشي الى علي حتى يتم التعارف او يتذكره .

وذكرتني هذه المحادثة ان المخابرات الأمريكية ليست واثقة ان كان الانجليز يعرفون حقيقة عمل أرشي روزفلت ، وانه على أي حال يجب ان تلفت مقابلاته مع علي أمين أنظار المخابرات الانجليزية . وذكرت له ان علي أمين سوف يكون شخصية مهمة في لندن ، وانه سيقوم بكثير من الاتصالات الهامة ، وضربت مثلاً بالسفير السعودي والسفراء العرب .

وتكلمنا في الخطاب الذي أرسله الى أرشي . وفعلاً كتبت الخطاب وذكرت فيه ان الذي يحمل هذا اليه هو الصلة، وأنه يمكنه الاعتماد عليه كما اعتمدنا على ابن عمه في كل ما يريد . وذكرت في الخطاب خروج الشيوعيين من الصحافة ، وان هذا سوف يتأخر الى شهر سبتمبر تقريباً ، لكن التغيرات مرتقبة في الاتحاد الاشتراكي ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر سوف يسافر الى الجزائر في آخر هذا الشهر ثم يسافر بعد ذلك الى يوجوسلافيا ، واني لا أتوقع حدوث أي تغييرات في الصحافة قبل ذلك الوقت ، كما انني علمت من الصحفي الاستاذ السعدني انه أصبح عمدة لندن (المقصود علي أمين) وانه أصبح معروفاً ، وذكرت له رأيي في كتاباته الأخيرة .

كان هذا الخطاب بتاريخ ١٩٦٥/٦/١٦ ، ومحرراً باللغة العربية ، وسلمته الى بروس ليرسله الى أرشي روزفلت .

حدث بعد ذلك في المقابلة التالية ان ذكر لي بروس انه تلقى رسالة يسألونه فيها ان كان علي أمين قد وصل الى لندن من عدمه ، وانه رد عليها بأنه وصل فعلاً وان عنوانه فندق هيلتون في لندن .

وفي مقابلة لي مع بروس في آخر شهر يونيو أخبرته بأن علي أمين اتصل بي تليفونياً يوم الأحد السابق وأنه لم ير أرشي روزفلت بعد . وسألت علي ان كان قد تلقى خطابي فأفاد بالنفي . وقد قال لي بروس لا تندهش من هذا ،

فانني أرسلت الخطاب ويجب ان يمر على ستة جهات مختلفة قبل أن يصل الى أرشي . وفي المقابلة التي تلت ذلك في ٧/٧ ذكر لي بروس خلال مقابلتي معه انه لا يستطيع ان يؤكد ان كان أرشي قد تقابل مع علي أو لا حتى ذلك التاريخ .

وأحب ان أذكّر سيادتكم بأنني كنت دائماً على اتصال بالأمريكيين ومنهم من يعملون في المخابرات الأمريكية ، وان هذا تم بعلم سيادتكم ، وان مهمتي التي وافقتهم عليها عدة مرات ، ووافقتم ان أقوم بها ، هي أن أحاول ان أحصل على معلومات وان أفهم سياستهم نحونا ، وان أحصل على برقيات سرية منهم بالطريقة التي أراها .

وفي الوقت نفسه وافقتم سيادتكم على ان أؤلف داخل أخبار اليوم جهازاً لجمع المعلومات ، وقد قدم هذا الجهاز لسيادتكم معلومات كثيرة ومتعددة في كثير من النواحي كانت موضع رضاء سيادتكم ، وانه بعد اتمام تنظيم الصحافة سألت سيادتكم ان أستمر في القيام بهذه العملية ، فأجبتم بالايجاب . ثم حدث ان سألتكم مرة أخرى بعد ان عينت رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم هل أستمر في هذه العملية أم لا ، فأمرتموني سيادتكم بأن أستمر فيها .

ولقد كان هذا الجهاز مؤلفاً من مخبري أخبار اليوم . ولقد حدث أكثر من مرة أن وافقتم سيادتكم على ايفاد عدد منهم في مهمات في سوريا أثناء الوحدة وفي العراق وفي الأردن وفي غيرها ، وكنت أرسل لسيادتكم تقاريرهم الهامة ، وكثيراً ما تفضلتم سيادتكم وأبديتم رضا كم عن عملية جمع المعلومات التي يقوم بها الجهاز ، وكنت أحاول باستمرار ان أجعل سيادتكم على علم تام بما يدور وبما نحصل عليه من أشياء ، وكنت أتحدث الى سيادتكم يومياً تقريباً وأبلغكم أولاً بأول بكل جديد .

ثم حدث بعد ذلك ان انقطع اتصالي التليفوني اليومي بسيادتكم . ومع ذلك فقد حدث أكثر من مرة ان اتصل بي الاستاذ سامي شرف وسأل عن معلومات وطلب جمعها. وأذكر على سبيل المثال مسألة اضراب سائقي

التاكسي . وعندما كنت أتحدث مع سيادتكم عن هذا الجهاز ، والاخبار التي حصل عليها سواء في مصر أو خارجها ، كنت أشعر باستمرار ان سيادتكم لا تعارضون في هذه العملية ، بل على العكس تؤيدونها وترحبون بها .

ولم يكن أحد من أعضاء هذا الجهاز يعلم أنه عضو في جهاز سري لجمع المعلومات . ولم يكن أحد منهم يعلم ان هذه المعلومات تصل الى سيادتكم . وكانت هذه المعلومات بطبيعة الحال في بعض الأحيان ليست صالحة للنشر ، أو غير مسموح بنشرها بطبيعة الظرف الذي حصل عليها فيه ، او مصدره ، أو لسريتها .

في أثناء مقابلاتي للأمريكيين ، وبعضهم يعمل في مخابراتهم ، كنت أستفيد من مناقشاتي لهذه المعلومات لأصحح الصورة الخاطئة لديهم ، أو لاقناعهم بأنني في بعض الأحيان أدس عليهم معلومات صحيحة وسط المعلومات غير الصحيحة ، حتى لا يفقدون الثقة فيّ .

وقد حدث في نهاية اتصالي بمستر بروس ، وأكاد أجزم بشهر مايو الماضي ، انه لأول مرة في أحاديثي معه انني وجدته فجأة يلح في معرفة مصادر الأخبار التي تجيء في الحديث ، فكنت أدّعي انها من سيادتكم في كثير من الحالات ، أو من مسئولين كبار ، وذكرت مثلاً اسم شمس بدران ، وحاتم ، وكولونيل في الجيش ، ومندوب لي في مجلس الأمة ومندوب لي في المطار ، وبومدين ، وعبد الحميد السراج ، قاصداً من ذلك ان أوهمه بقيمة هذه الأخبار ، وكثير منها غير صحيح ، هذا علاوة على قدرتي في التحليل السياسي .

وقد كنت قبل تأميم الجريدة أكافىء هؤلاء الناس مكافآت أكثرها من الجريدة ، وبعضها من جيبي . وعندما أممت الجريدة لم أدفع أي مكافآت من الجريدة ولم أدفع مليماً واحداً من جيبي الخاص .

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق في دودة القطن لتضارب المعلومات التي تصل الى سيادتكم ، اخترت حوالي العشرين محرراً مهمتهم جمع المعلومات السرية عن الحالة في الأقاليم .

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق عن الانتخابات وعن المرشحين واتجاهاتهم وعن المعركة الانتخابية ، أوفدت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية .

وعندما كان البعثيون في القاهرة كلفت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية ، وهي تتبع أخبارهم وتصرفاتهم في القاهرة .

وأذكر انني استفدت في الفترة الأخيرة في مناقشاتي مع بروس من تقارير بعض هؤلاء الذين كنت أستعين بهم في جهاز المعلومات السري . وكانوا يرسلون تقاريرهم لي اما الى الجريدة ، أو يرسلونها اليّ مباشرة داخل مظاريف مغلقة للعلم .

فمثلاً مصطفى سنان كان مكلفاً ـ بصفته مندوبنا في نيابة أمن الدولة وأحد موظفيها السابقين ـ بقضايا الشيوعية التي لم يكن قد صرح بنشرها بعد .

وفي مجلس الأمة اعتمدت على تقارير قدمها أحمد نجم عضو مجلس الأمة ، والذي عينه الأستاذ خالد محيي الدين لتغطية أخبار اللجان في المجلس بمكافأة شهرية قدرها أربعون جنيهاً ، والأستاذ أحمد يونس عضو مجلس الأمة وشقيق الأستاذ اسماعيل يونس المحرر بأخبار اليوم . ومما أذكره لهذه المناسبة انه لما طلب مني بروس نص حديث سيادتكم في مجلس الأمة ، كان عندي هذا عن طريقهما ـ نجم ويونس ـ الا أنني لم أسلمه اليه كما يظهر ذلك في التقارير المضبوطة .

وأمدني محمود عوض مندوب أخبار اليوم بالجهاز المركزي للتنظيم والادارة ، بخبر عن الجزائر ذكر انه استقاه من برقية بالشفرة ، وأعلم تماماً ان هذه البرقية غير صحيحة .

أما ما قلته عن وجود كولونيل في الجيش فهو غير صحيح اطلاقاً ، وقد كنت أخدع بروس في هذا .

أما مصادر حديثي في موضوع عدم زيادة قواتنا في اليمن ، وغيره مما يتعلق بالنواحي العسكرية ، فان بعضها الأول كان كلاماً لم يحدث يعبر عن

استنتاجي الشخصي ، وبعضها كان يثار من المحررين خلال مناقشات مجلس التحرير .

أما بخصوص المكافآت التي كانت تصرف للمحررين منهم فقد كانت أغلبها عن طريق الجريدة ، وهذا يمكن حصره عن طريق الكشوف والتي أمرت أنا بصرفها . واني منذ تأميم الصحف لم أدفع مليماً واحداً من جيبي لأحد هؤلاء ولا غيرهم . وان كان قد حدث قبل التأميم ان دفعت من جيبي مبالغ صغيرة ولا أذكر قيمتها نظراً لبعد المسافة من أيام تأميم الصحف سنة ١٩٦٠ الى اليوم ، وان كان الذين قدموا هذه المعلومات بعد ذلك استمروا في القيام بما أكلفهم به بغير أي مكافأة .

ومما يجدر الاشارة اليه في هذا المجال انني لم أعلم أحداً بأمر هذا التنظيم ، ولا أحد من أعضائه ، بأي شخص ، لا للذين يعملون في جهاز المعلومات أنفسهم ، ولا للمسئولين الذين تعاقبوا على الجريدة .

وأذكر ان ممن أمرت لهم بمكافآت منتظمة ، لأسباب صحفية لا علاقة لها بجمع أخبار او معلومات وانما لقيامهم بأعمال فوق أعمالهم ، نواب رؤساء التحرير أحمد زين ولطفي حسونة ووجدي قنديل وسعيد سنبل وقيمتها ١٠ جنيهات لكل منهم شهرياً ، وسامي جوهر ١٠ جنيهات في مقابل سهره في الجريدة فوق عمله ، ونبيل عصمت في مقابل سهره في أخبار اليوم فوق عمله بالأخبار ، وقد انقطع هذا المبلغ عنهما عندما توقفا عن السهر . أما ابراهيم سعدة [1] فلم أدفع له مكافآت ، وهو مكلف بالقيام بأعمال مخابرات بناء على اتفاق بيني وبين السيد صلاح نصر مدير المخابرات .

وعندما سافر علي أمين الى لندن فكرت في أن أرسل اليه جميع أوراقه وكتبه ومجموعات فكرة منذ ظهورها عام ١٩٥٢ الى اليوم ، وخطاباته الخاصة ومجموعات مشروعات كتب كان يريد اصدارها ولم يراجعها بعد .

---

(١) رئيس تحرير أخبار اليوم الآن .

وخطر في بالي ان أكلف بروس بأن ينقلها لي الى لندن بأسرع وقت .

ففي يوم ٢٦ مايو قلت لبروس ان عندي ورق في حقيبة ، وان عددها حقيبتان ، وسألته هل من الممكن ان أرسلها الى بيروت ، فأمهلني حتى يأخذ الرد . وقال انه سيسأل جماعته اذا كان في الامكان نقلها . وقلت له انني أريد ان أرسلها لأخي علي أمين . فسألني هل علي أمين في حاجة اليها الآن ، فقلت نعم انه يحتاجها ، ولقد يكون في خلال سنة . وكانت وجهة نظري بأن علي أمين يقيم في الفندق لمدة ستة أشهر على الأقل وانه سوف ينقل الى بيت بعد ذلك .

وفي خلال الحديث قلت له هل من الممكن ان آخذهم معي عند سفري أم لا ؟ .

فاعترض على ذلك وقال لا .

فأفهمته انها عبارة عن أوراق هامة .

وفي مقابلة ٦/٢ سألته عما اذا كان قد تلقى رداً بخصوص نقل هذه الأوراق ، فأجابني بأنه يمكنه ان يأخذها ويرسلها للخارج . وسأل أين يجب ان يرسلهم ، فسألته عما اذا كان من الممكن ان يرسلها الى بيروت للاستاذ سعيد فريحة ، وسألته هل هو شخص مؤتمن ؟ فأجاب بالنفي معلقاً بأنه لا يدري ما سوف يفعل سعيد فريحة بمثل هذه الأوراق اذا حصل عليها . وقال انه مندهش كيف اني أحتفظ بهذه الأوراق في بيتي ، فأبديت رغبتي في نقلها بسرعة . فسألني أين أحتفظ بها ، فقلت انها موجودة في بيتي وأنني حريص على نقلها بسرعة .

وفي مقابلة بعد ذلك بأسبوع مع بروس ، سألته متى يحضر سائقي بالأوراق ، فقال انني أخذت وقتاً طيباً وان عائلته ستسافر الى الاسكندرية واقترح أن أرسل الأوراق اليه في اليوم التالي ، وانه سيخلي منزله من الخدم . وطلب ان يحضر السائق بعد المغرب في الساعة الثامنة والنصف مساء يوم ١٩٦٥/٦/٢٤ ، وقال انه سيترك باب الجراج مفتوحاً وان على السائق ان

يدخل مباشرة داخل الجراج ، وفي الدقيقة التي سيصل فيها السائق سيخرج ويقفل باب الجراج .

وذكر ان الأميرة دينا تسكن الى جواره وان لديها حارسين أحدهما من رجال البوليس والثاني من رجال عبد الناصر ، وقال بروس لي : قد يكون هذا ليعرفوا من (يقابلها) . وقلت لبروس انني سأخبر السائق ان هذه كتب علي . وقد طلب مني بروس ان أطلب الى السائق ان يدخل الجراج بظهر السيارة وان يدخل السيارة بكاملها داخل الجراج .

وقد أرسلت له الحقائب في الموعد المحدد كالنظام المتفق عليه ، وكان عددها أربع حقائب حجمها ٨٠ في ٥٠ في ٤٠ تقريباً من حقائب الملابس ، وكانت تحتوي على خطابات علي أمين الخاصة ، ومجموعات من مقالات علي أمين ، ومجموعات من فكرة ، ومذكرات عن ثورة ١٩١٩ وحركة محمد فريد ، وصور فوتوغرافية .

وحدث في اجتماع بيني وبين بروس تم بين منتصف ابريل وأوائل مايو ، او حوالي ذلك ، ان قال لي بروس انه تلقى تقريراً من ليبيا يثبت ان الناصريين في البلاد العربية أصبحوا أضعف من أن يقتلوا ذبابة ، وان الشبان القوميين في ليبيا كانوا في الماضي متحمسين لناصر وكانوا يريدون ان ينتهزوا فرصة وفاة الملك ادريس ليقوموا بضم ليبيا الى مصر ، ولكن هؤلاء الشبان أنفسهم تحولوا بعد اكتشاف البترول في ليبيا وتدفقه وانقلبوا الى فكرة ان ليبيا لليبيين ، وبذلك أصبح ناصر لا يجد في داخل ليبيا أعواناً لهم قيمة ، بل ان الليبيين أصبحوا يكرهون المصريين ولا يثقون بهم ويعتقدون انهم يريدون الاستيلاء على ليبيا وأخذ خيراتها ، وان حكومة الملك تزداد قوة ونفوذاً .

وفي شهر مايو تقريباً كنا نتحدث أنا وبروس فقلت له ان شيئاً هاماً قد حدث وهو انفجار آبار البترول في ليبيا ، وانه أثناء حديثي مع سيادتكم سألتموني ماذا اعتقد من يكون وراء هذا الانفجار ، ولا بد ان يكونوا هم المصريون ، وان نتيجة الانتخابات كانت ضدنا ، وان أنصار مصر والناصريين قد سقطوا في الانتخابات ، واني قلت ان هذا محتمل وان أنصار الحكومة الليبية

كانت توهم أنها هزمت الناصريين في هذه الانتخابات ، وأضفت الى حديثي مع بروس انني برغم هذا الحديث مع الرئيس الا انني تلقيت معلومات جديدة تفيد ان المصريين هم الذين فجروا الآبار وان بعضهم يجري التحقيق معهم ، وان الذي رتب هذا هو عزت سليمان وأنه وكيل صلاح نصر ، وانه كان المسئول عن تهريب الرجال الى الجزائر .

فذكر بروس ان الرئيس جمال عبد الناصر قطع بأن المصريين لم يشتركوا في هذه العملية ـ أي عملية نسف آبار البترول ، فأكدت له ان منظم العملية هو عزت سليمان ، وان قول الرئيس قد يكون صحيحاً اذ ان الذين نفذوا عملية النسف قد يكونون من غير المصريين وبتخطيط وتوجيه عزت سليمان ، وان هذا رد على اسقاط الناصريين في ليبيا .

وانني أذكر لسيادتكم انني التقيت بمستر كيم روزفلت ومستر أرشي روزفلت عام ١٩٤٤ ، وذلك في مكتبي في مجلة الاثنين التي كنت أرأس تحريرها ، والذي قدمني لهما هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت .

وجاء الحديث في ذلك حول ان كيم يؤلف كتاباً عن منطقة الشرق الأوسط والبترول العربي ، وانه سيستغرق عدة سنوات لاعداد هذا الكتاب .

وقد سألني خلال هذا الحديث عن رأيي في سياسة أمريكا في المنطقة ، فقلت له ان أمريكا لا سياسة لها وانها تسير في ركاب الانجليز ضد الشعب المصري . فقال كيم اننا في حرب ، ومشاكل مصر لا قيمة لها في عملية كسب الحرب . فسألته لماذا وقفت أمريكا ضد مصر في حادث ٤ فبراير وأيدت فرض رئيس وزارة على مصر بالدبابات ، فقال لي كيم ان علي ماهر عميل ألماني وأن الملك فاروق عميل ألماني ، وان لديهم من الوثائق ما يؤكد هذا ، وان هناك خطابات سرية ضبطت تدل على ان المراسلات السرية مع ألمانيا تدور بواسطة شاه ايران ، وان السفير الأمريكي لو كان محل السفير البريطاني في هذا الموقف لاتخذ خطوات أعنف .

وكان كيم وقتها يرتدي ملابسه العسكرية كضابط في الجيش الأمريكي ، ولا أذكر رتبته . ولم يتكلم أرشي في أثناء مناقشتي مع كيم ، وكان يرتدي ايضاً ملابس عسكرية كضابط بالجيش الأمريكي .

كان هذا سنة ١٩٤٤ ، ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما او مع مندوب عنهما ، كما لم يحدث في خلال هذه المقابلة اي اتفاقات او ارتباطات بمواعيد لاحقة .

ثم حدث ان أقام مستر كافري مأدبة غداء او عشاء لا أذكر ، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠ ، فتقدم اليّ خلال هذه الدعوة كيم ويده في يد مستر كافري السفير الأمريكي ، وكان في ذلك الوقت شخصاً مدنياً ، وسألني كيم اذا كنت أذكره ، وكنت في ذلك الوقت صاحب جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة ، وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس ، فأجبت أنني أذكره وان شكله لم يتغير . وتحدثنا على ما أذكر في استنكاره سياسة أخبار اليوم في مهاجمة النحاس ، وان هذا يغير الموقف الدولي ولا يساعد على مقاومة الشيوعية في المنطقة ، فقلت له ان الفساد هو الذي يؤدي الى نشر الشيوعية وأننا نحارب الفساد ، وانتهت هذه المقابلة دون ارتباط .

ولكني أذكر هنا انني شعرت بأهميته غير العادية بالطريقة التي كان يمسك بها يد السفير ، وكان كافري مشهوراً بالعجرفة الرسمية .

وبعد تشكيل وزارة علي ماهر بعد حريق القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كنت موجوداً عند رئيس الوزارة في ذلك الحين ، ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس أيزنهاور . وقد بدت على علي ماهر مظاهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب مني الانتظار في غرفة السكرتير حتى تنتهي زيارة هذا الشخص ، فاذا به كيم روزفلت . ولكني لم أحضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء بأنه كان يتحدث في موضوع استئناف المفاوضات مع انجلترا ، وكان هذا أول اتجاه لامريكا للتدخل في سياسة مصر .

ودعيت بعد ذلك في احدى الحفلات ووجدت ان كيم موجود فيها ،

فتوجهت اليه بعد ان عرفت من علي ماهر أهميته . وتحدثت اليه عن مقابلته لرئيس الوزارة ، وقد ذكر لي ان أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التي انقطعت بين مصر وبريطانيا ، وان لندن مستعدة ان تذهب الى نصف الطريق . وانتهت المقابلة .

وكان كيم قد حضر الى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد عن يومين .

ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وحضر كيم الى القاهرة ايضاً في مهمة للاتصال بقائد الثورة . ولم أقابله في هذه المرة ، ولكني عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك في مهام كثيرة ، وقد قابلته في أغلب المرات ، وسيادتكم تعلمون انني قابلته كثيراً في هذه المرحلة .

والحقيقة انني كنت أسعى الى لقائه عندما أعلم بحضوره . وكنت أجتمع به في حضور الاستاذ محمد حسنين هيكل ، وكنا نتغدى معاً في بيتي ، وقد توطدت علاقتنا به .

وكانت مناقشاتنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان ، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب ، ورأينا انه لا يصلح ، وكانت هذه المرحلة خلال الفترة من سنة ١٩٥٣ الى ١٩٥٤ .

وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة ، وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال لدرجة انه كان في ذلك الوقت الأمريكي صاحب أقوى نفوذ من الأمريكيين في مصر ، بما فيهم السفير الأمريكي .

ولعل سيادتكم تذكرون أنكم اتصلتم بي تليفونياً في أحد الأيام ورويتم لي المشادة التي وقعت بينكم وبين مستر بايرود السفير الامريكي في منزل الدكتور أحمد حسين ، وكيف أنه نتجت عن هذا أزمة بينكم وبين السفير ، وكيف استفدت من علاقتي بكيرميت روزفلت الذي تصادف وجوده في تلك

الليلة ، وبصرته بأثر هذا الحادث السيء على أمريكا ، واستطعنا أن نرغم بايرود على الاعتذار ، وكيف أن السفير الامريكي ذهب صاغراً الى المشير عامر راجياً متوسلاً أن تقبلوا سيادتكم اعتذاره الرسمي وأسفه الشديد عما حدث ، وهو أمر لم يحدث له مثيل في تاريخ سفراء أمريكا . .

ومع ذلك ونتيجة للاتصالات المستمرة مع أصدقائنا الموجودين في القاهرة مثل ايكل بيرجر ومايلز كوبلاند ، أمكن تحويل بايرود الى رجل آخر كما تذكرون ، وأصبح موقفه مع بلادنا طيبا بشهادة سيادتكم . واختلف بايرود مع حكومته بسبب حماسه لسياسة عبد الناصر ، وأخرجه مستر دالاس وزير الخارجية من منصبه وأنزله الى سفارة من الدرجة الثالثة .

وتذكرون سيادتكم كيف أنني استطعت أن أعرف من ايكل بيرجر أن الرئيس أيزنهاور أرسل مندوباً خاصاً لمقابلتكم ، هو جورج ألن ، بعد صفقة الاسلحة ، وأنه سوف يفاجئكم بانذار من أمريكا .

ويومها قلت كلمتك المشهورة أنه اذا حدث وقدم لكم مندوب أيزنهاور هذا الانذار فسوف تطردونه من مكتبكم ، وقد أبلغت هذا الى ايكل بيرجر وكيم روزفلت ، وكان موجوداً في القاهرة وقتئذ ، وأفهمتهم أن مثل هذا الانذار سيجر كارثة عليهم .

فما كادوا يسمعون كلمة سيادتكم حتى اضطر مندوب أيزنهاور أن يؤجل موعده ٢٤ ساعة حتى يرجع الى حكومته ويبلغها انكم تنوون طرده من مكتبكم . وعلى الاثر أبرقت اليه حكومته تطلب اليه أن يقابل سيادتكم دون أن يقدم الانذار .

استمرت علاقتي مع كيم روزفلت على هذا ، عندما يحضر في مأموريات قصيرة . وكانت مأمورياته متعددة في مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة . وكنت في كل مرة يحضر فيها أتقابل معه ، وذلك اما عن طريقي بالمبادءة في الاتصال ، أو هو يتصل بي في بعض الحالات . وكنا نجتمع أيضا في منزلي في وقت الغداء في حضور الاستاذ حسنين هيكل . وكان الاستاذ

هيكل يشغل وظيفة رئيس تحرير الاخبار وأخبار اليوم في ذلك الوقت .

ولا تزال علاقتي به ـ كما تعلمون ـ قائمة ، بمعنى أنه اذا حضر أتصل به .

أقرر هنا أن اتصالاتي مع كيم روزفلت لم تحدث الا في خلال فترات حضوره في القاهرة والمرات التي سافرت فيها الى أمريكا . وكنت في كل مرة أسافر فيها الى أمريكا أحرص على لقائه ، وفي بعض المرات لم أقابله لتغيبه .

هذا بشأن كيم روزفلت .

أما بخصوص مستر ليكلاند ، والذي ذكر لي المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي ، والذي شككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل بالمخابرات ، وقد عرفني عليه السفير الامريكي كافري خلال احدى حفلات السفارة ، والذي كنت أتناقش معه في المسائل السياسية ، وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لا يتفق مع وظيفته في السفارة ، وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة في مصر .

استمرت مقابلاتي مع ليكلاند ، وكانت تتم اما في مكتبي بدار أخبار اليوم أو في مكتب الاستاذ حسنين هيكل بأخبار اليوم . وكنا نتناقش في الموضوعات السياسية ونتبادل وجهات النظر في سياسة بلدنا . وقد استمرت هذه العلاقة حتى انتهاء مهمته في القاهرة . ولا أذكر على وجه التحديد تاريخ مغادرته مصر .

وأذكر في خلال علاقتي هذه مع مستر ليكلاند أن تعرفت عن طريق مراسل الاسيوشيتد برس بالقاهرة في ذلك الوقت في سنة ١٩٥٤ بالمستر ايكل بيرجر ، وهو مستشار بالسفارة الامريكية ، وكانت مناقشاتي معه تدور حول السياسة أيضا ، وكان يعرف علاقتي بمستر ليكلاند ، وان كنا لم نجتمع ثلاثتنا الا في حفلات كبيرة .

وتعرفت في هذه الفترة أيضا بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الامريكي وكان يعمل في سفارتهم بالقاهرة ، وعرفني به وزرزبي نائب مدير

مكتب الاستعلامات الامريكي بالقاهرة في ذلك الوقت . وكانت علاقتي به جيدة وكان يحضر الى مكتبي ، وأحياناً في منزلي .

واستمرت علاقتي مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد أن انتقل الى بيروت وعمل مديراً لاحدى الشركات الامريكية هناك . ولا زلت أتقابل مع مايلز كوبلاند ، كما تعلمون سيادتكم ، في كل مرة يحضر فيها الى القاهرة أو أتوجه فيها الى بيروت ، وان كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين ، وكان يطلب مني خدمات وهي أن أتوسط لدي سيادتكم في مسائل تجارية. ولم أتحدث الى سيادتكم بخصوصها ، وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الامريكية . وفي بعض الاحيان يكتب اليّ طالباً تحديد موعد لمقابلة سيادتكم .

وكانت محادثاتي مع مايلز كوبلاند تتصف بنفس الاسلوب ، وهي المناقشات السياسية ، وهو يطوف المنطقة بعد سفره الى بيروت .

ولاحظت عند مقابلتي الاخيرة له في بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات ، وأنه ينتقل بين السعودية ولبنان ومصر . وتكلم معي في موضوع اليمن وذكر ان من مصلحتنا أن ننسحب فوراً من اليمن . ورأيي في عمل كوبلاند الحالي أنه عملية مخابرات منظمة باسم شركة .

وفي سنة ١٩٥٦ قدمني الاستاذ محمد حسنين هيكل الى مستر وليم دورات ميلر الملحق السياسي بالسفارة الامريكية . وهو كما علمنا فيما بعد أنه أحد ضباط المخابرات الامريكية . وكان اتصالي به خلال فترة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي وما بعدها .

ومكث في مصر لفترة طويلة كنت أتقابل معه خلالها باستمرار اما في مكتبي بالجريدة ، وفي بعض الاحيان في منزلي ، حيث كنا نتناقش كالعادة في الموضوعات السياسية والعلاقات المصرية الامريكية وسياسة مصر بصفة عامة ، وكنت أطلع سيادتكم يومياً على هذه الاتصالات ، وكنتم سيادتكم تسمونه (ريبركا) .

وقد أصبح ميلر الان منذ عهد كنيدي نائباً لمدير الاستعلامات الامريكي ، وهو منصب كبير جدا هناك . وأنا لا زلت على اتصال به عندما يحضر الى القاهرة ، ولم يحدث أن سافرت الى أمريكا بعد أن عين في منصبه هذا ، وتذكرون سيادتكم أنه قبل وقوع عدوان اسرائيل أخبرني ميلر بالامر الذي سيصدر للامريكيين بمغادرة مصر ، وأبلغت سيادتكم بذلك .

وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسنين هيكل على اتصال يومي ، بل وعدة مرات في اليوم ، بمستر ميلر . ولقد كنا يومها على اتصال مستمر بسيادتكم وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة بطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية وجهة نظر بلادنا ، وذلك عن طريق ميلر كما تعلمون .

وتذكرون أن فكرة البوليس الدولي ولدت أثناء اجتماعاتنا في أخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل .

ثم تفضلتم وأوفدتموني في مأمورية أثناء العدوان في أمريكا لنشر صور العدوان . وفي واشنطن علمت بأن الولايات المتحدة مترددة في قبول وجهة نظرنا بالجلاء بلا قيد ولا شرط . وقمت بعدة اتصالات وصلت بفضلها الى حل ، وهو أن اكتب مشروع تصريح تدلون به سيادتكم من القاهرة ينشر في أمريكا ، وعلى أثره تؤيد الولايات المتحدة موقفنا .

وأرسلت لسيادتكم المشروع تلغرافياً ، وحرصت في مشروع التصريح أن يعبر عن رأي سيادتكم ، وليس فيه ذرة من التفريط في أي حق من حقوق الوطن،ولكنه في الوقت نفسه يزيل المخاوف التي ترددت في الاوساط الحكومية نتيجة للمناورات البريطانية والفرنسية .

واقتضت مهمتي في أمريكا أن أتقابل مع كبار المسئولين هناك وهم على وجه التحديد شيرمان أوامس مساعد أيزنهاور ، وهمفري وزير المالية ووزير الحربية ، والسناتور فولبرايت وهمرشولد ولودج مندوب أمريكا في مجلس الأمن .

وحدث عند اجتماعي بشيرمان أوامس مساعد أيزنهاور أن سألني عما اذا

كان من نتائج العدوان على مصر انتشار الشيوعية فيها ، فأخبرته بأن موقف أمريكا في أثناء العدوان كان عاملا خلق نوعا من التوازن في المنطقة ، اذ أنه لطف من الانذار الروسي الذي لو بقي وحده دون موقف أمريكا لكان بلا جدال عاملاً قوياً في انتشار الشيوعية في هذا البلد . وقلت انه يجب أن تعمل أمريكا على الاسراع في الجلاء ، وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر . وفي هذه المناقشات اقترح أن أقابل آلان دالاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم في موضوع أثر العدوان في انتشار الشيوعية ، وقال أنه سيدبر لي هذا اللقاء .

وتقابلت مع كيرميت روزفلت وأخبرته بما حدث ، فقال ان هذا أمر مستحيل . ثم حدث أن اتصل بي كيم وقال لي ان أوامس دبر موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية . وقابلت مستر آلان دالاس في مكتبه لمدة ١٥ دقيقة وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبتنا في الاسراع بجلاء قوات العدوان في أسرع وقت وأن أي تأخير سيؤدي الى كارثة .

وقدمت تقريرا بذلك الى سيادتكم فور عودتي شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة ، ونص ما جرى فيها .

وفي سنة ١٩٥٨ التقيت عند الاستاذ محمد حسنين هيكل بمستر جويدون يونم وهو يتولى منصب الملحق السياسي بالسفارة الامريكية ، وكنا نتقابل في أخبار اليوم ونتقابل في المنزل اذا كانت معه زوجته ، ولكن مقابلات المكتب أكثر بطبيعة الحال . وكنت أتناقش معه في نفس الموضوعات التي كنت أتناقش فيها مع سابقيه .

واستمرت علاقتي معه حتى غادر مصر .

وفي سنة ١٩٥٨ أيضا كنت على اتصال بمستر روبرت أنشوتس ، وكان رئيس القسم السياسي في السفارة الامريكية ، وكان يتميز على زملائه بأنه كان كثير الاسئلة بطريقة ملفتة . وكنا نتناقش أيضا في الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا ، ولم يكلفني بارسال أي معلومات للرئيس ، بل كان يقوم بهذا يونم . وكان روبرت أنشوتس يقابلني في مكتبي وفي بيتي ، ولم يحدث أن

لاحظت أنه يعرف علاقتي مع يونم ، ولم يحدث أن تقابل ثلاثتنا معاً .

وفي أثناء ذلك عرفني مراسل جريدة نيويورك تيمس بالقاهرة في فندق كوزموبوليتان بمستر جون سيدل الملحق السياسي للسفارة ، وأعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي ، واستمر هذا في القاهرة لفترة أربعة سنوات ، وكنت أتقابل معه بمدد متقاربة ، وكنا نتفق على مواعيد ، وكانت المقابلات تتم في المكتب أو المنزل وان كان أغلبها يتم في المنزل ، وكانت مناقشتنا عن المعونة الامريكية والشئون السياسية المختلفة .

وتذكرون سيادتكم أنه هو الذي أبلغنا بنبأ الانقلاب الذي سيقوم به زياد الحريري في سوريا قبل قيامه بوقت غير قصير ، وهو أيضا الذي كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التي كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف في العراق وفي الدول العربية .

وعرفني مستر سيدل بضابط المخابرات الامريكي بروس أوديل ، الذي حل مكانه في بيته في المعادي بعد سفر الاول . وقد سبق أن شرحت الفترة الاخيرة في علاقتي مع بروس ، وهي أنه في الثلاثة شهور الاخيرة دأب على توجيه أسئلة محددة أو طلب أن أرسل لسيادتكم توجيهات الحكومة الامريكية في قالب لا يظهر أنه مصدره ولكن كاقتراح اليّ منه في مناقشتي معه ، ولعل سيادتكم تذكرون أنني في الثلاثة أشهر الاخيرة لم أبلغكم بأي شيء .

أما علاقتي السابقة به التي بدأت تنتظم بعد حريق مكتب الاستعلامات الامريكي في القاهرة . فقد كانت مقابلات تتم بيني وبينه في منزلي وكانت مناقشاتنا عن الشئون السياسية والأمور التي تشغل الاذهان ، وعلى الاخص كان يتظاهر بأنه يبلغني أنباء هامة .

وبطبيعة الحال كان لا بد في مناقشاتي مع هؤلاء جميعاً أن ألقي اليهم بعض الاخبار أقلها صحيح وأكثرها غير صحيح كنوع من الاستدراج ، وهذا يتطلب أن أذكر أخبارا غير صحيحة في بعض الاحيان لارى رد الفعل لها ، وأخبارا صحيحة قبل نشرها حتى يمكن أن يطمئنوا الى ما أقوله لهم . وفي

بعض الحالات لم أستطلع رأي سيادتكم فيما ذكرته من أخبار صحيحة ، وذلك فقط في محادثاتي الاخيرة مع بروس أوديل بسبب انشغال سيادتكم ، وقد سبق أن ذكرت ما قلته لبروس أوديل بالتفصيل في صدد مذكرتي هذه .

وهناك شخصان كنت أتصل بهما باستمرار أيضا وهما توماس سورنسون الملحق الصحفي بالسفارة الامريكية من ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٠ ، وريتشارد هلجرسون الملحق الصحفي أيضا من سنة ١٩٦٠ .

وكنت اقترحت على الذين أجتمع بهم من الامريكيين أن يتبادل الرئيس أيزنهاور خطابات مع الرئيس جمال عبد الناصر حتى تكون بينهما علاقة مباشرة يستطيع كل منهما أن يفهم وجهة نظر الآخر . ولكن أيزنهاور لم يوافق على هذا الاقتراح لانه اذا كتب لعبد الناصر فيجب أن يكتب لكل رؤساء الدول العربية الاخرى حتى لا يغضبوا من هذا الاتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر وحده . ولكن سورنسون اقتنع بالفكرة . فلما عين الرئيس كنيدي شقيق سورنسون مساعداً له أقنعه بهذه الفكرة وبدأت الخطابات المتبادلة بين الرئيس كنيدي وسيادتكم .

وملخص اتصالاتي في المدة الاخيرة مع بروس هو أن كلا منا كان يمارس ضغطاً على الآخر ، هو يحاول أن يضغط على سيادتكم بواسطتي ، وأنا أضغط عليه بأحاديثي معه أنه اذا قضي على عبد الناصر فسيكون نتيجة ذلك انقلاب شيوعي ، والفرق بيننا أن ضغطه على سيادتكم لم يصل اليكم كما تعلمون ، وأن ضغطي عليه كان يصل الى واشنطن باستمرار . فمن رأيي أن الامريكيين لا يساعدون مصر الا اذا شعروا أن هناك خطرا من الشيوعية عليها ، ولا يتوقفون عن الضغط على ثورتنا الا اذا عرفوا أن بعد عبد الناصر انقلاب شيوعي مائة في المائة . ولم يحدث في أثناء اجتماعاتي بهؤلاء أن عرفت أسماء العملاء الذين يشتغلون معهم ، ولو عرفتهم لسارعت في التبليغ عليهم . ولم تكن ثقتهم بي تسمح لهم بأن يفشوا لي عن هذه المسائل . ولم يكلفني أحد من المسئولين المصريين أن أسأل أو أبحث عن أمر هؤلاء العملاء ، ولو كنت تلقيت أي تعليمات أو توجيهات في هذا الشأن لما ترددت في الحصول عليها .

وقد كانت كلِ اهتماماتي في هذه الاجتماعات هي من الوجهة السياسية ومن الوجهة الصحفية .

أما بخصوص الاوراق التي ضبطت مع بروس يوم القبض عليّ يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٥ والتي أطلعتني عليها نيابة أمن الدولة ، فأقرر بشأنها أنني لا أعلم شيئا عن ورقة الاسئلة ولا أعلم ان كان بروس ينوي أن يسألني كل هذه الاسئلة من عدمه ، ولم يخرجها أمامي فِي أثناء الحديث الا ـ أنه سألني عن السؤال الاول وهو ما أتوقع أن يكون خطاب السيد الرئيس يوم ٢٢ يوليو ، ولم أقل له أكثر من كلمة أنني أتوقع أن يتناول الخطاب المسائل الداخلية والدولية وما قدمه الاتحاد السوفييتي لنا من معونة القمح الروسي بغير أن يطلب شروطا . ولم يكن يكتب في ورقة أمامي ، وان كانت عادته في المرات السابقة أن يخرج ورقة ويكتب فيها رؤوس مواضيع فقط . وانني أستشهد برئيس النيابة الذي تولى عملية القبض بأن الورقة المضبوطة لم تكن أمامي ولا أمامه وانما كانت في جيبه ، وقد ذكرت هذا في أقوالي ، وباطلاعي على ما ورد في ترجمة التقرير الذي كتبه بروس بخطه فان الذي ورد فيه موضوعات لم تطرق في الجلسة الاخيرة ، وانما ورد على لساني بعض ما جاء فيها من مقابلات حدثت من ثلاثة شهور على الاقل ، وهي على التحديد ما يلي :

أذكر أنني قلت على لسان سيادتكم أنكم منحتم أكثر من اللازم في فترة قصيرة وأن هناك ليست ميزات جديدة لكي يمكن منحها .

وبخصوص تغيير العملة أذكر أنه سألني منذ أكثر من ثلاثة شهور أن لديهم معلومات أننا قررنا تغيير العملة وأنني أجبت على لسانكم بالنفي .

وبخصوص مناقشات حول سياسة ج . ع . م . انه قال أنه لو اهتم جمال عبد الناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فان الحكومة الامريكية مستعدة أن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة . فقلت له على لسان سيادتكم أنكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجي لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً،ولو أننا بقينا على

حالنا في الداخل لما استطعنا أن نتحول الى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك لقدرتنا في الخارج . .

وقلت له على لسانكم انكم تعلمون أن كل ما يحدث من حركات ضدنا من الخليج الفارسي الى المغرب هو من تخطيط وعمل المخابرات الامريكية . ولكن هذا الحديث جرى من حوالي أربعة أو خمسة شهور ، ولم يكن في المقابلة الاخيرة .

سيادة الرئيس

وأحب أن أثير سؤالاً ، هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالاتي بالمخابرات الامريكية أو الامريكيين المسئولين يساوي ما قدمته لهم ؟

والجواب على ذلك أنني لم أتقاض ثمن هذه الصلة مالاً أو مرتباً شهرياً أو سنوياً ، انما جاء المقابل في الصور الآتية فقط :

١ ـ أخبار أمدني بها المسئولون الامريكيون ورجال المخابرات الامريكية خلال هذه السنوات العديدة . وكنت أتولى نشرها في أخبار اليوم والاخبار وباقي صحف الدار وننفرد بها دون باقي الصحف الاخرى التي تصدر في القاهرة ، أدت الى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالي أدت الى زيادة ايراداتها .

ومن هذه الاخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين ، وكانت تجري سراً في أوروبا في ذلك الحين . وكانت أخبار اليوم أول جريدة في العالم سبقت بنشر هذا النبأ .

كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية . وكذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في أوروبا . وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذي سيقوم به هتلر على روسيا . وكذلك أول خبر عن مفاوضات ايطاليا للتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية . كذلك أول خبر عن أن الروس بدأوا يعرفون سر القنبلة الذرية .

٢ ـ وبهذه الصلة حصلت على امتياز اصدار مجلة المختار ، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً . وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز اصدار هذه المجلة .

٣ ـ وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة ، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغا كبيراً سنوياً .

٤ ـ وبهذه الصلة حصلت أخبار اليوم وصحفها على اعلانات من شركات أرامكو و .T. W. A وبان أمريكان ، وكانت كل الصحف الاخرى كالاهرام مثلا تأخذ نفس القدر من الاعلانات .

٥ ـ وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه ، وهو الورق الذي تسلمته الحكومة المصرية . ولكني كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لانه وزع على الصحف بنسبة توزيعها،فحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق ، وكان الورق الذي اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق ، فربحنا بطبيعة الحال .

٦ ـ حاولت أن أستفيد من هذه الصلة في شراء مطابع جديدة من أمريكا . وطلبت منهم أن يعاونوني في أن أحصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الامريكي لشراء مطبعة ، وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠٠ ألف جنيه ، فلم يوافق البنك لانه يطلب ضماناً من الحكومة المصرية ولان تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للصحف .

٧ ـ وبهذه الصلة أمكنني أن أوفد أم كلثوم لتعالج في أمريكا بالذرة بدون مقابل .

٨ ـ وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي من الامريكيين على معلومات هامة وخطيرة عن موعد هجوم اسرائيل سنة ١٩٥٤ ، وقد هم سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة . وجميع الاخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالاقليم السوري ، وجميع الاخبار عن الحالة في العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم ، وجميع أخبار الموقف في السعودية

بعد الازمة التي وقعت بيننا وبين سعود . وأنا الذي أخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع أحمد أبو الفتح [1] وسعيد رمضان . وبعد أن أبلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم أنكم بوسائلكم الخاصة عرفتم تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة .

(امضاء)
مصطفى أمين

هذا الاقرار والالتماس المكون من ستين صفحة الموقع عليه مني محرر بمعرفتي وقد ضمنته تفاصيل اتصالاتي برجال السفارة الامريكية التي تمت بعد استئذان السلطات وموافقتها وليست هناك اتصالات أخرى غير ما دونت باقراري هذا .

٥ / ٨ / ١٩٦٥ .

(امضاء)
مصطفى أمين »

---

(١) الاستاذ أحمد أبو الفتح أخ غير شقيق للاستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة « المصري » ، وقد حوكم الاستاذ محمود أبو الفتح بتهمة الاتصال بدول حلف بغداد ، وأصدرت محكمة ثورة ـ كان أنور السادات أحد أعضائها ـ حكما باغلاق الجريدة ، وفيما بعد كان آل أبو الفتح ـ المقيمون وقتها في سويسرا ـ وراء انشاء محطة اذاعة « مصر الحرة » التي كانت موجهة الى الشعب المصري أثناء حرب السويس .وكانت دول الحلف هي التي تمولها ، والاستاذ أحمد أبو الفتح يكتب الآن مقالات أسبوعية في أخبار اليوم .

الفصل الثاني
خواطـــر واحتمـــالات

. . . لم أشعر بالوقت وأنا جالس ، مكب بحواسي كلها على هذه الرسالة ـ الوثيقة .

ونظرت إلى ساعتي بعد الفراغ منها فاذا هي قد استغرقتني لساعتين كاملتين . . . قرأتها كلها ثم أعدت قراءة بعض الفقرات فيها . . . أكثر من مرة في بعض الاحيان .

وتنبهت الى اختلاف مشاعري بعد قراءة الرسالة ـ الوثيقة ـ عما كانت عليه قبلها . . .

لقد تبدد فجأة ذلك الاحساس باختلاط المشاعر والمشاهد والصور .

ولم يكن هناك أسى . . . وحتى الحزن لم تعد فيه لسعة الألم التي كانت هناك عندما كانت الرسالة ـ الوثيقة ـ مغلقة داخل ملفها تطوي نفسها على أسرارها قبل أن أتوفر على قراءتها .

بدلا من ذلك أحسست بنوع من الهدوء الداخلي . . . ونوع من الصفاء الفكري والنفسي العميق .

وكان تفسيري لذلك على الفور : انها رؤية الحقيقة لاول مرة . . . على الاقل صورة لهذه الحقيقة بغير هواجس أو وساوس . . . الواقع كما هو . . .

كما جرى . . . وكما يعرض نفسه على كل الأطراف ويبدو أمامهم .

وأخذت مقعدا الى شرفة تطل على البحر وجلست أنظر من بعيد الى البحر الذي غطاه الظلام وان لم يستطع أن يوقف حركته . كان صوت تدافع الأمواج على الشاطىء يصل اليّ في سكون الليل. وكانت السماء ملأى بالنجوم التي تلألأ بريقها اكثر في تلك الساعات التي تسبق طلوع الفجر ، ورحت أحدق في النجوم العالية البعيدة . . . وبعض السحب التي تجري تحتها وتخفيها عن ناظري لبعض الوقت ثم تذهب الى حال سبيلها .

وكان في ذهني سؤال واحد يطرح نفسه عليّ بغير صخب وبغير الحاح .

وكان السؤال هو : « ولكن ما هي الحقيقة ؟ ما هي الحقيقة وراء ما يبدو في هذه الاوراق التي فرغت لتوي من قراءتها . . . ما هو جوهر الحقيقة ؟

كان صعبا علي أن آخذ ما تقول به الرسالة ـ الوثيقة ـ وما قرأته وسمعته فيها . كما هو بألفاظه وكلماته ثم أصدر على أساسه حكما وانتهى الأمر .

بدت الأمور في ذهني أكثر تعقيدا من هذا التبسيط .

وبدا لي أنني حتى لو قبلت ما يقول به كل الذي قرأته وسمعته في الايام الاخيرة ، بما في ذلك ما فرغت منه هذه اللحظة ـ وأخذته كله أمرا واقعا يفرض نفسه ـ فان الأمر الواقع ليس هو الحقيقة المطلقة .

وعلى فرض أنه الحقيقة النهائية ـ فماذا أوصل الامور الى هذه النهاية ؟

ان الطريق الذي أوصل الامور الى هذه النهاية بدا لي جزءا لا يتجزأ من هذه النهاية ذاتها ، ومن ثم فان البحث عن الحقيقة في كمالها وجلالها لا بد له ايضا ان يعثر على اجابة لهذا السؤال : كيف وصلت الامور الى هنا ؟ . . الى ما تقول به الاوراق والاشرطة وهذه الرسالة ـ الوثيقة ـ التي جلس صاحبها لكتابتها طوال أربعة أيام وجرى عليها قلمه عبر ستين صفحة كاملة من القطع الكبير ؟

وراحت التصورات والاجتهادات . . والآراء والقضايا تعبر خواطري كتلك السحب التي راحت تعبر السماء تحت النجوم .

□

حتى هذه اللحظة وبعد مرور قرابة العشرين سنة على تلك الليلة كانت بعض الاسئلة التي وردت على فكري ما زالت تعرض نفسها عليه .

كان سهلا عليّ أن آخذ بالتفسير البسيط والمسطح ، وأنسب الامر كله الى الخيانة والعمالة وما إلى ذلك من كل ما شاع في القاموس السياسي العربي من نعوت .

وكان ما سمعته وقرأته ـ بما فيه الرسالة الوثيقة التي فرغت منها لتوي ـ يوافق ويؤيد .

ثم كان في استطاعتي أن اتذكر مما أعرفه ما قد يعزز هذا التفسير ويؤكده .

لم يكن سرا أن الولايات المتحدة الامريكية راحت ـ وحتى من قبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية ـ تسعى وترتب لنفوذها وسلطانها في عالم ما بعد الحرب . كانت تدرك أنها وريثة الامبراطوريات القديمة . وكانت تعرف انها ستخرج من الحرب باعتبارها المنتصر الاكبر الذي له وحده الحق في بناء نظام عالمي جديد يوافق هواه ومصالحه . وكان ضمن ما سعت اليه ورتبته ضرورة نشر القيم الامريكية وطريقة الحياة الامريكية في كل أرجاء الدنيا . . . خصوصا في بلاد الاعداء السابقين الذين خسروا الحرب وأصبحوا تحت رحمتها ،وكذلك في البلدان التي كانت واقعة تحت نير الاستعمار التقليدي الذي فكت الحرب قبضته وأوشك الذين كانوا تحت حكمه أن يتحرروا وأن يختاروا لانفسهم ما يريدون من مجموعات القيم وطرق الحياة . كَسْبُ هؤلاء جميعا كان أولوية تسبق غيرها من الاولويات في السياسة الامريكية بعد الحرب .

بمقتضى ذلك وتأسيسا عليه قامت المخابرات الامريكية بعمليات واسعة

في عالم النشر ، وبالتحديد في المجالين السابقين .

مجال الاعداء الذين استسلموا في أوروبا والشرق الاقصى .

ثم مجال الدول التي انفكت عنها قبضة الاستعمار التقليدي وجاءتها الفرصة لتتحرر .

لم يعد ذلك ضربا من الظن ، وانما أصبح اليوم أدلة وشواهد لا سبيل الى انكارها [1] .

يقول تقرير لجنة نشاط المخابرات في الكونجرس على سبيل المثال أن سلطات الاحتلال الامريكي في ألمانيا كانت هي التي ساعدت « آكسل سبرنجر » ـ الناشر الالماني المعروف الان ـ على اعادة تأسيس دار صحفية كبرى في هامبورج ، وهي التي جاءت له بالمطابع والورق ـ لكي يبدأ على الفور في اصدار صحف تتولى غسيل مخ الشعب الالماني مما قد يكون عالقا فيه من بقايا التراث النازي .

نفس الشيء حدث في اليابان مع الدور الصحفية التي كانت على استعداد لكي تغسل مخ الشعب الياباني من آثار العسكرية اليابانية التي كادت تنجح في رفع علم الشمس المشرقة فوق كل المحيط الهادىء .

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع في هذا الصدد تقرير اللجنة الخاصة التي شكلها الكونجرس الامريكي برياسة السناتور تشرش سنة ١٩٧٤ لتقصي نشاط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبالذات الجزء الخاص فيه بعمليات انشاء دور صحف ونشر في عدد كبير من بلدان أوروبا والعالم الثالث ـ وحتى في الولايات المتحدة ذاتها . ومن الظواهر الملفتة للنظر في هذا التقرير أن مجلة « الريدرز دايجيست » ـ أو « المختار » كما صدرت باللغة العربية فيما بعد ـ ورد اسمها ضمن المجلات التي ساعدت المخابرات المركزية على نشرها . ومن الغريب أن أول طبعة عربية ظهرت في مصر رأس تحريرها الدكتور « فؤاد صروف » وهو الذي يشير اليه الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الاعتراف ـ ويقول أنه هو الذي قدمه الى « كيرميت روزفلت » ـ سنة ١٩٤٤ التي صدرت في نهايتها مجلة أخبار اليوم ! ـ كذلك فان « المختار » صدرت فيما بعد عن دار أخبار اليوم ، وذكر الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الاعتراف ـ أن ذلك كان بين الفوائد التي حصل عليها من صلاته الامريكية !

ويلفت النظر في القيم التي تروج لها « المختار » شيئان : الأول أن النجاح مرهون بالحظوظ والمصادفات ـ والثاني أن العدل الاجتماعي معلق بكرم المستعدين للتبرع والاحسان !

نفس الشيء حدث في ايطاليا .

شيء مماثل حدث في بلدان العالم التي كانت واقعة تحت الاستعمار أو كانت مناطق مفتوحة للنفوذ الدولي الجديد بعد أن تغيرت مراكز السيطرة في العالم .

فور انتهاء الحرب على سبيل المثال ظهرت فجأة ـ سنة ١٩٤٥ ـ في طهران دار صحفية كبرى كان أبرز ملامحها دعوتها المستمرة لمجموعة قيم جديدة وطريقة جديدة في الحياة ـ وهي « دار كيهان » المشهورة . ولم تترك الوثائق التي وجدت في مبنى السفارة الامريكية في طهران ـ حين احتلها طلبة الثورة الاسلامية في ايران ـ مجالا لاحد أن يشك في الملابسات التي اكتنفت تأسيس الدار وظهور صحفها .

ويخطر على البال أن أخبار اليوم ظهرت في نفس هذه الفترة ـ أواخر ١٩٤٤ ـ فهل كانت « أخبار اليوم » منذ اليوم الاول حلقة من هذه السلسلة ؟[1] .

ان الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الوثيقة ـ يعترف أنه قابل كيرميت روزفلت وآرشي روزفلت ـ لاول مرة ـ في نفس هذه السنة ـ ١٩٤٤ .

فهل هي مصادفة . . أو هي أكثر ؟

خاطر آخر يطرح نفس السؤال **وهو** أن مراسلي أخبار اليوم في الخارج وقت انشائها كانوا ـ كما يبدو لنا الآن ـ طرازاً غريباً من الصحفيين .

كان مراسلها في نيويورك ـ مثلا ـ هو « جوزيف ليفي » . واتضح فيما بعد أنه لم يكن يهوديا فقط ، وانما كان واحدا من أبرز الدعاة للوكالة اليهودية ـ المقدمة الاولى لحكومة اسرائيل .

---

(١) كتب الاستاذ مصطفى أمين في هذه الفترة أول كتاب له في حياته وكان عنوانه « أمريكا الضاحكة » ، وكان موضوعه عرضا شيقا وجذابا لطريقة الحياة الامريكية .

وكان مراسلها في لندن هو « جون كيمشي » والان نعرف أنه ابن عم لـ « دافيد كيمشي » وكيل وزارة الخارجية الاسرائيلية .

ولم تكن المسافة بعيدة بين الصهيونية والسياسة الامريكية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية .

مصادفات هي . . . أو شيء أكثر ؟

ان الصحف الكبرى التي نشأت في العالم الاكثر تقدما ـ بمعونة أمريكية ـ استطاعت بعد وقت أن تقطع الحبل السري الذي كان يربطها بالسياسة الامريكية . حدث ذلك بالنسبة لـ « دي فيلت » في ألمانيا . كذلك على وجه اليقين حدث لجريدة « يميوري » في اليابان وصحيفة « آساهي » أيضا ـ فهل يمكن أن تكون الصحف التي نشأت في بلدان العالم الاقل تقدما ـ ايران ومصر وغيرهما ـ أعجز عن أن تقطع الحبل السري مع جهة المنشأ ومن ثم بقي نمط العلاقات كما كان ، ثم نزلت به الحوادث الى ما هو أدنى من مجرد نشر القيم الامريكية وطرق الحياة الامريكية ؟

كل هذه تفسيرات ، ولها شواهد ، وقد تكشف ، وبالتالي قد تريح . ولكن هل يمكن القبول بها حقيقة نهائية ومطلقة ؟

□

وقضية أخرى تطرح نفسها وما زالت :

علاقة الصحافة والصحفي بجهات أجنبية وبساسة أو دبلوماسيين أجانب .

أي صحافة تحترم نفسها تعرف بالطبع أنها مطالبة بتغطية أخبار العالم الى جانب اهتمامها بأخبار وطنها .

وفي هذا فان الصحفي يتصل ويقابل . . . واذا كان يريد أن يسمع فعليه بدوره أن يتكلم . فالحصول على الاخبار ليس عملية استجواب لمصادرها ، وانما هو عملية حوار . وكانت للصحفي الامريكي الذائع الصيت

« جيمس رستون » عبارة مشهورة يقول فيها : لو طبقت علينا (يقصد الصحفيين) معايير المكارثية والنظرة البوليسية الى التصرفات والافعال ـ لامكن أن يثبت على كل صحفي وبدون استثناء أنه عميل لدولة أجنبية .

والقول صحيح .

لكن صميم القضية يبقى هو حدود ما يقال وطبيعته وظروف قوله ـ وهذه قضية مفتوحة للاجتهادات .

وكان جمال عبد الناصر قد عبر عن هذه القضية بطريقته وفي معرض حديثه عن الاستاذ مصطفى أمين بالذات حين قال :

ــ انه ينقل من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا ، لكن القضية الاساسية في النهاية هي : لمن الولاء ــ لهنا أو لهناك ؟

ولماذا لا يفسر ما كان الاستاذ مصطفى أمين يقوله « لبروس تايلور أوديل » وغيره ممن كان يتصل بهم ـ باعتباره حوارا يستهدف الحصول على أخبار ؟

يمكن ؟

لكن المشكلة أن بعض ما قيل يستعصى تطويعه لهذا التفسير على الاقل ببساطة .

على سبيل المثال : هل يمكن أن تخضع لهذا التطويع أخبار من نوع :

● هذا التهويل في نشاط الشيوعيين في مصر ، وانهم استولوا على كل شيء خصوصا في الصحافة ، وان جمال عبد الناصر لا يقدر خطرهم ويتصور خطأ أنه يستطيع اعتقالهم في نصف ساعة .

● وأن هناك خلايا ضبطت في الجيش المصري من ضباط لم تعرف بعد هويتهم .

● وأن هناك انفجارا وقع على مدمرة مصرية في ميناء الاسكندرية .

● وأن هناك صفقة أسلحة جديدة مع الاتحاد السوفييتي .

● وان قادة القوات المصرية المسلحة يفعلون كذا في يوم كذا .

● وأن مصر اتفقت مع الصين على صنع قنبلة ذرية [1] .

● وأن الوضع الاقتصادي المصري ينهار ـ لدرجة أن مصر تبيع احتياطيها من الذهب .

● وأن هناك سيارة عسكرية ضبطت محملة بأكثر من ٣٠٠ كيلو من الديناميت وأن رقمها هو ٣٩٠٣٦ .

● وأن جمال عبد الناصر مريض بالسكر .

● وأن عبد السلام عارف مريض بالسرطان .

● وأنه ليست هناك اجراءات ضد ألمانيا الغربية ـ عندما باعت سلاحا لاسرائيل ـ بعد قرار قطع العلاقات الدبلوماسية معها .

وأن . . . وأن . . . من كل ما حوته الملفات والاشرطة . . . ثم ما جاءت لتؤكده الرسالة الاخيرة التي كتبها الاستاذ مصطفى أمين لجمال عبد الناصر . فضلا عن المواعيد المحددة كل أسبوع . . . والأسئلة المكتوبة الموجهة . . . والحقائب المطلوب اخراجها والأموال المطلوب تهريبها . . . الى اخره .

قضية معقدة .

□

لكن هذه القضية المعقدة لها وجه اخر لا تستقيم الامور بغير التعرض له ـ ذلك أن الاستاذ مصطفى أمين ينسب ما يقول لجمال عبد الناصر ويظهر أن له صلة به .

---

(١) كان هناك اتصالات بالفعل بين الصين ومصر بشأن التكنولوجيا الذرية . وكان هناك وفد مصري في الصين برئاسة الدكتور « عبد المعبود الجبيلي » ـ مدير هيئة الطاقة الذرية . وكان تسرب هذا الخبر ـ الى جانب غيره ـ من بين الاسباب التي دعت ـ في ذلك الوقت ـ الى عدم نشر الرسالة ـ الاعتراف ـ وكذلك الى جعل محاكمة مصطفى أمين امام محكمة أمن الدولة العليا .

وعلى وجه اليقين فلقد كانت له ـ في وقت من الاوقات ـ صلة ، وهذا يطرح مشكلة أخرى وهي مشكلة العلاقة بين الصحافة وسلطة الحكم .

وهذه مشكلة عويصة . . . لها جوانب متعددة ومتشابكة تستحق نظرة متأنية إليها لكي تتضح وتستقيم الامور :

● هناك أولا أن الصحافة في أي بلد هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية في هذا البلد .

● وهناك أيضا أن الصحف لا تصدر وتنتشر تعبيرا عن الاراء والرغبات الذاتية لمحرريها ، وانما هي تصدر وتنتشر عندما تعبر عن آراء ومصالح أوسع وأكبر لقوى وتيارات اجتماعية .

● وهناك ثالثا أن حرية الصحافة لا تتأكد بمجرد الاعلان عنها ، وانما تتأكد حين تكون الاراء والمصالح التي تعبر عنها أي صحيفة قادرة على حماية حقها في التعبير عن نفسها .

● ويترتب على ذلك ـ رابعا ـ أن تعدد القوى في المجتمع ـ ودرجة هذا التعدد وفق مرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والتوازنات الناشئة عنها ـ هو الذي يخلق امكانية تنوع الاراء تعبيرا عن تعدد القوى .

ونفس هذا التعدد في القوى الاجتماعية والتوازن الذي يخلقه هو الذي يهيىء امكانية تعدد السلطات ويفرض ضرورات الاحتكام الى القانون طواعية كمرجع أخير تقبله هذه القوى لتحديد خطوط العلاقة بينها . والتعدد على هذا النحو هو الذي يسمح بقيام أحزاب وبرلمانات وحكومات أغلبية وصحافة قوية وقضاء نافذ . . . وهكذا . . .

● ويتصل بذلك ـ خامسا ـ انه اذا سادت في مجتمع معين ـ بسبب طبيعة مرحلة التطور التي يمر بها ـ سلطة واحدة فان الحياة السياسية في أي بلد تنحصر في حدود هذه السلطة الواحدة ، وما عداها يكون خروجا عليها بالتمرد أو بالثورة .

ومن الصعب بالطبع تصور الصحافة في أي بلد خارج هذا الاطار . . أي خارج حركة المجتمع وخارج مراحل التطور .

ولم تكن نشأة الصحافة في مصر بعيدة عن هذه القواعد .

ظهرت الصحافة في مصر مع نشأة الدولة الحديثة التي أقامها محمد علي . وظهرت « الوقائع المصرية » تعبيرا عن سلطة الوالي الواحدة والوحيدة في مصر ـ في مرحلة معينة من تطور مصر الاجتماعي والاقتصادي .

وعندما تسابقت القوى الاجنبية للسيطرة على مقدرات مصر بعد انهيار دولة محمد علي ظهرت في أواخر القرن الماضي صحف تعبر ــ أو على الاقل تعتمد بشكل أو آخر ـ على القوى المتسابقة والمتنافسة . ولم تكن دار « المقطم » بعيدة عن مخططات بريطانيا ، ولا كانت دار « الاهرام » بعيدة عن أحلام فرنسا .

وعندما بدأت الحركة الوطنية ، لم تكن الصحافة المصرية بعيدة عن القوى المتصارعة في الحلبة المصرية من الخارج أو في الداخل .

كانت هناك صحف تعبر وتستند على النفوذ البريطاني . وأخرى تعبر وتستند على نفوذ القصر الملكي . وصحف تعبر عن التيار الغالب في الرأي العام المصري ، وهو تيار الوفد ، خصوصا في فترة تقدمه الاولى التالية لثورة ١٩١٩ . وفي الحقيقة فان هذه الصحف كانت تعبر وتستند : اما الى قوة مصالح الاحتلال . او الى قوة الطبقة المتوسطة العليا التي انتهت اليها كل مكتسبات الحركة الوطنية الشعبية سنة ١٩١٩ ، والتي شدتها الظروف ـ لسبب أو آخر ـ الى التهادن مع سلطة الاحتلال .

وكان ذلك مما أدى الى ثورة ١٩٥٢ .

وأقامت ثورة سنة ١٩٥٢ سلطة واحدة تعبيرا عن مرحلة من التطور اقتضت تحولات اجتماعية عميقة تحاول تجربة فريدة في التاريخ عن طريق ضبط الصراع الطبقي والسعي لتذويب الفوارق بين الطبقات ـ في مناخ اقليمي

ودولي بالغ الحساسية . ولم يكن هناك بديل خلال هذا كله ـ أو هكذا بدا ـ الا بسلطة وطنية مركزية تناضل لتحقيق الاستقلال بديلاً عن الاحتلال ، وتنظم وتحدد طريق التغيير الاجتماعي الضروري بديلا للحرب الأهلية .

(وقصة الصحافة المصرية هي قصة الصحافة في بقية البلدان العربية . وكان يضرب المثل ـ في وقت من الاوقات ـ بصحافة لبنان . والحقيقة ـ وقد عبر عنها جمال عبد الناصر ذات مرة بقوله : « ان في لبنان حرية صحافة ولكن ليس في لبنان صحافة حرة » ان التعدد والتنوع الذي كان ظاهرا في صحافة لبنان في وقت من الاوقات كان سببه تعدد وتنوع مصادر التمويل . مبكرا كان للولايات المتحدة ولبريطانيا ولفرنسا صحافتهم ، وبعد ذلك أصبحت لمصر صحافتها ، وللسعودية صحافتها ، وكذلك لسوريا . . . الشكل الظاهر أن هناك حركة متنوعة الاتجاهات . لكنها لم تكن صحافة حرة بالمعنى المطلوب أو المرجو ، وانما شيئاً آخر . صراع قوي يحدث في لبنان ، وتعبيرات متعددة متنوعة بتعدد وتنوع القوى التي تعمل في ساحته باعتباره مركزا مفتوحا لصراعات العالم العربي كله وتوازناته) .

□

ذلك كله جانب من الجوانب .

تلوح بعده جوانب أخرى .

عندما قامت سلطة واحدة في مصر بثورة ١٩٥٢ ، لم يكن معقولا ولا ممكنا أن تكون الصحافة بعيدة عن السياسة وما فرضته عليها مراحل التطور الاقتصادي الاجتماعي .

وربما كان الخيار المتاح للصحافة في ذلك الوقت أن تحدد موقعها من السلطة الواحدة الجديدة واين هي منها ؟ . . هل هي عند الرأس تناقش وتحاور على مستوى القرار ، أم هي عند الذيل تمارس دور التابع والاداة .

وهكذا فان درجة من الاقتراب لم يكن لها بديل ، والخيار المطروح هو

أين بالضبط ؟ . . على مستوى الحوار والقرار أو على مستوى التبعية والدونية ؟

جانب ثالث هو أن علاقة الصحفي بالسلطة علاقة حيوية . فهي صانعة الاخبار وهو يريد هذه الاخبار في نفس الوقت الذي تريد هي فيه كتمانها أو على الاقل تكييف نشرها . ثم انه بالنسبة لها وسيلة الوصول الى الجماهير ، ولذلك فهي ـ السلطة ـ تفضله أداة ، ومن ناحيته هو ـ الصحفي ـ فان هناك منزلقاً أن يصبح مجرد سلك وبوق .

علاقة مركبة بين طرفين . . كلاهما يحتاج الى الاخر ، وكلاهما يحذر الاخر .

الصحفي يريد الاخبار ويريد استقلاله .

والسلطة تريد الوصول الى الناس ولا يهمها استقلاله .

وجانب رابع هو أن اقتراب الصحفي من السلطة واقتراب السلطة من الصحفي علاقة ـ هي الاخرى ـ مركبة . وعندما يقترب صحفي من عملية صنع الاخبار الى درجة كافية فانه ـ شاء أو لم يشأ ـ يصبح ليس مجرد شاهد على صنعها وانما يتحول أحيانا ـ بدرجة موقعه ـ الى طرف في صنعها .

وليس ذلك قاصرا على مصر . . . بل انه شبه قاعدة حتى في اكثر البلاد تقدما .

كان عميد الصحفيين في هذا القرن « والتر ليبمان » أقرب الصحفيين الى « وودرو ويلسون » وكان هو الذي صاغ نقط « ويلسون » الاربع عشرة الشهيرة التي أحدثت دويا في العالم الثالث كله في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الاولى . كانت نقط « ويلسون » هي التي حركت عملية انشاء الوفد المصري برئاسة « سعد زغلول » في مصر .

ولم يكن كبار الصحفيين في العالم الحديث : « بيف ميري » في الموند (فرنسا) ، و« جيمس رستون » في نيويورك تيمس (أمريكا) ، و« كونراد ألرس » في درشبيجل (ألمانيا) ، « ألكسي أدجوبي » في أزفستيا (روسيا) ـ

مجرد ناقلي أخبار وانما كانوا من صناعها مع رجال من أمثال « ديجول » و« كنيدي » و« براندت » و« خروشوف » .

وفي مصر على سبيل المثال فقد كان « العقاد » وثيق الصلة ، « بسعد زغلول » ، كما أن « محمود عزمي » هو الذي كتب « لعلي ماهر » (باشا) برنامج وزارة المائة يوم الشهير سنة ١٩٣٦ .

□

وكان الاستاذ مصطفى أمين قد تعود على الاتصال « بالحكام » قبل الثورة . وكان اتصاله بالقصر الملكي . وقد توثق اتصاله بالقصر أثناء توليه رئاسة تحرير مجلة « الاثنين » التي كانت تصدر عن « دار الهلال ». وفي سنوات الحرب العالمية الثانية كان قد أصبح ضمن الحاشية المحيطة « بأحمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكي . وفي هذه الفترة لعب الاستاذ مصطفى أمين دورا كبيرا في الحملة على حزب الوفد وعلى رئيسه « مصطفى النحاس» (باشا) بدءا باستغلال حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الى استغلال وقائع الكتاب الاسود الذي كتبه « مكرم عبيد » (باشا) بعد أن اختلف مع « النحاس » (باشا) . وكانت مسودات هذا الكتاب ووثائقه تحفظ في خزائن القصر . كما أن القصر تولى برجاله وبوسائله توزيع هذا الكتاب بعد طبعه .

وكانت المهمة التي قام بها الاستاذ مصطفى أمين هي العمل على ترويج شعبية الملك ، وهكذا كان ضمن المجموعة التي صحبت الملك في رحلة الصعيد سنة ١٩٤٤ أثناء انتشار وباء الملاريا . وكانت مجلة « الاثنين» هي التي خلعت على الملك فاروق أوصافا مشهورة مثل « العامل الاول » و« الوطني الاول » وغيرهما من الالقاب .

واشترك الاستاذ مصطفى أمين اشتراكا فعليا في المناورات التي سبقت اقالة وزارة « مصطفى النحاس » (باشا) في اكتوبر ١٩٤٤ . و« أنعم » عليه بعدها برتبة « الباكوية ». وكان الاستاذ علي أمين هو الذي ذهب الى معتقل

« مكرم عبيد » (باشا)[1] يحمل اذن الافراج الملكي عنه ويصحبه الى وزارة المالية التي عين وزيرا لها في وزارة « أحمد ماهر » (باشا) . وكانت تلك هي المناسبة التي قال فيها « مكرم » (باشا) خطبته الشهيرة « سبحانك اللهم جئت بي من غياهب الجب سجينا ووضعتني على خزائن الارض أمينا » .

وأثناء حكم وزارات الاقلية من سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٥٠ كان الاستاذ مصطفى أمين هو الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها ، وقد ظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٥٢ . وتروي الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية في المجموعة ـ التي رفع عنها الحظر أخيرا ـ قصة لها دلالتها .

وهناك في هذا الصدد وثيقتان .

والحقيقة ان دلالتهما تتعدى مجرد الوقائع التي ترد فيهما .

الوثيقة الأولى تقرير من السير « رالف ستيفنسون » السفير البريطاني في القاهرة ، وموجهة منه الى السير « أنتوني ايدن » وزير الخارجية البريطانية ، وتاريخها هو ١٩ فبراير ١٩٥٢ ، ورقمها الشفري هو ج.أ ١٠١٨/٧٩ ـ وموضوعها هو جو المؤامرات والدسائس الذي ساد القصر الملكي أثناء عملية اقالة وزارة « مصطفى النحاس » (باشا) يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ ـ وهو اليوم التالي لحريق القاهرة مباشرة .

ويحتوي التقرير على عشرة بنود . الأربعة الأولى منها تتعرض للآراء المختلفة بين رجال الحاشية حول الموقف الذي يستطيع الملك ان يتخذه . وفي الواقع فان السؤال المحوري هو :

ـ هل جاء حريق القاهرة بالفرصة الملائمة التي يستطيع الملك فيها ان يقيل وزارة النحاس (باشا) ؟ .

---

(١) لم يمنع ذلك مكرم عبيد (باشا) من أن ينشر فيما بعد ـ عندما أحس بمناورات القصر ووراءه السعديون والدستوريون ضده ـ وأخبار اليوم تتصدى للحملة عليه نيابة عن الجميع ـ أن يكتب في الصفحة الاولى من جريدة « الكتلة » ما يفيد بأن القصر هو الذي ساعد على انشاء أخبار اليوم ، وأن هناك مبلغا كبيرا من المال رصد لهذه العملية .

كان بعض رجال الحاشية يرون ضرورة التأني قبل اقالة النحاس (باشا) ، ومن هؤلاء الفريق « محمد حيدر » (باشا) وزير الحربية وقتها .

وكان هناك آخرون من رجال الحاشية يرون ضرورة المسارعة بالاقالة ، وكانوا في كراهيتهم للوفد يتذرعون بدعوى انه اذا لم تتم اقالة وزارة النحاس (باشا) فوراً فان القوات البريطانية في قناة السويس سوف تتدخل على الفور لاحتلال القاهرة حتى تضمن الأمن والنظام وحياة ومصالح الرعايا البريطانيين والأجانب في مصر .

ويظهر من سياق الوثيقة ان الاستاذين مصطفى وعلي أمين كانا مع رجال الحاشية الذين يرون ضرورة الاقالة مستغلين في ذلك ما رددته بعض الاشاعات عن احتمال تدخل القوات البريطانية .

وأنتقل الى نص الوثيقة والى البند الخامس من تقرير السفير البريطاني ، وهو البند الذي يخص الاستاذ مصطفى أمين . قالت الوثيقة بالحرف [1] :

« ٥ ـ وبعد الساعة الثامنة مساء بقليل تلقى أحد أعضاء هذه السفارة [2] مكالمة تليفونية من علي أمين ، وهو مع شقيقه مصطفى أمين يملكان جريدة أخبار اليوم ، وهي عدو ضار للوفد . وقد سأل علي أمين اذا كانت هناك صحة للتقارير التي تتحدث عن تحركات واسعة النطاق للقوات البريطانية في منطقة القناة . وقد أخطر بأن عضو السفارة الذي اتصل به ليست لديه أية معلومات محددة وان كان مما لا شك فيه ان السلطات العسكرية تعد نفسها للتدخل اذا انفجرت مرة أخرى الأعمال العدائية ضد أرواح البريطانيين وممتلكاتهم لأنه لا يمكن لأحد ان يتوقع ان يقف الجيش البريطاني ساكتاً بينما تقتل نساء بريطانيات .

---

(١) صورة تقرير السفير البريطاني في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٩) .

(٢) ليس متصورا بالطبع أن يكون الاستاذ علي أمين قد اتصل بشخص في السفارة لم يعرفه من قبل ليسأله هذا السؤال الخطير ، وليس متصورا ايضا أن لا يذكر السفير في تقريره اسم المسئول الذي جرى معه الاتصال ـ ومن هنا يمكن استنتاج ان الشخص الذي اتصل به الاستاذ علي أمين يعمل في السفارة ولكنه ليس في الاقسام السياسية ـ الظاهرة ـ التابعة لسلطة السفير ـ واذن من هو ؟ وتحت أي غطاء يعمل ؟! .

ان علي أمين ما لبث ان سأل محدثه عما يكون عليه الموقف « اذا حدث تغيير » ، وكان يقصد تغييراً في الحكومة . وكان الرد عليه انه اذا استطاعت حكومة جديدة ان تثبت قدرتها على استعادة القانون والنظام وحماية الأرواح والممتلكات البريطانية فان السؤال لا يطرح نفسه اطلاقاً . واذا أمكن تصديق مصطفى أمين [1] فان هذه المكالمة التليفونية كان لها تأثير كبير على الحوادث . مصطفى أمين كان في ذلك الوقت في مكتب مساعد رئيس الديوان الملكي في القصر . وعندما سمع من أخيه علي تعليق هذه السفارة فان مصطفى أمين عمل على اخطار الملك بهذه الاشاعات عن تحركات القوات البريطانية بعد ان نسبها الى هيئة الاذاعة البريطانية ، كما انه عمل على اخطار الملك باتصال شقيقه بهذه السفارة . وبدون شك فانه نقلها في صيغة تصريح مباشر بان القوات البريطانية سوف تتحرك اذا لم يكن هناك تغيير في الحكومة . وطبقاً لمصطفى أمين فان الملك أفزعته هذه التقارير وطلب الى عمرو باشا [2] ان يتحقق مني (أي السفير نفسه) مباشرة عما اذا كان صحيحاً ان هناك تحركات للقوات البريطانية . وكانت اجابة عمرو باشا ـ اذا صدق هذا الجزء من الرواية كلها ـ دليلاً على حكمته . فقد رد بقوله انه لا يجبذ مثل هذا الاتصال بي في هذا الشأن لأنه لو حدث أنني أكدت هذه الأنباء فمعنى هذا ان الملك سوف يجد نفسه مواجهاً بشيء يكاد ان يصل الى مرتبة الانذار الرسمي » .

ويتحدث البند السادس من الوثيقة عن اتصالات تشكيل الوزارة الجديدة التي تتولى الحكم بعد اقالة النحاس باشا ، ثم يتحدث عن تردد علي ماهر باشا في تأليف هذه الوزارة .

ثم يعود البند السابع في الوثيقة الى دور الاستاذين مصطفى وعلي أمين ، فيروي ما يلي :

وطبقاً لمصطفى أمين فان علي ماهر باشا غيّر رأيه استجابة لالحاح

---

(١) يلاحظ في تقرير السير رالف ستيفنسون انه رغم اهمية الاستاذين مصطفى وعلي أمين كمصادر معلومات بالنسبة للسفارة البريطانية وقتها ، فان هناك باستمرار نبرة شك في مصداقية ما ينقلان .

(٢) السفير المصري في لندن وقتها ، وكان مستدعى للقاهرة للتشاور .

الأخوين أمين . وقد بقي أحدهما وهو مصطفى في القصر بينما توجه الثاني الى بيت علي ماهر في سيارة اسعاف ، فقد كان ذلك هو النوع الوحيد من المركبات التي يمكنها السير في حالة حظر التجول (التي كانت مفروضة في ذلك الوقت) . ويمكن ان يكون الاخوان أمين قد لعبا دوراً في اقناع علي ماهر بنسيان تحفظاته التي أبداها للملك . واذا كان ذلك كله صحيحاً فان ذلك يؤكد النكتة التي تشيع هذه الأيام وهي ان وزارة علي ماهر هي أول حكومة مصرية تولد في سيارة اسعاف .

ثم ينتقل تقرير السفير البريطاني الى البند الثامن فيقول :

« ان علي ماهر أعاد تقييم موقفه فقبل تشكيل الوزارة . ولكن حيدر باشا قال ان معلومات الاخوين أمين لا بد ان تكون مزيفة لان تقارير المخابرات العسكرية التي تلقاها توضح انه ليست هناك أية اشارات عن احتمال تحرك بريطاني الى القاهرة . ان مصطفى أمين ، بتشجيع من عمرو باشا ، واصل حرب الأعصاب التي شنها وقام باتصال تليفوني جديد مع هذه السفارة حوالي ٩,١٥ مساء وفي حضور هذا الجمع المختلف من رجال الحاشية . وعلى أي حال فان هذه المحادثة كانت لمجرد « التهويش » .

. . . . . .

. . . . . .

وتتصل الوثيقة الثانية بالوثيقة الأولى مباشرة ، فهذه الوثيقة الثانية وهي برقم ١٠١٨/٨٠ أ.د. موجهة من سكرتارية السفارة الى وزارة الخارجية ، ونصها كما يلي [1] :

« السفارة البريطانية القاهرة ١٩ فبراير ١٩٥٢

الرجاء الرجوع الى البرقية رقم ٤٥ بتاريخ ١٩ فبراير الخاصة بالقصة الداخلية الحقيقية للتغيير الأخير في الوزارة .

---

(١) صورة تقرير السفارة البريطانية في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٠) .

٢) **مصطفى أمين** ، الذي هو المصدر الرئيسي للمعلومات الواردة في تلك البرقية ، أعطانا أيضاً التقرير التالي للاجتماع الذي انعقد يوم ٢٨ يناير لتقرير سياسة الوفد .

٣) وكما أفاد مصطفى أمين ، فقد حضر هذا الاجتماع كل من النحاس وسراج الدين وكريم ثابت وعبود باشا . وقد أوصى كريم ثابت بصفته خبير الوفد بالمسائل المتعلقة بالملك بأن المهم هو اظهار الولاء . واذا أظهر النحاس ، وبرغم طرده ، الولاء للملك عن طريق تعاونه عن طيب خاطر مع علي ماهر[٢] ، فان موقفه سيكون ايجابياً بالمقارنة بمواقف « سياسيي المعارضة » الذين رفضوا الاشتراك في وزارة علي ماهر « لأن الملك لم يدعهم لتناول الغداء » ، والملك ما زال ميالاً الى الوفد . واذا أجاد الوفديون اللعب بورقهم فان ثابت لا يظن ان رجوعهم الى الحكم خلال شهرين مستحيل . وقد قبل النحاس هذه النصيحة ، وخلال اجتماعه مع علي ماهر تعهد بمساندة الوفد لوزارته شريطة :

أ) ان لا يكون هناك أي فصل للموظفين الموالين للوفد .

ب) ان لا تكون هناك أية اجراءات او دعاوى قضائية ضد الوفد .

ج) ان لا يحل البرلمان .

د) ان يتم انهاء الأحكام العرفية في تاريخ مبكر .

ينطبق هذا التقرير مع البيانات العامة اللاحقة لعلي ماهر والنحاس . ونحن نعتقد انها غالباً صادقة . هذا بالطبع لا يعني ان كلا من علي ماهر او

---

(٢) كان الملك والانجليز في مأزق في ذلك الوقت ، فرغم العلاقات المتردية مع الوفد فان الملك كان يعرف أن شخصا مستقلا مثل علي ماهر لا يستطيع أن يشكل وزارة بدون التعاون مع أحزاب الأقلية . وكانت هذه الاحزاب هي أحزاب القصر.لكن الملك فاروق كان غاضبا من قياداتها لأنهم وجهوا اليه عريضة اعتبر ما فيها تجاوزا على حقه، وهكذا فانه كان يريد عقابهم بابعادهم فترة عن المناصب،ثم انه أعلن غضبه بعدم دعوتهم الى غداء على مائدته بمناسبة ميلاد ولي عهده (أحمد فؤاد) .

الوفد لا يستطيع الغدر بالآخر في أول فرصة . وهناك دلالات على أن شهر العسل قد انتهى وان الوفد سوف يعارض الحكومة .

٤) ان ردود علي ماهر الحالية على الصحفيين الذين سألوه عن حل البرلمان هي أنه اذا فشل التعاون بين الحكومة والقصر فسوف يتخذ « الاجراءات الدستورية اللازمة » ، وهذا معناه الوحيد هو حل البرلمان .

وقد كانت هناك فعلياً حالات فصل لموظفي الوفد مع أنه في بعض الحالات ـ كحالة رئيس جامعة الأزهر ـ فان الوفد نفسه قد يخجل من الاعتراف بأن الرئيس المفصول كان موظفاً وفدياً . ومسألة ما اذا كانت سوف تتخذ الاجراءات القانونية ضد أعضاء الوفد البارزين سواء تحت طائلة قانون الكسب غير المشروع او باعتبارهم مسئولين عن أحداث ٢٦ يناير ما زالت مطروحة بشدة . وفي الوقت الحالي فانه من غير المؤكد أيضاً ما اذا كانت الاحكام العرفية سوف تلغى في نهاية مدة الشهرين المقررة لها . وقد أعلن الوفد انه سوف يشن حملة لالغاء الأحكام العرفية » .

. . . . . .

. . . . . .

وحتى في سنة ١٩٥٢ فان أخبار اليوم خرجت ذات يوم تصف الملك فاروق بأنه « الفدائي الأول » ، وبأنه تبرع للفدائيين المصريين العاملين في منطقة قناة السويس ضد قوات الاحتلال البريطاني بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه .

□

وهكذا فانه عندما قامت الثورة كانت للاستاذ مصطفى أمين علاقات واسعة بالسلطة في مصر كما كانت له علاقات تحوطها تساؤلات بغيرها .

ومع الشكوك التي أحاطت به كانت عملية اعتقاله مع توأمه ضمن حاشية الملك في الأيام الأخيرة من يوليو ١٩٥٢ . وحين أفرج عنه وحاول اثبات اخلاصه للنظام الثوري الجديد سواء بكتاباته في صحف أخبار اليوم ومجلاتها

او بالتقارير الضافية والمفصلة التي راح يقدمها للمتنفذين في السلطة الحاكمة الجديدة ـ أصبح له بدون شك نوعاً معيناً من الاتصال .

هناك شكوك . . . نعم ، ولكن هناك اتصال دون شك على الأقل الى فترة ما قبل السويس عندما دخلت مصر في مواجهة مكشوفة ـ بغير ظلال ـ مع الولايات المتحدة الأمريكية التي راحت تحاول تحقيق أهداف العدوان الثلاثي بوسائل أخرى ، فطرحت « مشروع أيزنهاور » للدفاع عن الشرق الأوسط ، وبدأت محاولاتها لعزل مصر عن المنطقة تمهيداً لضربها اذا سنحت فرصة .

ولم يكن في هذا الاتصال ـ وفي المرحلة الأولى للنظام الجديد ـ ما يدعو الى الاستغراب . فمن الطبيعي ان تستفيد أي سلطة جديدة بكل من يعرض خدماته عليها خصوصاً اذا كان لديه الاستعداد [1] . وحتى اذا كانت هناك شكوك فقد كانت شكوكاً ينقصها الدليل الحاسم .

وعلى أي حال فقد كان المعيار هو : ماذا ينقل الى هنا وماذا كان ينقل الى هناك ؟ (طبقاً لتعبير جمال عبد الناصر نفسه) .

وذلك اعتبار يجب ان يوضع في الحساب عند قراءة او سماع ما كان يقوله الاستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل .

لكن المحاذير في هذه الحالة كانت كثيرة :

● منها مثلاً ان الصلة بين جمال عبد الناصر وبين الاستاذ مصطفى أمين كانت قد توقفت فعلاً قبل سنوات من بدء علاقته ببروس تايلور أوديل .

● ومنها ان الاستاذ مصطفى أمين بنص اعترافه في رسالته ـ الوثيقة ـ نسب الى جمال عبد الناصر ما لم يقله جمال عبد الناصر ، وتولى من عندياته لسنوات ان يبتكر ويؤلف وينقل عن جمال عبد الناصر .

---

(١) الواقع أن تقارير الاستاذ مصطفى أمين سواء منها ما كان يرسله الى الرئيس جمال عبد الناصر أو الى غيره من كبار مسئولي الأمن والدولة ـ صلاح نصر في المخابرات ، وعبد القادر حاتم في وزارة الارشاد ، وسامي شرف في سكرتارية الرئيس للمعلومات ـ كانت جهدا شاملا لا يقتصر على الأخبار الخارجية وحدها وانما يمتد ليشمل كل شيء ابتداءا مما يجري في كواليس الصحافة والفن الى ما يدور في مجالس الاندية والبيوت .

● ومنها ان الاستاذ مصطفى أمين لم يكن يتعامل مع سياسي او دبلوماسي ، وانما مع مندوب لادارة المخابرات المركزية لم يحاول لحظة ان يستر او يتستر على هويته (٢) .

● ومنها أخيراً مراجعة بنود ما كان ينقله الاستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل .

□

يظل هناك وجه رابع لهذه القضية المعقدة ، وهو ان الاستاذ مصطفى أمين كتب لجمال عبد الناصر وفي مواجهته يقول انه فعل ما فعل بعلمه وموافقته ، ومع انه اعترف بانقطاع الصلة فقد تصور ان من حقه ان يستمر في القول كما يشاء .

وفي تلك الساعة من الليل وأنا أجلس أقلب كل ما قرأت وسمعت على جوانبه ـ بدت لي ظاهرة غريبة . . . فيها شيء يتعلق بي مباشرة ، أي أنني أستطيع ان أحكم فيه بعلمي وبدون حاجة الى أدوات أخرى للمعرفة .

عندما لاحظت انه بدأ يستشهد بي في رسالته ـ الوثيقة ـ كان شعوري لأول وهلة هو ان الاستاذ مصطفى أمين وجدني قشة يستطيع ان يتعلق بها في طوفان المأزق الذي سقط فيه .

ولم يكن في هذا بأس .

لكن ما أثار استغرابي بعدها هو بعض الوقائع التي استشهد بي على صحتها وهو يحاول ان يبرر نفسه أمام جمال عبد الناصر .

ببساطة ليست صحيحة .

واحدة منها مثلاً انني ذهبت معه الى مكتب « هنري بايرود » السفير

---

(٢) كان كيرميت روزفلت يحمل رسميا « لقب « مستشار خاص لرئيس الولايات المتحدة » ، وهكذا كان هناك غطاء رسمي وسياسي مقبول للكلام معه .

الأمريكي في مصر . . . وقمت أنا بالهاء السفير حتى استطاع الاستاذ مصطفى أمين ان ينقل نص برقية سرية وردت من واشنطن وكانت موجودة على مكتبه ، ثم سلم النص لجمال عبد الناصر .

ببساطة لم يحدث .

ليس لأن الاستاذ مصطفى أمين وأنا لم نكن نرغب في الحصول على نص برقية سرية من واشنطن الى سفيرها في القاهرة ، وانما بوضوح لأن السفير الأمريكي في القاهرة ـ وكان في الأصل جنرالاً في الجيش الأمريكي ـ لم يكن على هذه الدرجة من السذاجة والبلاهة .

والقصة قد تصلح مشهداً في فيلم « لجيمس بوند » لكنها مع الأسف لم تحدث في الحياة ـ على الأقل لم تحدث في حياتي .

نفس نظرة المغامرة الفردية لتصوير وقائع التاريخ تتكرر ـ على سبيل المثال ـ حين يروي الاستاذ مصطفى أمين حكاية مبادلة طائرة « ميج ١٥ » سوفييتية بموقف أمريكي في حرب السويس .

ببساطة لم يحدث أيضاً .

ما حدث ان الاستاذ مصطفى أمين طرح عليّ يوماً أثناء أزمة السويس هذا الاقتراح من جانبه ورجوته ان ينساه . وعلى وجه اليقين فاني لم أسمعه مرة اخرى .

لكنه يرويه باعتباره سر السويس العظيم .

كأن صمود مصر أحد عشر يوماً وحدها في السويس أمام ثلاث دول ـ وكأن التناقض بين أهداف واستراتيجيات بريطانيا وفرنسا واسرائيل من ناحية والولايات المتحدة من ناحية أخرى ـ وكأن غضبة الشعوب العربية كلها ـ وكأن وقفة شعوب العالم الثالث من داكار الى داكا ـ وكأن الانذار السوفييتي ـ وكلها أحداث هائلة ـ لم يكن لها تأثير على حرب السويس ، وكأن التأثير أساساً لوعد

بطائرة « ميج » لم يلبث جمال عبد الناصر ان استبدله بوسام لدبلوماسي أمريكي .

وكيف يمكن فهم ظاهرة ان الاستاذ مصطفى أمين يكتب هذا كله وغيره . ثم يكتبه لجمال عبد الناصر الذي يعلم الحقائق أكثر من غيره ، ثم يكتبه في هذا الظرف الدقيق والحرج بالنسبة إليه ؟ .

كيف ؟

لعلي لا أتجاوز اذا قدمت من ناحيتي محاولة للفهم لا ألجأ فيها الى الاستنتاج، وانما أعود فيها الى خبرة حياتي أكثر من عشر سنوات داخل أخبار اليوم ، وخبرة علاقة قريبة وحميمة ، لم تكن علاقة حب أعمى وانما علاقة حب مفتوح العينين يلاحظ ويتابع ويهتم .

كان الاستاذ مصطفى أمين يروي قصة ، ثم يعود في اليوم التالي ليرويها وقد اختلف فيها تفصيل واحد . ثم يعود بعد أسبوع ليرويها وقد اختلف تفصيلان . وتتحول المتوالية الحسابية الى متوالية هندسية ، وتفقد القصة في آخر طبعة منها علاقتها بالطبعة الأولى حين رويت لأول مرة . لكن كثرة التكرار تولد نوعاً من الاقتناع الحقيقي لدى صاحبه بأن ما يقوله هو صدق : كذلك يخيل له .

وهكذا فان الاستاذ مصطفى أمين حين قدم الوقائع أمام جمال عبد الناصر ـ في رسالته الوثيقة ـ لم يكن يظن انه يكذب ـ كما قال بنفسه ـ وانما كان يقول ما يتصور هو انه صحيح بصرف النظر عن الحقيقة .

واذن فنحن أمام ظاهرة مثيرة للتأمل : لا تحتاج الى مجرد رجل أمن يضبط الوقائع ، ولكنها تحتاج ايضاً الى عالم نفسي يحلل الدوافع [1] .

---

(١) ربما كان من الامثلة المدهشة التي تشرح هذه الحالة من الفارق الهائل بين الطبعة الاولى لأي كلام عن الطبعة الاخيرة التي ينتهي اليها الكلام ـ هو الاستشهاد بمقال كتبه الاستاذ مصطفى أمين في دوره الجديد ـ كمدافع عن الديمقراطية والحريات ـ في عموده اليومي بجريدة الاخبار يوم ٥ يوليو ١٩٨٣ ، وقد جاء فيه بالحرف :

□

حتى طلع الفجر كنت ما أزال على الشرفة المطلة على البحر أحاول تقليب الأمور على كل وجوهها. كنت أريد ان أستقر على تشخيص لكل ما جرى أطمئن اليه وأقف وراءه وأحدد موقفي على أساسه .

ولم يكن ذلك سهلاً .

وعلى أية حال فقد قدرت بيني وبين نفسي أنني أحتاج الى فترة من الزمن أتابع فيها من بعد ما يجري : نتائج التحقيق الذي تجريه هيئة الأمن القومي مع الأستاذ مصطفى أمين ، ثم كيف يتصرف الأستاذ علي أمين في لندن ؟

لأسابيع على الأقل سوف يكون في وسعي ان أنتظر وأتابع من بعيد .

لن أكون مطالباً بموقف ولا بتصرف .

فترة انتظار تفرضها طبائع الأمور .

« ومن حق المنافقين أن يغضبوا ، وأن يقيموا الدنيا ويقعدوها وأن يتحدثوا عن « أدب السلوك في حضرة الملوك » . هذا حقهم الذي لا نجردهم منه . ان احتمال النقد هو الشجاعة والقوة ، وتحطيم الاقلام هو الجبن والضعف » .

وهو كلام طيب لا بأس به . مشكلته الوحيدة ان هذا التعبير « أدب السلوك في حضرة الملوك » هو تعبير الاستاذ مصطفى أمين نفسه ، وكان عنوانا لواحدة من مقالاته الشهيرة في سلسلة « لماذا ساءت العلاقات بين القصر والنحاس باشا » . وكان المقال هجوما فادحا وقاذعا ضد مصطفى النحاس لانه لم يكن يحسن التصرف في حضرة الملك فاروق ، وكان يتجاوز في قواعد البروتوكول الملكي ، وكان ينسى أنه أمام سيد البلاد ومليكها .

ولا يمكن أن يكون السبب هو نسيان الماضي والذاكرة التي تتأثر بالسن ومر الاعوام ، وانما لا بد أن يكون هناك سبب أعمق وأبعد غورا في التركيبة النفسية لكاتب هذا الكلام في المرتين .

الجزء الثالث

ملفـــات شخصيـــة

« ضمير له ألف لسان
وكل لسان عليه ألف حكاية »

(من قصيدة لويليام شيكسبير)

الفصل الأول
في مواجهة التفاصيل !

يوم ١٠ أغسطس ١٩٦٥ ـ كانت السيارة تنهب بي الارض على الطريق الصحراوي من الاسكندرية الى القاهرة . وكنت مستغرقا كلياً في قضية بدت لي في تلك اللحظات أهم وأبعد أثرا في مستقبل المهنة من أي شيء عداها . . . وكانت هذه القضية قد طرحت نفسها فجأة وبغير تخطيط مسبق .

ذهبت لاقابل الرئيس جمال عبد الناصر قبل عودتي الى القاهرة .

وسألني عن رأيي في الرسالة ـ الوثيقة ـ التي كتبها الاستاذ مصطفى أمين اليه . ويبدو أنني عبرت عن شواغلي ولم أجب على سؤاله . فقد قلت له : « انه بصرف النظر عن أي شيء فان الذي يثير قلقي هو أوضاع الصحافة ومستقبلها والعاملين فيها والظروف المحيطة بعملهم » .

ووجدتني دون ترتيب مسبق أعرض أمامه قصة تطور الصحافة المصرية ثم أركز على الانتقال الصعب في المهنة من العصر الملكي الى عصر الثورة . ثم وصلت الى قرار تنظيم الصحافة سنة ١٩٦٠ ـ ثم قلت « انه ربما يتذكر موقفي أثناء الملابسات التي أحاطت بصدور هذا القانون » .

لم أكن بشكل خاص مصرا على استمرار الملكية الفردية للصحف ، ولكني كنت مشفقا على المهنة من التأميم . وبدا لي أن ملكية الافراد للصحف قد تكون أهون شرا من ملكية الحكومة للصحف . فالصحيفة بتأثيرها قد

تكون قوة ضاربة ضخمة، لكنها في تكوينها الداخلي مخلوق هش وشديد الحساسية . فهي بالدرجة الاولى احساس بمناخ . . . الاحساس بالمناخ يملؤها بالثقة في قدرتها على ممارسة رسالتها أو يملؤها بالوساوس التي تأخذ منها قدرتها على ممارسة دورها .

قلت انني أتحدث عن الصحافة الحديثة التي أصبحت صناعة كبيرة الى جانب كونها خبرا ورأيا وثقافة . . . الى آخره .

أفضت في هذا وتفاصيله ، وهو يسمعني باهتمام . ثم عدت فقلت انني أخيرا أكاد أصل الى صيغة الملكية التي تلائم أكثر من غيرها روح العصر وروح الحرية فيه . ثم شرحت له اهتمامي بتجربة الملكية التعاونية لجريدة « الموند » الفرنسية وكيف أنني حاولت دراسة تفاصيلها ، وان هذا كان هو السبب الاساسي الذي من أجله دعوت « بيف ميري » رئيس مجلة ادارة « الموند » ورئيس تحريرها ليكون ضيفا علينا في القاهرة .

كانت التجربة عنوانا عاما في ذهني حين اقترحت عليه (الرئيس) ما اقترحت من تعديلات على قانون سنة ١٩٦٠، لكني لم أكن قد توفرت على التفاصيل . . .

الآن بحثت وناقشت كيف يمكن الاستفادة من تجربة « الموند » لمستقبل الصحافة في مصر .

قلت له : « ان فكرة الملكية التعاونية تتحدد في ذهني أكثر وأكثر كل يوم كبديل للملكية الفردية للصحف أو للملكية العامة لها أو حتى للوضع المعلق في الهواء الذي انتهى اليه قانون تنظيم الصحافة .

كل العاملين في الصحيفة : محررون ، عمال ، اداريون ـ هم الجمعية العامة لها .

الجمعية العامة تنتخب من بينها مجلس ادارة . كما أنها تختار هيئة أمناء مكونة من شخصيات عامة لها اسهامها في شتى مناحي الحياة .

مجلس الادارة يختار رئيس التحرير ، وهيئة الأمناء تتابع الأداء العام لرسالة الصحيفة وتقدم تقريرا سنويا الى الجمعية العامة . . . » .

أسهبت في شرح تفاصيل ما أتصوره ، ثم تحدثت عن بعض المشكلات الراهنة مع الاتحاد الاشتراكي الذي آلت اليه ـ بنص قانون التنظيم ـ ملكية الصحف .

ومن وسط الظلام لمع شهاب . . . ولم يسقط الشهاب في الفضاء وانما تحول الى ضوء .

قال الرئيس جمال عبد الناصر : « انني معك في أن أوضاع الصحافة تحتاج الى بحث جديد » . ثم أضاف يذكرني بأنه أثناء بحث قانون سنة ١٩٦٠ أتاح لي الفرصة أن اقترح ما يمكن ادخاله عليه من تعديلات لضمان دور الصحافة في المجتمع وحريتها في خدمة أهدافه .

ثم قال لي الرئيس انه لا يمانع في صيغة تعاونية لملكية الصحف على أن تبدأ بتجربة محدودة في «الأهرام» مثلا ثم تعمم بالنسبة لباقي الدور الصحفية .

ثم طلب اليّ أن أقلب الامر على كل جوانبه ثم أتقدم اليه باقتراحات محددة . وتحول لقاء بدأته بمحاولة الدفاع عن صحفي الى ما كان يمكن أن يصبح نقطة تحول في تاريخ الصحافة .

وهكذا على طريق العودة الى القاهرة كانت القضية الجديدة قد ملكت عليّ كل حواسي .

□

التفاصيل الصغيرة أحيانا أثقال حديد تشد الى الارض مهما حاولت أجنحة الأفكار أن تحلق وتطير .

عندما دخلت الى مكتبي كان عليه ملف بالاوراق التي تراكمت تنتظر البت فور عودتي من الاسكندرية بعد أسبوع غياب .

أول ورقة فيه كانت مذكرة داخلية محولة اليّ من الدكتور « فؤاد

ابراهيم » المدير العام للاهرام . المذكرة أساسا مقدمة اليه من السكرتارية المالية للتحرير ـ نصها كما يلي :

« مذكرة داخلية[1]

الموضع : تحويل مرتب وبدل اغتراب الاستاذ علي أمين الى لندن عن ٣ شهور (أغسطس/اكتوبر ١٩٦٥) .

سيادة الدكتور المدير العام

تحية طيبة واحتراما وبعد ، اشارة الى ما نشر في أهرام اليوم بالصفحة الاولى حول القبض على الاستاذ مصطفى أمين وارجاء نشر باب « فكرة »[2] الذي يكتبه الاستاذ علي أمين من لندن أتشرف باحاطة سيادتكم علما بأننا تقدمنا الى البنك بطلب تحويل مرتب ومصاريف الاستاذ علي أمين عن ٣ شهور هي المدة من أول أغسطس إلى آخر اكتوبر ٦٥ تنفيذا لعقد الاتفاق المبرم بين المؤسسة وسيادته بتاريخ ٦٥/٤/٢٩ .

فالرجاء التكرم بالافادة عما اذا كنتم ترون سيادتكم الاستمرار في اجراءات التحويل أم وقفها مؤقتا ، حتى يمكننا اخطار البنك برغبتنا قبل تنفيذ التحويل المطلوب .

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر وفائق الاحترام .

السكرتير المالي لادارة التحرير

(امضاء) »

وكانت الورقة التالية في الملف خطابا شخصيا من زوجة الاستاذ علي أمين .

---

(١) صورة المذكرة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١١) .

(٢) كان الأهرام قد نشر يوم القبض على الاستاذ مصطفى أمين نص البيان الذي أذاعه النائب العام عن القضية . وفي صدد الاستاذ علي أمين كتب الأهرام كلمة جاء فيها : « بعد اذاعة هذا البيان الصادر من مكتب النائب العام فلقد رأى الأهرام أنه قد يكون من المناسب ارجاء نشر باب « فكرة » الذي يكتبه علي أمين ، وذلك حتى ينتهي التحقيق في القضية الهامة التي أشار اليها بيان النائب العام .

□

ودعوت الدكتور « فؤاد ابراهيم » ومعه الدكتور « جمال العطيفي » المستشار القانوني للاهرام أطرح عليهما رأيي فيما وجدته معروضا عليّ :

كان رأيي أننا ربما نستطيع ـ ما دمنا قد أرجانا مؤقتا نشر الباب اليومي الذي يكتبه الاستاذ علي أمين بعنوان « فكرة » ـ أن نؤجل تحويل مرتب الشهور الثلاثة القادمة (من أغسطس الى أكتوبر) اليه في لندن ، هذا مع العلم أن تقدمنا بطلب تحويله في هذا الظرف الى لندن يمكن أن يفتح علينا باب مساءلات لا لزوم له ـ هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ـ فاننا لا نستطيع عدلا ولا واجبا أن نوقف صرف مرتبه ، والا فمعنى هذا اننا ـ تبرعا ـ حكمنا عليه وفصلناه .

وكان اقتراحي بعد ذلك أن نحول اليه مرتبه بالجنيه المصري الى حسابه الجاري ، وربما كان في ذلك أيضا ما يمكن أن ينفع أسرته المقيمة في القاهرة : زوجته وابنته الصغيرة منها ، وابنته من زواجه الأول .

وبعد مناقشات وافق الاثنان على اقتراحي مع لفت نظري الى أن هذا ترتيب مؤقت حتى ينتهي التحقيق مع الاستاذ مصطفى أمين ، ومن ثم يجري البت في الامور المعلقة كلها بتا كاملا .

لكن السكرتارية المالية للاهرام كانت على استعداد للصبر أسابيع ليس أكثر . وهكذا وجدت أمامي مذكرة ثانية محولة الى مكتبي من الدكتور « فؤاد ابراهيم » مقدمة اليه من السكرتارية المالية للاهرام ـ نصها كما يلي :

« مذكرة داخلية [1]

الموضوع : الغاء قيد مرتب وبدل انتقال الاستاذ علي أمين .

السيد مدير ادارة الشئون المالية والادارية

---

(١) صورة المذكرة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٢) .

تحية طيبة وبعد : لاحظنا أن مرتب وبدل انتقال الاستاذ علي أمين مراسلنا المتجول في أوروبا سابقا ، ما زالا يدرجان في ميزانية الاجور ويحولان الى حسابه الجاري ولكن مع ايقاف تحويل صافي قيمتهما الى الخارج بناء على تعليمات الادارة .

وحيث أن ادارة التحرير أوقفت التعامل مع سيادته منذ أواخر شهر يوليو ٦٥ فاننا نرجو التنبيه الى عدم ادراج أية مستحقات له اعتبارا من شهر نوفمبر القادم والغاء القيود الحسابية التي تمت في الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر ٦٥ ، اكتفاءا بما تم تحويله الى الخارج عن الشهور الثلاثة الاولى من بدء التعامل مع الاستاذ علي أمين وهي المدة من أول مايو الى آخر يوليو ٦٥ .

مع تحياتنا .

(امضاء) »

ولقد وجدت أن السكرتارية المالية للاهرام تعسفت في تفسير ما نشرناه قبل أسابيع عن وقف نشر عامود « فكرة » فأخذته على أنه ليس « ارجاء » للنشر ولكن « ايقافا » للتعامل .

ولم أشأ أن يدخل مكتبي ـ كرئيس لمجلس ادارة الاهرام ورئيس لتحريره ـ في مناقشة مع السكرتارية المالية حول تفسير النصوص ، خصوصا وأن تدخلي الان ـ بعد قرار اداري بالايقاف والغاء القيود الحسابية ـ يمكن أن يؤثر على حق ادارات الاهرام في اتخاذ قرارات في حدود اختصاصاتها ووفق احساسها هي بمنطق القواعد ومنطوق القوانين .

ومرة أخرى دعوت الدكتور«فؤاد ابراهيم » والدكتور « جمال العطيفي » لبحث المسألة .

شرحت أن هناك ـ غير القواعد والقوانين ـ علاقات بشر وعوامل انسانية .

ان الاستاذ علي أمين سافر الى لندن وترك أسرته في القاهرة لشقيقه الاستاذ مصطفى أمين ولي . ومصطفى الان رهن التحقيق ، ومعنى ذلك أن الاسرة لا تجد من تذهب اليه غيري ، وأنا لا أستطيع أن أتنصل من هذه المسئولية .

وسألت : « هل نستطيع من ميزانية مصاريف تحرير الاهرام ـ وتوجيه الصرف فيها يدخل في اختصاصي ـ ان نقدم مبلغا شهريا لاسرة الاستاذ علي أمين في القاهرة حتى تنجلي الامور ؟ » .

ودارت مناقشات واستقر الرأي في النهاية على أني أستطيع ما دمت أصر . لكن هناك شرطا واحدا وهو أن يكون التصرف والصرف تحت مسئوليتي وحدها ومن مكتبي .

وقبلت . ورتبت أن تزور زوجة الاستاذ علي أمين أول كل شهر مديرة مكتبي في ذلك الوقت السيدة « نوال المحلاوي » لتأخذ منها مبلغ مائتي جنيه ـ ثم يكون القيد الحسابي هو : « مصاريف تحرير صرفت بمعرفة رئيس التحرير وتحت مسئوليته » .

وظل هذا الترتيب معمولا به أكثر من عامين حتى استطعت فيما بعد أن احصل على تصريح بسفر الزوجة وابنتها لكي تلحقا بالأب في لندن ـ خصوصا وان ابنة الاستاذ علي أمين كانت تحتاج إلى عملية جراحية في العين من نوع العملية التي أجريت لابني في لندن ، وهي العملية التي حضرها الاستاذ علي أمين بدلا مني عندما اضطررت الى العودة للقاهرة في ٢٠ يوليو ١٩٦٥ .

□

كانت ظنوني ـ أو لعلها أوهامي ـ ان تلك آخر مرة تفرض عليّ فيها الظروف ان أختار أو أقرر شيئا يتعلق بالأستاذين مصطفى وعلي أمين .

وتفرغت في شهر سبتمبر ١٩٦٥ لدراسات مطولة ، ومناقشات واجتماعات ، حول ما عرضته من أفكار على جمال عبد الناصر بشأن الملكية

التعاونية للصحف بدءاً بالأهرام ثم تعمم على بقية الدور اذا نجحت التجربة .

وانتهينا الى صيغة انشاء « هيئة الصحافة العربية المتحدة »[1] . وقد تولى الدكتور « جمال العطيفي » وضعها في القالب القانوني وقدمتها للرئيس جمال عبد الناصر يبدي فيها رأيه ، فإذا أقرها قام بتوقيعها بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي الذي آلت اليه ملكية الصحف بنص قانون التنظيم .

ومساء يوم ١٥ أكتوبر دق التليفون في بيتي وكان جمال عبد الناصر على الخط يقول لي : « انه قرأ مشروع انشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة وقد أعجبه . وهو يرى الان ـ لاسباب عديدة ـ أن تنضم دار أخبار اليوم تحت أحكامه كالاهرام وأن أكون أنا رئيسا لمجلس ادارة الهيئة الجديدة » .

وقال ضمن ما قال : « سوف أترك الجمهورية للتنظيم السياسي في الاتحاد الاشتراكي وأعهد بالاشراف عليها الى « علي صبري » ، ولتكن هي جريدة التنظيم . وأما الصحافة المحترفة ـ بالدرجة الاولى دار الاهرام ودار أخبار اليوم ـ فلتدخل جميعا في اطار ما اقترحته وما وافقت عليه » .

وحاولت أن أناقش قراره . ولم تكن هناك جدوى ، فقد قطع في الامر برأي نهائي حين قال : « سوف أخطر الان خالد محيى الدين وغدا ترتب أن تلتقي معه لكي تتسلم أخبار اليوم وتنظم أوضاعها استعدادا لانشاء الهيئة الجديدة » .

ولم أكن مستريحا .

□

---

(١) بعد سنوات من خروجي من الأهرامُ تنبه البعض الى أن قانون هيئة الصحافة العربية المتحدة ما زال قائما ، وأصدر الرئيس السادات قرارا بالغائه وأعيدت الصحافة الى الملكية الكاملة للدولة . وكانت العناوين التي نشرت لقرار الالغاء تصور الأمر وكأنه انهاء لسيطرة فرضتها (أنا !) على الصحافة وقبضة حديدية حاولت احكامها على رقبتها !!

كانت الاسباب التي نزعت مني الشعور بالراحة ـ في نفس وقت قبول اقتراحي بانشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ متعددة أبرزها سببان :

السبب الاول : ان اشرافي على صحف دار أخبار اليوم الى جانب صحف دار الاهرام ـ تركيز للقوة الصحفية في يد واحدة بأكثر مما هو ضروري وصحي (وفيما بعد كتبت ذلك صراحة في الخطاب الرسمي الذي وجهته الى الرئيس جمال عبد الناصر اعتذر فيه عن قبول منصب وزير الارشاد القومي) .

والسبب الثاني : يتلخص فيما بدا لي من تضارب المصالح بين دارين صحفيتين تصدر عن كل منهما جريدة يومية تنافس الأخرى ، أو هكذا يجب أن يكون .

ولم يكن أمامي سبيل الى حل الاشكالية الاولى في ذلك الوقت .

وأما الأشكالية الثانية فقد رأيت حيالها أن يكون لاخبار اليوم وضع مستقل حتى عن شخص المفوض بسلطات مجلس ادارتها .

وهكذا رحت أبحث عن أنسب وضع يحقق لدار أخبار اليوم قوتها الذاتية المستقلة .

وعلى هذا الاساس دعوت الاستاذ « جلال الدين الحمامصي » ـ الذي سبق أن فصله السيد « كمال رفعت » من أخبار اليوم فالتحق بوظيفة في الجامعة الامريكية ـ وعينته بالحد الاقصى للمرتبات وقتها لكي يكون مشرفا عاماً على تحرير صحف دار أخبار اليوم ، واتفقت معه على أن تكون لصحف الدار كلها حريتها الكاملة خصوصا ازاء الاهرام .

ودعوت الاستاذ « احسان عبد القدوس » وعينته ـ بالحد الأقصى للمرتبات ـ رئيسا لتحرير مجلة أخبار اليوم الاسبوعية .

ودعوت الاستاذ « يوسف السباعي » وعينته ـ بالحد الاقصى للمرتبات ـ رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة .

وجعلت الاستاذ « موسى صبري » رئيس التحرير المسئول عن جريدة الاخبار ورفعت مرتبه هو الآخر اسوة بغيره .

ثم طلبت من الاستاذ « أنيس منصور » أن يكتب بابا ثابتا كل يوم في الاخبار ورجوته في اختيار ثلاثة عناوين لهذا الباب اختار واحدا منها . وبالفعل فقد اخترت من بينها عنوان « مواقف » الذي ظل الاستاذ « أنيس منصور » يكتبه سنوات في الأخبار ثم نقله معه بعد ذلك للاهرام .

وفوق ذلك فلقد دعوت الاستاذ « السيد الصادق أبو النجا » ليكون مشرفا عاما على ادارة أخبار اليوم ، وكان يشغل هذا المنصب من قبل في عهد ملكية الاستاذين مصطفى وعلي أمين لدار أخبار اليوم .

واعتقدت أنني بذلك وفرت لاخبار اليوم أقصى كفاءات مهنية أستطيع أن أجدها في المجال الصحفي وفي اطار ما هو متاح .

وقصرت ذهابي الى أخبار اليوم في حدود مرتين أو ثلاث في الاسبوع.. ولمدة ساعة أو ساعتين على الأكثر كل مرة . . . أقل مدة كافية لتصريف الشئون التي تحتاج الى قرار من رئيس مجلس الادارة .

وفي كل الاحوال فلقد رجوت الرئيس جمال عبد الناصر ان يعتبر قيامي باختصاصات رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ـ في اطار هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ اجراءاً مؤقتاً الى حين يتسنى له اختيار بديل .

□

ونشر قرار تخويلي سلطة مجلس ادارة أخبار اليوم ـ الى حين اتمام اجراءات مناقشة وصدور قانون انشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ يوم ١٧ اكتوبر ١٩٦٥ . ويوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت من الاستاذ علي أمين في لندن البرقية التالي نصها :[١]

---

(١) صورة من برقية الاستاذ علي أمين من لندن في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٣) .

« انني مسرور بالاندماج وفي غاية السعادة وأنا أراك تحقق حلمي الكبير . ان هذه الخطوة البديعة تملؤني بتفاؤل لا حدود له بمستقبل الصحافة المصرية . فليباركك الله وكل هؤلاء الذين يتعاونون معك .

علي »

وأعترف أن برقية الاستاذ علي أمين خففت لدي بعض ما كنت أشعر به من حرج . لكن التطورات لم تتركني طويلا أحس بالراحة .

فما هي الا أيام بعدها حتى صدر من النيابة العليا لامن الدولة قرار الاتهام في قضية الاستاذ مصطفى أمين واحالته الى محكمة أمن الدولة (١) .

واتصل بي الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا يقول لي « أن قرار الاتهام في قضية مصطفى أمين قد صدر وأنه سيرسل اليّ ملفا بالتحقيق ، وهو يطلب مني أن اشرح تفاصيل القضية لمحرري أخبار اليوم حتى تكون الصورة واضحة أمامهم . » .

وتوسلت اليه أن يعفيني من هذه المهمة فانا لا أستطيع ـ انسانيا ـ أن أقوم بها ، ثم أن شرح تفاصيل قضية أمام محكمة أمن الدولة ليس من اختصاصي .

وأشهد أن الرئيس جمال عبد الناصر راعى وجهة نظري . وهكذا جاء الى دار أخبار اليوم أحد ضباط هيئة الامن القومي ومعه ملفات القضية والتحقيق وأشرطة التسجيل وعرضها في اجتماع حاشد لاسرة أخبار اليوم (٢) .

وتكرر المشهد بعد ذلك في نقابة الصحفيين حينما طلب النقيب في ذلك

---

(١) نص أمر الاحالة في قصية الاستاذ مصطفى أمين الى محكمة أمن الدولة العليا في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٤) .

(٢) حضر هذا الاجتماع كل رؤساء تحرير ومديري تحرير ومحرري أخبار اليوم وادارييها ، ومعظمهم لا زال في مكانه حتى الآن ، وأتحرج الآن ـ أدبا ـ من ذكر تعليقاتهم التي قالوها لي بعد الاجتماع على ما سمعوه !

الوقت أن تتاح نفس الفرصة لبقية أعضاء النقابة لان الامر يهم كل جموع الصحفيين .

□

وصباح اليوم التالي كنت في أخبار اليوم . وجاءتني احدى السكرتيرات ـ وكانت من قبل مختصة بالعمل مع الاستاذ مصطفى أمين ـ تقول لي أن زوجة الاستاذ علي أمين في مكتبها وتطلب بصورة عاجلة أن تراني . ورجوتها أن تدعوها على الفور ، واستأذنتني اذا كانت تستطيع ان تحضر معها لانها تعرف الموضوع الذي حدا بها الى طلب المقابلة العاجلة .

كان الموضوع باختصار أنها ـ زوجة الاستاذ علي أمين ـ تعتبر نفسها مسئولة عن ترتيب الدفاع عن الاستاذ مصطفى أمين ، فهو مطلق من زوجته وابنتاه قاصرتان ـ وهي وحدها في القاهرة تمثل الاسرة . وكان هذا حقها لا يجادلها فيه أحد .

لكنها بعده كانت تريد مبلغا من المال لترتيب الدفاع . وكان هذا مشروعا . وقد رجوتها أن تترك لي فرصة لبحث الامر .

ودعوت الدكتور « قاسم فرحات » ـ المدير العام لدار أخبار اليوم وقتها ـ الى مكتبي أسأله عن الوضع المالي والقانوني للاستاذ مصطفى أمين منذ اعتقاله وحتى اعلان قرار الاتهام . وفوجئت أن علمت من الدكتور « قاسم فرحات » أن رئيس مجلس الادارة السابق قرر فور القبض على الاستاذ مصطفى أمين ايقاف صرف مرتبه ، وان المستشار الفني القانوني لاخبار اليوم أقر هذا الاجراء بمذكرة مكتوبة ، وبالتالي فانه ليس لمصطفى أمين أية مبالغ في ذمة أخبار اليوم .

كان المبلغ المطلوب لترتيب الدفاع هو ألف جنيه . وكانت زوجة الاستاذ علي أمين قد تمكنت من تدبير نصفه وبقي نصفه الآخر بدون تدبير ، خصوصاً وان الحراسة كانت قد فرضت على أمواله . وكان هناك رأي يرى أن الحراسة هي الجهة التي يجب أن تتولى دفع نفقات الدفاع .

ولم أشأ أن أتصرف في الموضوع بطريقة سرية ، فقد خطر لي أن السرية في مثل هذه الظروف قد تفتح مجالا لتأويلات لا مصلحة فيها لاحد .

وهكذا قررت ـ دون عودة الى أحد ـ أن أتصرف في الامر بطريقة مفتوحة وبدون التواءات تحتمل الالتباس وسوء الظن .

وهكذا كتبت بخط يدي ، وعلى الورق الرسمي لدار أخبار اليوم ، قرارا مفصلا موجها الى الدكتور « قاسم فرحات » المدير العام ـ نصه كما يلي بالحرف [1] :

« عزيزي الدكتور قاسم فرحات

تعقيبا على مذكرة المستشار الفني لمؤسسة أخبار اليوم بشأن مشكلة صرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين ، ونظرا لان أسرة الاستاذ مصطفى أمين تقدمت الى أخبار اليوم تطلب صرف مبلغ خمسمائة جنيه لمصاريف الدفاع عنه ، فان وجهة نظري كما يلي :

١ ـ ان استحقاق الاستاذ مصطفى أمين للمرتب بعد الاعتقال وحتى صدور حكم من المحكمة وتحت ظروف الحراسة ، هو أمر قابل للمناقشة كما يتضح من تقرير المستشار القانوني ومن مراسلات الحراسة .

٢ ـ من ناحية أخرى فان السيد خالد محيي الدين رئيس مجلس الادارة السابق الذي عرض أمامه هذا الامر رأى بوقف المرتب . وهذا قرار له ما يبرره من المنطق ، فضلا عن ان اتخاذه بالفعل من سلطة مختصة يعطيه قيمته حتى في حالة اعادة طرحه للمناقشة .

٣ ـ ومع ذلك ـ ومن ناحية أخرى لها اعتبارها الصحفي العام والصحفي الخاص بالنسبة لدار أخبار اليوم والعاملين فيها ـ فاني أضع الاعتبارات التالية :

---

(١) صورة من هذا القرار بخطي على أوراق أخبار اليوم في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٥) ، والأصل موجود بملفات دار أخبار اليوم .

ا) ان من كرامة المهنة وشرفها أن يجد الاستاذ مصطفى أمين ـ بصرف النظر عما وقع ، وما هو موضوع الاتهام الان والمحاكمة ـ فرصة كاملة للدفاع عن نفسه ، ومن أول ضمانات هذه الفرصة أن يقدر على اختيار محاميه الذي يعهد اليه بقضيته .

ب) وفضلا عن ذلك ، فان الفرصة الكاملة للاستاذ مصطفى أمين للدفاع عن نفسه هي في ذات الوقت أمر يحتمه الضمير المهني لدار أخبار اليوم التي كان مصطفى أمين أحد مؤسسيها .

٤ ـ ولقد كان يمكن الركون الى الحراسة حتى تتولى هي مهمة دفع تكاليف الدفاع الذي عهد به الى الاستاذ محمد عبد الله لكننا نعلم جميعا ، وهذه حقيقة واقعة ، ان اجراءات الحراسة تقتضي ـ حتى مع اقرار المبدأ ـ وقتا طويلا لوضعه موضع التنفيذ ، هذا بينما القضية تحدد موعدها بالفعل ولا بد أن يتأهب الدفاع لمسئوليته ، وقبل ذلك أن يكلف بها .

٥ ـ وبما أن موضوع صرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين ـ حتى بعد الاعتقال والحراسة ـ هو أمر تختلف فيه وجهات النظر وليس هناك ما يحول دونه قانونا ، فهو اذن بداية يمكن أن تستند اليها أخبار اليوم في تقديم مقدم الاتعاب الذي يطلبه الاستاذ محمد عبد الله .

بل اني لأقول أكثر من ذلك ، بأنه حتى اذا كانت القواعد تقضي بسقوط أي حق للاستاذ مصطفى أمين ـ فان « أخبار اليوم » أمام مسئولية أدبية حيال هذه المشكلة ، حتى وان أدى الامر ان يفتح اكتتاب بين جميع العاملين فيها لجمع المبلغ .

ليس عن رعاية لشخص مصطفى أمين ولا تخفيفا مما هو منسوب اليه أو استهانة به ، وانما عن رعاية لكرامة شركة المهنة وكرامة شركة الزمالة .

وبناء على ذلك كله فاني أرى بأن تدفع أخبار اليوم ـ تحت حساب معلق أو مؤقت ـ مبلغ خمسمائة جنيه لأسرة الاستاذ مصطفى أمين وبالتحديد للمسئولين منهم عن متابعة عملية الدفاع عنه .

ويمكن أن يبت في هذا المبلغ على أساس التصرف النهائي في المشكلة خصوصا بعد انتهاء المحاكمة .

وحتى اذا ظهرت فيما بعد عوائق تحول دون تحمل أخبار اليوم به ، فان تقاضيه من الحراسة قد يكون موضع بحث . فاذا تعذر ذلك واستحكمت العوائق بغير حل فاني على استعداد لتحمل أية مسئولية مادية تنجم عن هذا القرار .

ولك أخيرا شكري .

محمد حسنين هيكل »

وتم صرف المبلغ .

وجاءني من داخل أخبار اليوم ـ وبينهم أكثر من واحد ما زالوا داخلها ـ يبدون الاشفاق عليّ وانني أعرض نفسي لمشاكل لا لزوم لها في ظرف عصيب .

واتصل بي السيد « أنور السادات » يسألني مستغربا : « هل صحيح ما سمعه ؟ »

وأجبت بكلمة تحتمل كل تأويل ، فقد قلت : « يعني » .

وكان تعليقه : « لا بد أن مصطفى يمسك لك بزلة يهددك بها حتى تفعل ما تفعله » !

ومساء نفس اليوم سألني الرئيس جمال عبد الناصر عن حقيقة ما ذاع في الاوساط الصحفية من أن أخبار اليوم بقرار مني دفعت تكاليف الدفاع عن مصطفى أمين ، وكان قولي له : « انني تصرفت على نحو أثق أنك كنت ستتصرف به لو أنك مكاني » .

ولم أقل أكثر ، وأشهد أمام الله أن تعليقه كان : « انني أستطيع أن أفهمك لكن ما أخشاه أن لا يفهمك غيري » ـ وقلت « انه يهمني أن يفهمني هو وأما الاخرون ممن لا يفهمون فأمرهم لا يعنيني » .

□

وكانت أمامي مهمة أخرى في تلك الليلة . كنت قد وعدت الزوجة السابقة للاستاذ مصطفى أمين أن أمر عليها في بيت أسرتها لانها أرادت أن أجلس مع ابنتيها منه ، فهما في أزمة نفسية بعد نشر قرار الاتهام ، وقد امتنعتا عن الذهاب الى المدرسة حتى لا تضطرا الى مواجهة حرج .

ومررت عليها ، وكان معها شقيقها المستشار « ممدوح عطية » ـ وزير العدل فيما بعد ـ وتحدثنا في الموضوع طويلا ، ثم دعت ابنتيها للجلوس معنا .

كان الموقف مرهقا وحاولت بكل جهدي أن أخفف عن فتاتين في مطلع الصبا دون خداع أفقد به فيما بعد ثقتهما .

حينما سألتني كبراهن « رتيبة » : « اذا كنت أصدق أن أباهما جاسوس » ـ قلت لها :

ـ ريتا (كذلك كنا ندللها) ان أحدا لم يقل بذلك ولا بد لنا أن ننتظر نتيجة المحاكمة .

لا أريد أن تشعري أن وطنك يضطهد أباك ، ليس هناك من يريد ذلك أو يتعمده .

المشكلة أن هناك خطأ وقع فيه لظروف لا نستطيع نحن تقديرها ، ولنا أن نأمل في حصر هذا الخطأ .

لو لم تكن هناك قضية « الأموال » التي كان مصطفى يحاول اخراجها من مصر لاختلف شكل القضية . . ومع ذلك فانا أظن أن مصطفى لم يكن يعتقد أنه يرتكب جريمة تهريب ، وانما أظن أنه كان متضايقا من بعض الظروف وكان يريد أن يغادر مصر . نتيجة ذلك فانه وقع في خطأ كبير لكني لا أظن أنه ارتكب جريمة أخرى »[1] .

---

(١) سمحت لنفسي أن أروي هذه الواقعة ـ وهي عابرة وشخصية ـ لأنهم نشروا ضمن ما نشروه ! ـ أن « القسوة » بلغت بي الحد الذي قلت فيه لابنة الاستاذ مصطفى أمين في « وجهها » أن والدها « مذنب » !

لم أكن أريد لها ـ أو لشقيقتها ـ أن تتولد لديهما عقدة اضطهاد .

ولم أكن أريد في نفس الوقت أن أسيء الى والدهما .

ولم أكن أريد أن أرسم صورة غير صحيحة للاحتمالات .

وعادت تسألني :

ـ « هل أستطيع أن أزوره ؟ »

ودون تفكير وجدتني أقول :

ـ « سوف أبحث امكانية ذلك الأمر . . . ومع ذلك فسأحاول أنا زيارته نيابة عنك وأطمئنك عليه حتى يتاح لك ـ ولشقيقتك ـ أن ترياه » .

الفصل الثاني
لقـــاء في السجـــن

حين قلت للابنة الكبرى للاستاذ مصطفى أمين أنني أنوي زيارة والدها، لم أكن مدفوعاً بمجرد الاحساس بلحظة عاطفية. كنا بالفعل قد اتفقنا على ان أحاول .

وصيغة الجمع «كنا» هنا ـ لم تكن تشملني وحدي وانما كانت تضم ـ غيري ـ اثنين من أصدقاء الاستاذ مصطفى أمين : أولهما هو الاستاذ « سعيد فريحة » صاحب « دار الصياد » اللبنانية ، وهو واحد من أبرز الصحفيين في لبنان ، وكنت أراه دائماً طبعة لبنانية من الاستاذ « محمد التابعي » . كان مثل « محمد التابعي » فناناً مرهف الحس والمشاعر ، وكان مثله يعيش حياته بالطول والعرض ، وكان مثله صاحب أسلوب حلو المذاق ، نشيط في أنغامه رقيق في ايقاعه . وكان « سعيد فريحة » بقلبه معجباً بالاستاذ مصطفى أمين .

أما الثاني فكان الاستاذ « محمد أحمد محجوب » ـ رئيس وزراء السودان أكثر من مرة ـ وكان «محجوب» ـ الذي بدأ حياته محامياً في دائرة السيد « عبد الرحمن المهدي » (باشا) ـ عقلا مرتباً . والى جانب العقل المرتب فقد كان « محجوب » شاعراً تهيم روحه حيث يكون الجمال . وكان الأدب يشده من المحاماة،وكانت الصحافة ومجالس الصحفيين تستهويه وتجذبه. وكان هو الآخر صديقاً للاستاذ مصطفى أمين .

والتقينا نحن الثلاثة معاً في مكتبي في « الاهرام » ـ بعد يومين من اعلان قرار الاتهام ـ نبحث : كيف نستطيع مساعدة الاستاذ مصطفى أمين ؟

كان رأيي ـ وقد طرحته عليهما ـ يتلخص فيما يلي :

١ ـ انني ما زلت في حالة « استغراب » من كل الوقائع والوثائق وما ظهر منها .

٢ ـ ان تقديري ان الاستاذ مصطفى أمين لاسباب ليست واضحة أمامي ـ ولا أريد ان أبحث فيها طويلا ـ تورط في خطأ مزعج .

٣ ـ انه بصرف النظر عن أي شيء فلا بد ان تتوافر للاستاذ مصطفى أمين كل فرص الدفاع عن نفسه ، ولا بد ان نساعده فيها الى أقصى حد نستطيع ـ فهذه مسألة تمس المهنة كلها كما تمس شخص الاستاذ مصطفى أمين .

٤ ـ انني في كل الاحوال لا أستطيع ان أنسى سنوات طويلة من الآمال المشتركة والعمل المشترك ربطتني بالاستاذين مصطفى أمين وعلي أمين. ومع أني أعرف ان هناك من يتربصون بي وينتظرون أول خطوة في غير موضعها الصحيح أخطوها، فان ذلك لن يؤثر على موقفي . (ولم تكن في هذا عنترية أو دون كيشوتية ، فقد كنت أعرف ان مئات من الصحفيين المصريين والعرب يتوقعون مني بحكم الظروف ان أتصرف على نحو يعبر عنهم جميعاً . ولم يكن همّ هؤلاء جميعاً ان يبرئوا متهماً أو يتهمـوا بريئاً ، وانما كان همهم ان يتأكدوا من ان واحداً منهم يستطيع ان يتابع عن كثب وباهتمام ضرورة ان تكون موازين العدل مستقيمة) .

ثم كان اتفاقنا على ان المشكلة التي نواجهها لها شقان :

مساعدة الاستاذ مصطفى أمين في الدفاع عن نفسه، والشق الثاني ان نتأكد من ان أسرتي الاستاذين مصطفى وعلي أمين تجدان من حولهما ظروفاً ميسرة .

وكان رأينا بعد ذلك أنه لا بديل أمامنا غير انتظار المحاكمة ، وبعدها نعيد تقدير مواقفنا على أساس ما تسفر عنه .

وسألني الاستاذ محمد أحمد محجوب « ما اذا كنت أستطيع انا مقابلة الاستاذ مصطفى أمين ، لان أية محاولة بطلب اذن زيارة من جانبه أو من جانب الاستاذ سعيد فريحة في هذه المرحلة قد تبدو تطفلاً خارجياً ربما يساء تفسيره » .

ووافقت على الفور .

□

كان الاستاذ مصطفى أمين ـ بعد انتهاء التحقيقات الأولية معه ـ قد نقل الى سجن الاستئناف في ميدان باب الخلق . ومن هناك بعث لي برسالة مع ضابط شاب في مصلحة السجون هو « عباس لبيب » ، الذي أصبح فيما بعد ناقداً رياضياً مشهوراً في جريدة الاهرام . وكان مجيئه لي برسالة الاستاذ مصطفى أمين هو بداية صلته بي ومقدمة التحاقه بالقسم الرياضي بالاهرام .

كان الاستاذ مصطفى أمين يريد ان يراني . وكذلك كان يريد بعض الأدوية والفيتامينات . ولم يكن بعض هذه الادوية متوفراً في السوق المحلية ، وبعثت الى الاستاذ سعيد فريحة في بيروت أطلب منه شحنة دواء وفيتامين .

ثم انتهزت فرصة لقاء مع جمال عبد الناصر وعرضت عليه الامر .

حدثته عن اجتماعنا : الاستاذ سعيد فريحة والاستاذ محمد أحمد محجوب وأنا ، ورويت له ما اتفقنا عليه وأضفت : « انني في طلبي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين لا أصدر عن مشاعر وذكريات انسانية فقط ، وانما أيضا أصدر عن اقتناع بأنه من الخير ان يكون واضحاً أمام مئات من الصحفيين في مصر وفي العالم العربي انه ليس هناك ستار حديدي نزل على واحد منهم وانتهى الأمر . ذلك زميل لهم عرفوه ثلاثين سنة في المهنة وما هو منسوب اليه خطير ،

ومن حقهم وواجبهم ان يكونوا على اتصال به ولو عن طريق واحد منهم » . . وأضفت أنه « اذا رأى الرئيس نفسه محرجاً في التصريح لي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين » فليكن الاذن اما لنقيب الصحفيين واما لواحد من الصديقين : سعيد فريحة أو محمد أحمد محجوب » .

ثم قلت في النهاية : « انني أفضل أن أقوم شخصياً بهذه الزيارة لان الاستاذ مصطفى أمين سوف يتكلم حراً معي فيما يشاء أكثر مما يستطيع مع غيري ، ومع ذلك فالرأي الاخير للرئيس » .

وفكر جمال عبد الناصر قليلا ثم كان قراره : « أنه لا يمانع في ان أذهب شخصياً . أولاً لأن من حق « مصطفى أمين » ان يستقبل زواراً . ثم أنه ـ ثانياً ـ طلب بالفعل ان يراني . وهاانذا ـ ثالثاً ـ أطلب ان أراه ، فاذا رفض طلبي فان هذا الرفض قد يساء تفسيره » .

ثم أضاف : « اتصل بوزير الداخلية واطلب منه تصريحاً » . . . واستطرد : « قل لابنته ان تتقدم بطلب اذن زيارة اذا أرادت » .

□

في الساعة العاشرة الا خمس دقائق من صباح الثاني من نوفمبر ١٩٦٥ كنت أمام باب سجن الاستئناف ومعي الاستاذ « محمود عبد العزيز حسين » ـ رئيس قسم الحوادث في الأهرام وقتها ـ الذي كان يحمل في يده اذنا لي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين ويتولى بنفوذه في مصلحة السجون مهمة تسهيل اجتياز اجراءات بدت لي ثقيلة وكئيبة . والحقيقة أنني كنت أشعر بانقباض من هذا الموقف الذي كنت بسبيلي الى مواجهته ولم يكن منه بد .

ووصلنا أخيراً الى غرفة مأمور السجن الذي قال لنا ان الاستاذ مصطفى أمين في الطريق وأنه ـ المأمور ـ يفضل أن يتم لقاؤنا في مكتبه . ثم طلب الى الاستاذ محمود عبد العزيز حسين أن ينتظر في غرفة أخرى . ومضت دقيقة خلتها دهراً وجاء الاستاذ مصطفى أمين .

كنت أشعر ان الموقف بالغ الصعوبة عليه وعليّ ، لكنه أقبل فاتحاً ذراعيه يعانقني وفتحت ذراعيّ ، وقبلني على الخدين وقبلته ، وفي لحظة واحدة ذابت أشياء كثيرة .

وتبادلنا أسئلة بلهاء عن الصحة والأحوال وعن أخبار علي أمين . وقلت له ما عندي بسرعة كما طمأنته على ابنتيه وأنهما سوف تجيئان لزيارته . ولم يكن متحمساً وكنت أفهم مشاعره .وأحسست ان سبب البلاهة البادية في حديثنا يرجع الى احساسنا بوجود رقيب معنا ، والتفت الى مأمور سجن الاستئناف أسأله : « هل أستطيع ان أنفرد بالاستاذ مصطفى أمين ؟ » .

وقال الرجل بأدب ان اللوائح لا تسمح ، لكنه تقديراً للظروف سوف يقف على باب غرفة مكتبه ليوفر لنا أقصى قدر ممكن من الخصوصية » . وقام ـ كريما ـ بالفعل وتركنا .

وبدأنا ندخل في الموضوع .

قلت للاستاذ مصطفى أمين على الفور : « أريد ان أطمئن منك أولا عن معاملتك أثناء التحقيق ؟ هل وقع عليك ضغط . . . اكراه أو قسر؟ » .

وقال بصوت خفيض : « لقد عزلت عن الدنيا أربعين يوماً لم أقرأ فيها صحيفة ولم أعرف ماذا كان يجري » .

قلت : « انني لا أسأل عن ذلك . طبيعي ان تكون هذه العزلة أثناء التحقيق . . ما أسأل عنه هو : هل كان هناك شيء آخر ؟ »

وهز رأسه نفياً ثم أجاب بالنفي . ثم سألني : « لقد كتبت خطاباً شخصياً لسيادة الرئيس فهل وصله ؟ » ـ وقلت : « نعم . . . وقد قرأته . . . أعطاني الرئيس نسخة منه » .

وفجأة أفلت مني زمام السيطرة على مشاعري فقلت له : « مصطفى . . . لماذا ؟ »

وكان صوتي جريحاً بمشاعر الأسى . . . ولاحت لي في عينيه دمعة تتأرجح .

وأصررت على سؤالي أكرره : « لماذا ؟ لماذا ؟ »

وسألني : « هيكل . . . هل تعتقد أنني جاسوس ؟ » ـ وقلت : « انني لا أتصور ذلك . . . لكن هناك أسئلة كثيرة لا بد لها من رد » .

واندفع يتكلم :

ـ « انني خائف من الشيوعيين . . . خائف منهم على سيادة الرئيس . . . أرجوك ان تحذره . . . انهم في كل مكان في الصحافة وفي الجيش . . . يرتبون أنفسهم في الجيش . . . . أنت لا تعرف ماذا يفعلون . . . انني كنت أريد اخراج ما لديّ في مصر من « فلوس » الى الخارج لكي أخرج قبل ان يستولوا على السلطة » .

ووجدت نفسي مضطراً الى مقاطعته :

ـ « مصطفى . . أين هم هؤلاء الشيوعيون ؟ وعلى فرض أنهم على النحو الذي تصفه ، فهل هذا يبرر ان تتصرف على هذا النحو الذي تصرفت به ؟ »

وقال : « ربما أكون أخطأت » .

وسالت دمعته المتأرجحة . وأعطيته منديلي ووجدتني أمسك بيده . وتمالك نفسه وعاد يسألني عما نشر في مصر وفي بيروت عن قضيته . وأجبته .

وعاد يسألني : « ماذا سيفعل معي سيادة الرئيس ؟ » .

وقلت : « لم تعد المسألة الان مسألة ماذا سيفعل الرئيس ؟ ـ القضية الآن في الطريق الى محكمة . . . ولا أخفي عليك أنني أدعو الله ان تكون المحاكمة سرية لان كل ما في الاوراق والاشرطة والتقارير مسيء . . . مسيء للمهنة ولكل الاطراف . . . ومع ذلك فلا أظن ان الصورة ستتضح الا بعد انتهاء المحاكمة » .

وعاد الى حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين ، ولم أشأ أن أجادله ، فلقد أحسست انه يقف عند خط دفاعه الاخير . كان لا بد له من غطاء أمام الناس وربما أمام نفسه . بدا لي أنه من الظلم في هذه الظروف ان أحاول ـ أنا على الاقل ـ تشديد الجدل في حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين . واذا سقطت ورقة التوت أثناء اشتداد الجدل فأي نفع يمكن ان يعود عليه أو حتى على الحقيقة من سقوطها . ان سقوطها ـ هكذا بدا لي ـ سوف يؤدي الى انفكاك تماسكه ، ومن الظلم له ان يدفع الى هذه الحالة في تجربة يحتاج فيها أكبر قدر من تماسكه العقلي والنفسي ـ بصرف النظر عن الاساس ـ حتى يستطيع ان يعبر رحلة الاسابيع والشهور ـ وربما السنين ـ القادمة .

وقلت له :

ـ « على فكرة . . . كان سعيد فريحة ومحمد أحمد محجوب عندي قبل أيام وكلاهما يبعث لك سلامه . . . وهناك ربطة أدوية وفيتامينات أرسلها الينا سعيد من بيروت » .

وسألني : « هل قابلا سيادة الرئيس ؟ »

ورددت بالنفي وشرحت له ما تحدثنا فيه ، وكان تعليقه : « ان ذلك قد يأخذ وقتاً طويلاً » .

وقلت : « ان الامر ليس في يد أحد منا ونحن نحاول الى أقصى حد نراه » .

وسألني : « كم من الوقت أقدر ان تطول المسألة ؟ »

وقلت : « وكيف لي ـ أو لغيري ـ أن يعرف ؟ »

وقال : « ألم يكن كافيا أنني اعترفت بكل أخطائي ؟ »

ولم أقل شيئاً .

واستطرد : « لديّ اقتراح . بدل المحكمة والمحاكمة ، لماذا لاّ يعتقلني

سيادة الرئيس بقرار منه فترة تأديبية ؟ . . . . أو لماذا لا يحكم هو عليّ بالنفي من مصر ؟ » .

وقلت : « مصطفى . . دعنا نواجه الواقع كما هو ، ولا فائدة الآن من التعلق بأوهام » .

وأطرق برأسه ساكتا. ورحت أحدثه عن بناته ، ثم انتقلت الى بعض الشئون العامة المنشورة في الصحف وقد تصورت أنه قد يخفف عنه ان يشعر بصلة مع ما يجري خارج السجن .

وسألني اذا كنت أستطيع ان أرتب ارسال صحف ومجلات القاهرة وبيروت له . وجهاز راديو صغير .

ووعدته .

□

ودخل مأمور السجن الى الغرفة ووراءه أحد جنود السجن يحمل صينية عليها فنجانان من القهوة وقال بأدب :

ـ « تشربان فنجان القهوة . . . ثم تنتهي الزيارة » .

قالها وهو ينظر في ساعته .

ولم أكن أشعر أنني أستطيع ان أضع شيئاً في فمي ، لكني تظاهرت برشف فنجان القهوة . كان الاستاذ مصطفى أمين قد راح يفتح طرد الادوية والفيتامينات الذي بعث به سعيد فريحة ويراجع ما يحتويه .

ثم رفع رأسه وسأل مأمور السجن : « متى يسمحون لي بأن أتلقى طعاماً من بيتي ؟ »

وقال مأمور السجن : « فور ان يصلنا تصريح بذلك » .

وقلت لمأمور السجن : « انني سوف أعمل على ان يصل التصريح هذا

اليوم ، ونحن على أي حال ـ كصحفيين ـ نترك الاستاذ مصطفى أمانة عنده واثقين أنه يعرف مكانته بالنسبة لنا جميعاً » .

وقال الاستاذ مصطفى أمين موجهاً كلامه لمأمور السجن : « هه . . . هل سمعت ؟ »

ورد مأمور السجن : « استاذ مصطفى . . . هل هناك ما تشكو منه ؟ اننا بالطبع نعرف ان السجن ليس تجربة « مفرحة » ، ونحن نتمنى لكل نزيل عندنا ان تثبت براءته ويذهب الى بيته ، لكننا حتى يحدث ذلك أمام قوانين ولوائح . وعلى أي حال فاننا نحاول ان نعطيك كل التسهيلات التي تسمح بها هذه القوانين واللوائح ، واذا كانت لديك ملاحظات فانني أرجوك ان تقولها الآن أمام الاستاذ هيكل » .

وتدخلت بسرعة قائلاً : « بالعكس انني لم أر صحة الاستاذ مصطفى أمين ـ منذ وقت طويل ـ جيدة كما أراها الآن . . أخذ اجازة هنا من العمل ومن السهر ومن بعض الناس » .

وضحكنا ـ على الاقل من حناجرنا ـ وجاءت لحظة الوداع ، ولم يكن عبئها النفسي بأخف من لحظة اللقاء .

ومشيت متثاقلا . وعاودني الشعور بالانقباض وأنا أجد نفسي متجهاً الى باب السجن للخروج ، وأما هو فقد اتجه الى طريق آخر .

□

في السيارة من ميدان باب الخلق ـ حيث سجن الاستئناف ـ الى مبنى الاهرام [1] ـ في شارع مظلوم ـ كنت في دهشة لاختلاط مشاعري . كنت

---

(١) لم يكن العمل في مبنى الاهرام الجديد قد انتهى . بدأ بناؤه في شارع الجلاء سنة ١٩٦٢ وانتقلنا اليه سنة ١٩٦٨ .

أتأمل نفسي وكأنني خارجها أطل عليها من بعيد . كأنها مشهد مستقل عني أتابع بفضول ما يطرأ عليه من تغييرات متلاحقة في الاشكال والألوان والظلال . وكنت أتعجب من النفس البشرية وطبائعها .

كان الاستاذ محمود عبد العزيز حسين الى جانبي في السيارة يصحبني في رحلة العودة كما صحبني في رحلة الذهاب .

وأحسست أنني أريد أن أتكلم حتى ولو كان كلامي لنفسي ـ وما كاد يبدي ملاحظته « بأن التأثر باد عليّ ولا بد أنها كانت مقابلة مرهقة » ـ حتى وجدت خواطري تنفلت مني :

« صحيح كانت مقابلة مرهقة .

هناك ظروف يعجز فيها البشر عن اتخاذ موقف .

أعرف من ناحية أن مصطفى وقع في خطأ شديد . . .

أعرف أن البعض يطالبني بأن أبتعد عن القضية كلها وان أترك كل واحد لحسابه . . . كان هناك خطأ في حق البلد ، وهو موضوع أكبر مني ومن مصطفى ومن أي فرد . . . . كان هناك خطأ في حقي كصديق تدخلت وتوسطت من أجله فرصة بعد فرصة . . .

أعرف ان هناك من يتربصون بي يحاولون تحميلي جزءاً من المسئولية .

ربما كان الذين يطالبون بالابتعاد عن القضية كلها على حق من وجهة نظر عامة ومن وجهة نظر شخصية .

المشكلة ان هناك أشياء أخرى . هناك روابط تصنعها السنين بيننا وبين آخرين . لا نملك ولا نقدر في لحظة ان نقطع هذه الروابط . ثم ان هناك أطرافاً أخرى لا ذنب لأحد منها . . . هناك أسر وهناك أقارب .

لا أتصور أن أقفل الابواب كلها والنوافذ . وأقطع أسلاك التليفون . وأحجز الاوراق المكتوبة .

ثم هناك أناس يحتاجون الى من يقف معهم في هذه المحنة .

سنوات طويلة من العمل والود ، والاتفاق والاختلاف ، والحلو والمر ـ كنا فيها معاً . كيف يملك أحد ان يسقط من عمره أكثر من عشر سنين من أحلى سنوات العمر ـ هكذا في لحظة .

هي دوامة وقعنا فيها . والمشكلة أنني لا أعرف متى تتوقف عن الدوران ؟ لو أنها توقفت لبعض الوقت لاستطعنا ان نلتقط أنفاسنا . ربما نستطيع ساعتها أن نحلل ونقيِّم ، وقد يكون في مقدرونا بعد ذلك ان نحدد ونفصل » .

كان رفيقي في السيارة يسمعني صامتا ، ولعله أحس ان حديثي كان لنفسي بأكثر مما كان اليه .

□

ولم تكن الدوامة مستعدة للتوقف عن الدوران .

لم تمض أيام حتى جاءني الاستاذ ، « السيد الصادق أبو النجا »[1] المشرف العام على ادارة « أخبار اليوم » يحدثني عن مشكلة خطيرة تهدد اقتصاديات « الدار » ، وتتلخص المشكلة في ان مصلحة الضرائب تطالب أخبار اليوم بمتأخرات قيمتها ٤٠٠ ألف جنيه عن الفترة من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٦٠ (تاريخ قانون تنظيم الصحافة) . وسألت عن تفاصيل الخلاف وملابساته وأحسست ان فيما أسمعه شيئاً لا أستطيع ان أفهمه . واستوضحت الاستاذ أبو النجا عن مزيد من التفاصيل ، وكان رده « أنه سوف يقدم لي في

---

(١) كان في الاصل مديراً عاماً لادارة جريدة « المصري » مع أسرة أبو الفتح ، ثم جاء الى أخبار اليوم ـ بعد اغلاق جريدة المصري ـ مديراً عاما لها . وفي فترة القلاقل التي أعقبت صدور قانون تنظيم الصحافة هوجم باعتباره ممثلا لأصحاب رأس المال وقرر ان يبحث لنفسه عن مكان آخر ، وجاء لمقابلتي ورحبت به مديراً عاما لدار المعارف التي كانت احدى شركات الاهرام في ذلك الوقت . وحينما تحملت مسئولية أخبار اليوم رجوته ـ وقبل مشكوراً أن يتولى الاشراف على ادارة أخبار اليوم ، وكانت خبرته بها كاملة .

الغد مذكرة مكتوبة على أن تظل لعلمي الخاص . وفي اليوم التالي قدم اليّ في ظرف مغلق المذكرة التالي نصها : [٢] .

مؤسسة دار أخبار اليوم
القاهرة في ١٨ نوفمبر ١٩٦٥
السيد رئيس مجلس الادارة
مؤسسة أخبار اليوم

بين مصلحة الضرائب ومؤسسة أخبار اليوم نزاع قديم عن السنوات من ١٩٥٠ الى ٢٣ مايو ١٩٦٠ وهو تاريخ التنظيم .

وتقدر المصلحة الضرائب المطلوبة بنحو ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، بخلاف ضريبة الايراد العام وهي ضريبة شخصية لا تلتزم بها المؤسسة .

ويرجع هذا الخلاف في معظمه الى عنصرين رئيسيين :

أولهما خلافات محاسبية انتجت فروقاً في الارباح المقررة قدرها ١٥٩٤٣٩٦ جنيهاً .

وثانيهما مبالغ واردة باسم صاحبي الدار ومرحلة لرأس المال أو الى العهد والامانات جملتها ٨٣٣٣٠٢ جنيها .

وقد تحددت جلسة يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٥ لكي تصدر لجنة الطعن قرارها في هذه الخلافات بما قد يرتب التزامات على المؤسسة لا قبل لها بمواجهتها . ولذلك أقترح السعي لدى المصلحة قبل هذا التاريخ لتشكيل لجنة مشتركة تضع حلاً لهذا الخلاف يحقق المصلحة العامة .

المشرف العام
(امضاء)

---

(٢) صورة المذكرة منشورة في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٦) .

وقرأت المذكرة وأعدت قراءتها .

ثم دعوت الاستاذ أبو النجا الى مكتبي .

قلت له « انني فهمت البند الاول عن فروق الارباح الى آخره ـ لكنني لم أستطع ان أفهم البند الثاني عن المبالغ الواردة باسم صاحبي الدار والتي تصل الى قرابة مليون جنيه .

من أين جاء هذا المبلغ ؟ وما هي مصادره ؟ »

ورد الاستاذ أبو النجا بأن « ذلك أمر لا يدخل في اختصاصه ، فهذه مبالغ جاء بها أصحاب الدار ـ معظمها في فترة بنائها ـ ودفعوها مضافة الى رأس المال أحيانا أو أمانات معلقة أحياناً أخرى » .

وكررت سؤالي : « من أين ؟ » .

وكان رده : « ان ذلك أمر لم يكن يدخل في اختصاصه ولم يكن له ان يسأل عنه » .

كان رد الاستاذ أبو النجا سليما وان لم يكن كافياً . ولم أشأ ان ألح عليه أكثر . وفي نفس الوقت فان الاسئلة الحائرة التي وجهتها اليه راحت هي تلح عليّ . ودعوت أحد المسئولين القدامى عن حسابات أخبار اليوم ، وكنت أعرفه من أيام عملي السابق فيها .

سألته هل يعرف ان الاستاذ أبو النجا قدم لي مذكرة سرية في موضوع الضرائب المستحقة على أخبار اليوم وظروفها ؟ وتردد قليلا ثم أجاب « نعم » . ثم أضاف « أنه في الواقع اشترك في مراجعة الحسابات التي أدت الى ما عرض عليّ من النتائج » .

قلت « اذن فانني أريد أن أسأله عن موضوع ورد في هذه المذكرة » . ثم أعدت عليه أنني أفهم البند الأول الخاص بالارباح وأعرف كيف نشأ ، ولكني لم أفهم البند الثاني الخاص بالمبالغ الواردة باسم صاحبي الدار والتي تصل قيمتها الى قرابة المليون جنيه .

وسكت الرجل .
وأبديت دهشتي لسكوته . وعاد الى التردد ثم قال :

ـ « الحقيقة أننا لا نعرف على وجه التحديد . هذه كانت مبالغ نقدية يجيء بها أصحاب الدار ويدفعونها لنا لكي نسدد بها التزامات علينا أو نشتري بها بعض ما كنا نريده » .

واستطرد :

ـ « ذات مرة كنا نريد أن نشتري قطعة الارض التي أقمنا عليها جاراج أخبار اليوم . . . هذه الأرض (قالها وهو يشير من النافذة الى قطعة أرض على ناصية في مواجهة أخبار اليوم بني عليها جاراج ثم تحول فيما بعد الى مطبعة) .

واستطرد :

ـ « يومها كان علينا ان ندفع أربعين ألف جنيه نقداً . وجاء أصحاب الدار ومعهم حقيبة جلدية وأخرجوا منها المبلغ نقداً ودفعوه » .

وتساءلت : « أليس هذا غريباً ؟ » .

وكان رده : « ربما . . ولكن هذا ما حدث ولم يكن لنا ان نسأل عنه » .

□

ورحت أفكر في دلالات ما أسمعه . . ماذا يعني تماما ؟ . . والى أين يشير ؟ وعاد الى مخيلتي مشهد طالما رأيته وكثيراً ما أثار تساؤ لي وان لم أتوقف طويلاً أمامه في الايام الخالية حين كنت أعمل في أخبار اليوم .

كنت ألاحظ ان الاستاذين مصطفى وعلي أمين يحتفظان في أحد أدراج مكتبهما بكميات كبيرة من أوراق النقد ، وكثيراً ما كانا يصرفان منها على الفور لأغراض متعددة . وتذكرت أننا في احدى المحاولات لاعادة تنظيم أخبار اليوم على قاعدة مؤسسية لاحظنا ان هناك أعداداً من المعينين والمعينات في الدور

الاعلى دون قرار واف بشروط التعيين . وسألنا أكثر من مرة عن قواعد هذه التعيينات وتكاليفها ، وكان رد الاستاذ مصطفى أمين ان تلك تعيينات خاصة به لا شأن لها بالدار، وأن حساب مصاريفها من جيبه،وان احدى سكرتيراته تتولى هذه العملية [1] . ومع ان الامر بدا وقتها غريباً فان أحداً منا لم يشغل نفسه طويلاً في البحث . من ناحية لأن حق المالك فيما يملك لا ينازع خصوصاً في مثل بلادنا حيث لا تزال الملكية تحتفظ لنفسها بالادارة . بينما بقية العالم تحرك الى وضع فصل فيه الملكية والادارة ـ التي أصبحت علماً وفناً وخبرة ـ قائمة كلها بذاتها بصرف النظر عن الملكية خصوصاً في المشروع الكبير الذي لم يعد يحتمل الخلط بين عالمين . ثم ان كل محاولات الدعوة الى قواعد مؤسسية لدار أخبار اليوم كانت تبدأ نشيطة ثم تتباطأ خطاها . . . ثم تصاب بالشلل . لكن الملاحظة التي لفتت نظري في ذلك الوقت كانت تلك الاموال السائلة في الأدراج . . كيف ؟ ولماذا ؟ ومن أين ؟ والى أي حساب ؟ وتحت أية قواعد ؟

وطرحت ما كنت أفكر فيه فقد كان لديّ ما يأخذني منه .

□

ومضت عدة أيام وتصادف ان كنت في مكتب الرئيس جمال عبد الناصر . وجرى الحديث بيننا في عديد من الشئون . وبدون مقدمات فوجئت بسؤال منه :

ـ « يظهر أنهم في أخبار اليوم قدموا لك تقريراً عن أموال مجهولة المصدر دخلت الى الدار بواسطة مصطفى وعلي أمين ؟ » .

وكان السؤال مباغتاً .

---

(١) اتضح فيما بعد ومن نصوص رسالته ـ الاعتراف ـ الى الرئيس جمال عبد الناصر أنه كان يصرف من جيبه ـ أو درج مكتبه ـ مكافآت لأفراد جهاز جمع المعلومات الخاص ، وهي المعلومات التي كان يضمنها تقاريره لمن كان يكتبها لهم ـ بالاضافة الى المعلومات التي يحصل عليها هو شخصياً ـ كذلك كان الاستاذان مصطفى وعلي أمين شديدي السخاء مع كثيرين ممن تقدموا لكتابة دراسات أو رسائل عن دورهما في الصحافة المصرية .

واستعدت السؤال أعطي نفسي وقتاً للتفكير ، ثم كان ردي : « لم يكن هناك تقرير عن أموال مجهولة المصدر . كان هناك تقرير عن ضرائب متأخرة وكانت فيه أرقام عن فروق حسابات أرباح وعن تحويلات وأمانات » .

وقال الرئيس : « يظهر ان هيئة الأمن القومي علمت بالتقرير وهم يريدون نسخة منه ، وقد رأوا أن لا يستثيروا حساسيتك بطلبها منك مباشرة أو بمحاولة الحصول عليها بوسائل أخرى من هناك » .

ورجوت الرئيس أن ينسى الموضوع ، وكان بين ما قلته له : « هل تتصور ماذا يكون موقفي لو أن تقريراً مقدماً اليّ في أخبار اليوم استعمل في التحقيق مع مصطفى أمين أو في محاكمته » . وأضفت : « لديهم في الاشرطة والملفات والتقارير ما يكفيهم لعرض قضيتهم على المحكمة دون تزيد يدفعهم الى طلب تقرير في مشكلة ضرائبية قدم لي » .

ثم أضفت أخيراً : « ومع ذلك فما هو هذا الذي يريدون محاسبة أصحاب أخبار اليوم عليه الآن ؟ وأليس صحيحاً أن قانون تنظيم الصحافة استرد ما كان لله وما كان لقيصر في نفس اللحظة ؟! وعلى فرض أن الرياح جاءت بشيء ، فان العواصف جاءت وحصدت كل شيء » .

ولم تكن هذه التصرفات لتمضي في أخبار اليوم بدون ردود أفعال متباينة. وكنت أعرف ذلك ولا أقلل من تأثيراته ومخاطره ، فقد كانت الدار ممزقة . ولقد طرحت هذه الحالة صراحة في اجتماع عام عقدته مع رؤساء تحرير صحفها ومجلاتها ومع المسئولين الاداريين فيها ـ وقلت لهم : « ان حالة أخبار اليوم تذكرني بحالة أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . تعاقبت عليها العصور والغزوات وقد ترك كل عصر رواسبه وأخذت كل غزوة مغانمها . تعاقبت على أوروبا ملكيات متهالكة ،ثم اقتحمتها النازية والفاشية ، ثم عبرت عليها من طرف الى طرف جيوش السوفييت والامريكان والانجليز ، وتحت الأرض فيها ظهرت الجماعات السرية المتعاونة مع أطراف بلغ التناقض بينها

مبلغه ـ من الألمان الى الفاتيكان ، ومن الصهيونية الى الشيوعية ـ وقد آن الآوان ان يسود أخبار اليوم نوع من النظام المهني » .

□

والواقع أنه كان في أخبار اليوم في ذلك الوقت تياران ظاهران :

● تيار تمثله خلايا التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي . وكان الاستاذ « خالد محيي الدين » قد أقامه بعد توليه رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم . وكانت معظم عناصر هذا التيار ـ للامانة ـ عناصر وطنية متحمسة لا يشوب موقفها الا تحريض بعض الذين سايروا كل الانقلابات التي حدثت في أخبار اليوم .

● وتيار ثان يمثل المهنيين المحترفين في الدار والذين كانوا يحنون عليها من كل الانقلابات المتعاقبة . لكن هذا التيار أيضا كان يشوبه ظهور قلة من الافراد فيه تصوروا أن الدار لا مستقبل لها بغير أصحابها السابقين ـ وكان معظم هؤلاء ـ في الواقع ـ من أولئك الذين كانوا يتقاضون مكافآت اضافية وسخية من أدراج مكاتب الاستاذين مصطفى أمين وعلي أمين حتى بعد صدور قانون التنظيم [1] .

ورأيت أن الأمور تقتضي بعض الحسم لكي يتضح الاتجاه الذي أريد له أن يسود في الدار .

وهكذا في يوم واحد اتخذت خطوتين .

كانت سكرتيرة الاستاذ مصطفى أمين التي جاءتني مع زوجة الاستاذ علي أمين بطلب مساهمة من أخبار اليوم في نفقات الدفاع عنه قد خرجت من

---

(١) نعرف الآن ان هؤلاء كانوا جهاز جمع الاخبار الذي نظمه الاستاذ مصطفى أمين والذي كان يقدم له « أخباراً للعلم » يقدمها بدوره الى أولئك الذين كان يقدم لهم التقارير .

مكتبي بادعاء أنني استجبت لما طلب مني بغير مناقشة لأن مهمتي الحقيقية في أخبار اليوم هي أن أمهد لاعادتها لاصحابها السابقين . ودعوت الدكتور « قاسم فرحات » ـ المدير العام ـ وطلبت اليه أن يخيرها فوراً بين الاستقالة أو الفصل . وكتبت استقالتها [٢] .

وفي نفس اليوم طلبت المسئول عن مجموعات التنظيم الطليعي في أخبار اليوم ، وكنت أعرف من هو رغم سرية التنظيم ، ورجوته ان يجمد نشاط التنظيم في أخبار اليوم على الفور حتى لا يضطرني الى موقف آخر [٣] .

ومرة أخرى جاءني مظروف مغلق من الرئيس جمال عبد الناصر يحتوي على تقرير تنظيمي قدمه له السيد سامي شرف ، وكان نصه [٤] :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

أفندم

أبلغني السيد شعراوي جمعة ما يلي :

أنه تقابل مع السيد خالد محي الدين الذي أراد معرفة موقف تنظيم أخبار اليوم وهل يستمر في الاتصال بهم أم لا ، علماً بأنه أرسل شخصاً للاستاذ هيكل الذي طلب من خالد عن طريق هذا الوسيط تجميد التنظيم . كما اقترح

---

(٢) أشرت الى هذه الواقعة لأن الذين كتبوا عن تلك الأيام باسم الاستاذ مصطفى أمين وجدوا أن قيامي بفصل سكرتيرته كان عملاً من أعمال الانتقام منه .

(٣) اعتذرت عن الانضمام الى التنظيم الطليعي باستمرار ، ليس عن عدم ايمان بأهمية التنظيم وانما عن اعتقادي بأن أي صحفي ـ أو كاتب ـ لا يستطيع ان يخضع فكره لضوابط تنظيم والا فقد استقلالية رأيه الى أقصى حد ممكن. ولقد سبب لي هذا الموقف مشاكل لا حدود لها مع كل مستويات التنظيم في الاتحاد الاشتراكي وقتها .

(٤) صورة المذكرة وبخط الاستاذ سامي شرف في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٧) .

السيد خالد محيي الدين اعادة علي الشلقاني للعمل في احدى مجموعاته القديمة كما كان .

ويرجو السيد شعراوي التفضل بالتوجيه
أو امر سيادتكم .

سامي
« ٦٥/١١/٧

وشرحت للرئيس جمال عبد الناصر فيما دوافعي « وأن التمزيق الجاري داخل أخبار اليوم لا يمكن له ان يساعد على تحقيق كفاءتها الصحفية ، وانني لم أحسم في اتجاه واحد وانما حسمت في اتجاهين . ومع ذلك فاني آمل الآن ان تستقر الأمور وان تنتهي هذه الفترة الحافلة بأسباب الالتباس وسوء الظنون » .

□

بالفعل كانت هذه الفترة قد قاربت نهايتها .
صدر الحكم في قضية الاستاذ مصطفى أمين بالادانة .

وفرضت تسوية حالته في أخبار اليوم نفسها عندما جاءني خطاب من محاميه الاستاذ محمد عبد الله ، نصه كما يلي [1] :

« السيد الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل
رئيس مجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم
بعد التحية :

أتشرف بأن أبدي أن موكلتي السيدة سميرة محمد أحمد جدة القاصرتين رتيبة أمين ، صفية أمين ـ بنتي الاستاذ مصطفى أمين ـ لم تتسلم منذ اعتقاله

(١) صورة خطاب الاستاذ محمد عبد الله في الملحق الوثائق في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٨) .

نفقات القاصرتين .وقد استحق له مرتب ستة شهور لدى الدار بواقع خمسمائة جنيه شهرياً . وقد وافق الاستاذ مصطفى أمين على صرف هذا المرتب سواء منه المتجمد أو المتجدد الى موكلتي للانفاق على قاصرتيه وشئونهما .

فأرجو التفضل بالأمر بصرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين اعتباراً من مرتب شهر يوليو وما يستجد الى موكلتي .

مع قبول عظيم الاحترام والشكر .

(امضاء) »

وطلبت الى الدكتور « قاسم فرحات » ـ المدير العام لدار أخبار اليوم ـ أن يبحث في تسوية حساب الاستاذ مصطفى أمين ، وطلبت أن تكون التسوية سخية الى آخر مدى تسمح لنا به القوانين . وجاءني المدير العام بمذكرة من المستشار الفني يعرض فيها خيارين ، أولهما لا يقرر للاستاذ مصطفى أمين شيئاً والثاني يعطيه نصف الحق ـ يتوقف الأمر على أي قانون أو قواعد تطبق .

كان نص المذكرة [1] :

« السيد المدير العام

١) رغبتم في الوقوف على رأيي في مدى استحقاق السيد/ مصطفى أمين لمرتبه أو لجزء منه خلال المدة من ٢٣ يوليو ١٩٦٥ (تاريخ اعتقاله) حتى تاريخ صدور الحكم عليه في ٢٠ أغسطس ١٩٦٦ وذلك بناء على طلب السيد رئيس مجلس الادارة .

٢) وهذه المسألة لو التزمنا فيها التفسير القانوني البحت القائل بأن مؤسسة أخبار اليوم كغيرها من المؤسسات الصحفية هي منشأة خاصة تطبق القانون الخاص ، لكان القانون الواجب التطبيق هو قانون العمل . والمادة ٦٧

(١) صورة نص مذكرة المستشار الفني لأخبار اليوم وتأشيرتي بخط يدي عليها في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٩) ، والأصل موجود في ملفات أخبار اليوم .

منه لا تقضي بدفع المرتب أو جزء منه ما دام قد صدر قرار بالايقاف . وقد أبديت رأيي في مسألة الايقاف في المذكرة المؤرخة ١٨ ديسمبر ١٩٦٥ .

٣) ولكن المؤسسة قد جرت عادتها على أن تقيس في مثل هذه الحالات على القواعد التي تطبق في الحكومة وفي القطاع العام ، وهي أن تصرف المرتب أو جزءاً منه تمشياً مع الحكمة التي من أجلها شرعت القاعدة في الحكومة والقطاع العام وهي حماية أسر المقبوض عليهم وتخليصهم من آثار تصرفات لم تصدر عنهم ، وطبقت هذه القواعد على حالة المقبوض عليهم من الاخوان المسلمين بالمؤسسة . وصرفت مرتباتهم بالكامل . كما طبقت على حالة السيد سعد الزناري الموقوف عن العمل لمناسبة سرقة الورق وصرف له نصف المرتب ، كما طبقت على غيره من زملائه ، ولو أن صرف المرتب بالكامل كان لمدة قصيرة .

ونخلص من هذا الى أن ما جرت المؤسسة عليه في حالات مشابهة يمكن من أن يصرف لأسرة السيد مصطفى أمين مبلغ يعادل نصف المرتب خلال مدة الايقاف على الأقل .

(امضاء) »

ورأيت في ظل المناخ السائد وقتها ان أتحدث في الأمر مع الرئيس جمال عبد الناصر . وفعلت . واقتنع . وهكذا كتبت على المذكرة بخطي ما نصه :

« أوافق على أن نطبق على الاستاذ مصطفى أمين ما طبق في الحكومة والقطاع العام بالنسبة للمقبوض عليهم على ذمة التحقيق ، وقد استأذنت في هذا الموضوع رئاسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي فأقرت هذا الرأي . وعليه أقترح تسوية الحساب على هذا النحو وصرف المبلغ المستحق بعد خصم مبلغ الخمسمائة جنيه التي سبق صرفها الى المحامي الذي تولى الدفاع عن الاستاذ مصطفى أمين في انتظار تسوية في هذا الحساب .

(امضاء) »

وقيل لي ان صرف المبلغ يجب ان يكون للحراسة لأنها تنوب عنه في ذمته المالية ، ولم يكن ذلك رأيي فقد كنت أريد ان يصل المبلغ للأسرة بأسرع ما يمكن .

وذهب رئيس حسابات أخبار اليوم الى زوجة الاستاذ مصطفى أمين السابقة يسلمها الشيك بنفسه وباعتبارها المسئولة عن ابنتيهما [1] .

وكان من حقي بعد ذلك ان أتوقع فترة هدوء . . . تسكن فيها الضغوط ويسكت الكلام .

---

(١) صورة وثيقة استلام زوجة الاستاذ مصطفى أمين السابقة لمستحقاته في دار أخبار اليوم في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٠) .

الفصل الثالث
المسرحية تنتقل الى لندن

كان واضحاً ان الستار يوشك ان ينزل على فصل من المسرحية في القاهرة . ولم أكن أقدر ان فصلاً آخر منها على وشك ان يرتفع عنه الستار في لندن .

بعد انتهاء محاكمة الأستاذ مصطفى أمين أمام محكمة أمن الدولة العليا وقبل ان يصدر الحكم عقدنا نحن الثلاثة ـ الأستاذ سعيد فريحة والأستاذ محمد أحمد محجوب وأنا ـ اجتماعاً في مكتبي وجلسنا نناقش : كيف نستطيع مساعدة الأستاذ مصطفى أمين ؟

كان الأستاذ سعيد فريحة قد تعرض لنفس التجربة التي تعرضت لها قبله ، فقد دعي الى مكتب الأستاذ سامي شرف وأتيحت له فرصة ان يرى ويسمع بنفسه ـ من التقارير والأوراق والشرائط ـ ما يكفي ليضعه في الصورة كاملة . وكان ذلك بناء على رأي الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يحب الأستاذ سعيد فريحة ويستريح اليه . وخرج الأستاذ سعيد فريحة في مثل الحالة التي خرجت بها عندما عشت تلك التجربة القاسية في مناسبة سبقت .

وهكذا فاننا عندما اجتمعنا في مكتبي كنا جميعاً ندرك انه ليس في استطاعتنا عمل شيء للأستاذ مصطفى أمين في ورطته الا ان نحاول قدر ما نستطيع تخفيف عواقبها عليه .

وكان رأي الأستاذ محمد أحمد محجوب ان نطلب ثلاثتنا موعداً مع الرئيس جمال عبد الناصر ونتقدم اليه برجاء . ان المحكمة بعد ان تفرغ من مداولاتها سوف ترفع الحكم الى رئيس الجمهورية للتصديق عليه ، وفي يده سلطة التخفيف اذا اقتنع .

وطلبت موعداً من جمال عبد الناصر لثلاثتنا ، وأدرك على الفور ما يمكن ان يكون قصدنا ، وأدهشني انه أجاب على الفور : « تفضلوا في الساعة السابعة من مساء اليوم » .

وذهبنا .

وبدأ الأستاذ سعيد فريحة فتكلم بلغة العاطفة ، ثم تلاه الأستاذ محمد أحمد محجوب فتكلم بلغة السياسة . ثم جاء الدور إليّ وحاولت المزج بين اللغتين !

كل هذا وجمال عبد الناصر يستمع الينا ساكتاً لا يقاطع أحداً منا وكأنما هو يعطينا الفرصة ليقول كل منا ما عنده ثم يرد علينا مرة واحدة .

وعندما جاء دوره ليتكلم لم يرد وانما فجر تحت أقدامنا قنبلة جديدة .

قال جمال عبد الناصر :

ـ « لو كان الموضوع موضوع عواطف لكنت أول من يستجيب . ان القضية تتصل بصميم الأمن المصري ، وهي حتى الآن لم تنته ولا زالت مستمرة » .

ثم توجه نحو الأستاذ سعيد فريحة وقال له :

ـ « سعيد . . . لعلك تعرف أن علي أمين في لندن يعمل في المخابرات البريطانية[1] . ان لديّ من المعلومات والادلة ما يسمح لي أن

(١) قد يكون مفيداً ـ الآن وبأثر رجعي ـ مراجعة وثائق السفارة البريطانية رقم (ج ١٠ ١٠١٨/٧٩) ورقم (١٠١٨/٨٠ أ.د) ، وقد سبقت الاشارة اليهما وهما منشورتان في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب =

أقول لك هذا بضمير مستريح » .

ثم التفت الى الأستاذ محمد أحمد محجوب وقال له :

ـ « ولعلمك يا محجوب علي أمين يعمل أيضاً مع بعض العناصر في السعودية وهو على اتصال منتظم بالشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية وقتها في لندن) ، كما أنه على اتصال مستمر بكمال أدهم (رئيس المخابرات السعودية) » .

ثم جاء دوري فقال لي وفي صوته نبرة لوم لا تخطئها أذن :

ـ « وأنت هل عرفت الآن ما ترتب على قرارك بارسال علي الى لندن ؟ انني لا أحملك مسئولية وانما المسئولية عليّ لأنني وافقتك ، لكني كنت أتصور انك اقتنعت بما رأيت وسمعت » .

وكان الأستاذ محمد أحمد محجوب أسرعنا الى تمالك نفسه ، فقال :

ـ « سيادة الرئيس هل يعقل ان يعمل علي أمين مع المخابرات البريطانية ومع المخابرات السعودية وهو يعلم أن توأمه هنا في القاهرة متورط في قضية مع المخابرات الأمريكية ؟ دواعي الحرص على توأمه كانت كفيلة بأن تجعله يتورع على الأقل في هذه الظروف ! » .

وقاطعه جمال عبد الناصر قائلاً :

ـ « يا أخ محجوب ،هناك مصالح أقوى من كل شيء ، وهناك دول لها أهداف ، وفي سبيل تحقيق أهدافها فانها ليست مستعدة لمراعاة حساسيات الحرص او غيره ! » .

=(وثائق رقم ٩ و ١٠) .

ويلاحظ أيضاً في هذا الصدد مخاوف « بروس أوديل » في أحاديثه مع الأستاذ مصطفى أمين (كما ورد في رسالته ـ الاعتراف) من احتمال ان تسبق المخابرات البريطانية الى الاتصال بالأستاذ علي أمين في لندن .

واستمرت جلستنا مع الرئيس لكنها تحولت من مصطفى أمين الى علي أمين !

□

وانتهت المقابلة بعد ساعة وعشر دقائق ، وخرجنا . . . ذهب الأستاذ محمد أحمد محجوب وحده الى لقاء مع أحد معاوني الرئيس ليتحدث في مسائل خاصة بالتطورات في السودان . وركب الأستاذ سعيد فريحة في سيارتي عائدين من منشية البكري الى الأهرام . وفي الطريق كان سعيد فريحة في حالة هستيرية ، مرات يضرب بكف ، ومرات يلطم خديه ويتساءل بلهجته اللبنانية الحلوة :

ـ « يا لطيف . . . شو نعمل . . . شو نحكي ! » .

والتقينا نحن الثلاثة مرة أخرى ظهر اليوم التالي في مكتبي ، وروى لنا محجوب انه سمع معلومات مفصلة أخرى عن اتصالات الاستاذ علي أمين في لندن بجهات سعودية وانه نقل اليها تفصيلات كثيرة كان يعلمها عن سياسة مصر في حرب اليمن . ثم قال لنا الأستاذ محجوب ان أعمالاً تقتضيه ان يسافر بعد أسبوع الى لندن ، وهو يفكر في « مصارحة الأستاذ علي أمين بما سمعه من الرئيس » . وسألني محجوب عن رأيي ، فقلت له : « انني لا أستطيع أن أعرف اذا كان الرئيس يرى ان يصارح علي بما سمعه منه . وربما لا يكون هناك ضرر في تحذير علي مبكراً من مخاطر ما يبدو من تصرفاته كما تراها القاهرة . ومع ذلك فان الموضوع كله يجب ان يعالج بحذر شديد ، وهو ـ أي محجوب ـ أكثر من يستطيع تقدير الملابسات كلها » .

ومضت فترة أسبوعين او ثلاثة، ثم فوجئت في بريدي صباح أحد الأيام بخطابين من الأستاذ علي أمين كتبهما بخط يده وبعث بهما اليّ من لندن . أحدهما موجه اليّ والآخر موجه الى الرئيس جمال عبد الناصر .

كان نص الخطاب الموجه اليّ كما يلي [1] :

« لندن في ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي هيكل

أحب أن أطمئنك انني لم أتغير . وأنني لا زلت علي أمين الذي تعرفه وتحبه وتحترمه . لم أتحول الى أحمد أبو الفتح [2] ! . ولن أتحول في يوم من الأيام . فانني أريد ان أفخر بأنني أعطيت بلادي كل شيء ، وأنصفتها بعد أن ظلمتني ، ورميت قلبي وسمعتي ومستقبلي تحت قدميها لتمشي عليها !

والذين نسبوا لي أنني اتصلت بالمخابرات البريطانية يضعون أنفسهم مكاني ، ويتصورون تصرفاتهم لو لبسوا حذائي ، ثم ينسبون لي هذه التصرفات ! ويعلم الله أنني لم أتصل بالمخابرات البريطانية ولا بالحكومة البريطانية ولا بأي جهة أجنبية . . . حتى أصدقائي الانجليز حرصت على أن لا أتصل بهم في هذه الظروف . وقد حاول المئات من كبار الصحفيين الاتصال بي ، ولكني رفضت أن أقابلهم جميعاً لأنني أعرف أن أي تحريف في كلامي سيسيء الى بلادي والى أخي . ثم أنه من غير المعقول ان أتنكر لتاريخي الذي أعتز به ، وأقف مع أعداء بلادي ضد عبد الناصر . . . ولو فعلت ذلك لن يحترمني الناس ، ولن أحترم نفسي .

انني أرفق مع هذا خطاباً للرئيس جمال عبد الناصر ، أرجو ان يتسع

---

(١) صورة للخطاب بخط الأستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢١) .

(٢) هذه هي الاشارة الثانية للأستاذ أحمد أبو الفتح في كتابات الاستاذين مصطفى وعلي أمين . وكانت الاشارة الأولى هي قول الاستاذ مصطفى أمين في رسالة الاعتراف التي بعث بها الى الرئيس عبد الناصر ـ أن هناك مؤامرة قام بها آل أبو الفتح مع الملك سعود . وكانت هناك اشارة ثالثة من قبل في أحد تقارير الاستاذ مصطفى أمين الى الرئيس جمال عبد الناصر وتتضمن اعتقاده بأن الاستاذ أحمد أبو الفتح هو صاحب البلاغ الذي أدى الى القبض على الاستاذين مصطفى وعلي أمين في الأيام الأولى للثورة . وكانت بين آل أبو الفتح أصحاب « المصري » وآل أمين أصحاب « أخبار اليوم » منافسة تحولت الى عداوة ، ورغم ذلك فقد بقيت بين الطرفين صلات مستمرة . والعداوات تخلق في بعض الأحيان نوعاً من الروابط لا يقل في تأثيره عما تخلقه الصداقات وان اختلف اتجاه الروابط بين الحالتين .

وقته لقراءته . فانني أخشى ان يذهب مئات غيري ضحية صاحب البلاغ الكاذب . ولهذا أرجو ان يأمر الرئيس بتحقيق هذا الاتهام فوراً .

والآن تستطيع ان تغمض عينيك وتدافع عني ! انني لا زلت علي أمين الذي سيستمر يدافع عن بلاده وعن جمال عبد الناصر حتى آخر قطرة من دمه .

وأحب أن أؤكد لك أنني لا أحقد على صاحب البلاغ الكاذب . لا بد انه جائع ، ولهذا يريد ان ينهش لحمي . وليسامحه الله ! .

وختاماً أبعث لك بقبلاتي وأشواقي ، وأدعو الله ان يرعاك ويحفظك ويحميك من آكلي لحوم البشر ! [1] .

المخلص

علي أمين »

ثم كان خطاب الأستاذ علي أمين الى الرئيس جمال عبد الناصر على النحو التالي : [2]

« لندن في ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي الرئيس جمال عبد الناصر

لقد ظلمتني ! فقد علمت اليوم ان سيادتكم قلتم لأحد رؤساء الوزارات العرب « أن علي أمين يعمل الآن مع المخابرات البريطانية » . كما قال أحد المتصلين بسيادتكم « ان هناك معلومات سابقة كان يعرفها علي أمين ، وقد وصلت الى المخابرات البريطانية . كما انه يكتب في بعض الصحف الانجليزية بدون توقيع » .

---

(١) عدت الى قراءة هذه العبارة أكثر من مرة في ظروف الحملات المكثفة التي شنتها عليّ صحف دار أخبار اليوم منذ سنة ١٩٧٤ الى سنة ١٩٨٤ ، وفي كل مرة كنت أقرؤها وأتعجب لتصاريف القدر ! .

(٢) صورة للخطاب بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٢) .

وأنا أعرفك أكثر من غيري . ولهذا أومن بأنك ظلمتني عن غير قصد . وانك عندما تعرف الحقيقة ستسارع الى انصافي . . . فانني جزء من البلاد التي تحبها ، ويهمك ان تطمئن على أن كل جزء فيها نظيف شريف .

ولذلك يهمني ان أؤكد لك ان كل هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة لا من قريب ولا من بعيد . فانني لم أتصل بالمخابرات البريطانية . ولا بالحكومة البريطانية ، ولا بأي جهة أجنبية لا من بعيد ولا من مباشرة ولا بالوساطة .

كما انني رغم الدعوات الكثيرة التي تلقيتها لم أتصل بأي وزير أو سياسي انجليزي مع استثناء المستر مولدنج الزعيم المحافظ ووزير المالية السابق ، فقد التقيت به في احدى حفلات العشاء ، وكان حديثنا يدور حول المعركة الانتخابية . كما التقيت في حفلة الكوكتيل التي أقامها الشيخ حافظ وهبة بمناسبة مغادرة منصبه بأحد موظفي الخارجية البريطانية ، وحدثني عن الاتصالات التي تجري في الخرطوم مع الملك فيصل بشأن اليمن ، وقد حرصت ان أبلغ القنصل المصري فوزي محبوب بهذا الحديث [1] .

المخلص
علي أمين »

وفي أول مقابلة مع جمال عبد الناصر حملت اليه خطاب الاستاذ علي أمين الموجه اليه ، ثم أطلعته أيضاً على خطابه الموجه لي .

وألقى جمال عبد الناصر نظرة على الخطابين ثم أعادهما ـ كليهما ـ اليّ وسكت لحظة بينما بصري معلق به انتظاراً وترقباً .

بعد قليل سألني :

---

(١) لم يذكر الاستاذ علي أمين في خطابه السبب الذي يدعوه للتواجد في حفلة يقيمها السفير السعودي ، والأغرب ان يذكر انه حرص على ابلاغ القنصل المصري بتفاصيل ما سمع !! .

ـ « هل تستطيع ان تقول لي كيف يعيش علي أمين في لندن ؟ . . . انكم في الأهرام توقفتم عن التحويل له وهو يعيش في فندق من فنادق الدرجة الأولى في لندن يحتل فيه جناحاً كاملاً من أربع غرف . ان هيئة الأمن القومي هنا جاءت بفاتورة للفندق عن شهر واحد من الاقامة وكانت قيمتها حوالي ثلاثة آلاف جنيه استرليني في الشهر . . . من أين ؟! » .

وقلت : « انني أعرف ان الاستاذ علي أمين ينزل في فندق « ماي فير » وهو بالفعل من أغلى فنادق لندن ، ولكن ربما ان أحداً من أصدقاء الاستاذين مصطفى وعلي أمين يستضيفه هناك » .

ورد جمال عبد الناصر :

ـ « ان الذي يدفع فاتورة فندق بثلاثة آلاف جنيه في الشهر لا بد ان يصرف مثلها على الأقل في غير ذلك من احتياجات حياته . فمن يستطيع ان يستضيف شخصاً آخر على هذا النحو ولقرابة سنة حتى الآن . . . ثم الى متى ؟! » .

ثم وضع جمال عبد الناصر حداً للحديث في هذا الموضوع وقال :

ـ « لننتقل الى موضوع آخر » .

□

ومرت شهور .

وكانت الأمور في مجراها العادي ، ولا أقول الطبيعي .

كنت أرى بانتظام أسرة الأستاذين مصطفى أمين وعلي أمين . فقد كان لا بد للعلاقات الانسانية ان ترتفع على كل ما عداها او هكذا تصورت .

وكانت شحنات الأدوية والفاكهة والدجاج المحفوظ تصل من بيروت ثم تجد طريقها مباشرة او عن طريق مكتبي الى الاستاذ مصطفى أمين في سجنه .

وفي شهر مارس سنة ١٩٦٧ ألحت عليّ زوجة الأستاذ علي أمين في أن

أساعدها لتلحق به في لندن هي وابنتها وابنته الأولى من زواجه الأول .

وحاولت ، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر لنفس الاعتبارات الانسانية ، ولكن بعض جهات الأمن وجدت من حقها ان تراجع موافقته .

كنت قد أبلغت السيد سامي شرف ـ شفوياً ـ بموافقة الرئيس على السفر لكي يتولى اخطار الجهات المختصة بها للتنفيذ ، ولكن الاستاذ سامي شرف وجد من الضروري اعادة العرض ، وغيّر الرئيس رأيه وأبلغت بالتغيير .

جاءتني الورقة التقليدية بخط الأستاذ سامي شرف معروضة على الرئيس بالنص التالي [1] :

« أفندم

طلب الأستاذ هيكل السماح لخيرية خيري بالسفر الى لندن هي وابنتها .

. . . . . .

. . . . . .

أوامر سيادتكم

١/٤/٦٧ »

ثم ملاحظة في أسفل المذكرة برأي جهات الأمن ـ كما يبدو لي ـ كتب فيها السيد سامي شرف بخطه :

« ملحوظة :

خيرية خيري أصبح عدائها للنظام سافر وهي عنصر . . . (كلمات لا أرى مناسباً ان أنشرها) واذا سمحتم لي سيادتكم ان أبدي رأيي فاني أفضل بقاءها في القاهرة . . . » .

---

(١) صورة المذكرة بخط السيد سامي شرف في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٣) . والنقط التي وضعتها في نصها تمثل عبارات رأيت ان أغطي عليها في الوثيقة الأصلية حرصاً على معان كثيرة .

وكانت هنالك تأشيرة بخط غير خط الرئيس وبالحبر الأحمر . ويبدو أن كاتبها هو السيد سامي شرف بعد أن قبل الرئيس وجهة النظر الأخرى ، وكان نص التأشيرة : « لا داعي » .

ولم أقنع وأسكت ، فلقد انتهزت فرصة تالية كنت فيها مع الرئيس وأعدت فتح الموضوع . . . قلت له :

ـ « ان ابنة علي أمين تحتاج الى عملية جراحية في عينها من نفس نوع العملية الجراحية التي أجريت لابني . ان علي امين كان في المستشفى بدلاً مني حين أجريت العملية لابني ، وأشعر من أعماق قلبي انني يجب ان أساعد ابنته لتحصل على نفس الفرصة وان يتاح لها مبكراً تدارك تعقيدات قد تؤثر في مستقبل حياتها » .

وكان جمال عبد الناصر ضعيفاً أمام مشاعر الأبوة والبنوة ، وغيّر رأيه للمرة الثانية فوافق على طلب السفر من جديد ، وأضفت الى الطلب رجاءاً بأن تسافر ابنتا الاستاذ مصطفى أمين الى لندن لعمهما لأن ظروفهما في مصر مرهقة . ثم ان الابنة الكبرى تفكر ان تلتحق بمدرسة هناك لأنها تعاني من جو المدرسة هنا بعد كل ما نشر عن والدها .

ووافق جمال عبد الناصر . . . تغلب الانسان والأب فيه على رئيس الدولة .

وسافرت الأسرتان الى لندن : زوجة الأستاذ علي أمين وابنتاه . ثم ابنتا الأستاذ مصطفى أمين .

□

وجرت مياه كثيرة تحت الجسور بقية سنة ١٩٦٧ ، وجرت وقائع وسقطت مراكز وتغيرت صور .

وذات يوم من شهر أبريل سنة ١٩٦٨ كنت مع جمال عبد الناصر في بيته .

وقتها كان جمال عبد الناصر يخوض معركتين في نفس الوقت : حرب الاستنزاف ضد اسرائيل . ومعركة في الداخل لتصفية بعض مراكز القوى التي ظهرت واستفحل خطرها . وكان بين الذين قدموا للمحاكمة وقتها السيد « صلاح نصر » رئيس المخابرات العامة .

وتطرق الحديث بين جمال عبد الناصر وبيني بالطبع الى التطورات المتلاحقة على كل الجبهات ، وعلى غير تحسب مني أو انتظار قال جمال عبد الناصر :

ـ« يظهر ان صديقك مصطفى أمين يعتقد أن محاكمة صلاح نصر فرصة مواتية له .

يقول في السجن ان صلاح نصر أوقع به لأنه كان يحس بالغيرة منه . عندما قلت لمصطفى مرة أن تقاريره التي يكتبها لي تؤهله لمنصب مدير مخابرات أخذها جداً . كان يكتب تقارير لصلاح نصر أيضاً لكنه الآن يقول ان صلاح نصر لم يغفر له ابدا منافسته له في الحصول على المعلومات وكتابتها في التقارير .

مصطفى أيضاً يدّعي الآن ان صلاح نصر عذبه . . . لقد سمع ان بعض حالات التعذيب وقعت وأننا نحقق فيها وقرر ادخال نفسه في العملية على أمل ان يجد مكاناً في الزحام !

هو أيضاً يتهم الاسرائيليين بأنهم وراء قضيته » .

ثم أضاف جمال عبد الناصر :

ـ « غريبة هذه القدرة لدى بعض الناس على أن يكذبوا حتى على أنفسهم » .

وبدت عليّ علامات عجب لما أسمعه ، وقال لي الرئيس :

ـ « عندما تخرج من هنا خذ من سامي شرف صورة خطاب بعث به مصطفى أمين من السجن الى قريبة له تزوره بانتظام هناك . ان مصطفى لم

يكتب الخطاب الى قريبته وانما كتب الخطاب لنا ، فهو طبقاً للوائح السجون سوف يسلم أي خطاب يكتبه مفتوحاً الى مأمور السجن ، ومأمور السجن سوف يبعثه بالطريق الرسمي وعبر جهات كثيرة ـ حتى يصل الى المرسل اليه .

خذ الخطاب واطلع عليه . . . سوف تجده شيئاً فريداً في بابه » .

ومررت على مكتب السيد سامي شرف وأخذت نسخة من الخطاب ، وكان نصه كما يلي [1] :

« السيد قائد العنبر
أرجو الموافقة على ارسال هذا الخطاب الى أسرتي .
٤ مارس سنة ١٩٦٨ .

يا حبيبتي
حدثت اليوم مفاجأة لم تخطر على بالي ، ويظهر اننا الآن في موسم المفاجآت ، فقد حدث ظهر اليوم ان قيل لي ان النيابة تنتظرني في غرفة المدير .

وتصورت ان النيابة جاءت تحقق في بلاغي للنائب العام عن التعذيب . ودهشت ان جميع المسجونين السياسيين استدعوا الى دار القضاء العالي لسماع أقوالهم . بينما يحقق معي في بلاغ التعذيب في داخل الليمان .

وعندما ذهبت الى غرفة المدير ، طلب اليّ ان انتظر في غرفة مجاورة ، ثم جاء الاستاذ أمين عليوة رئيس النيابة الملحق بمكتب النائب العام .

وظهر ان التحقيق بخصوص الأقوال الخطيرة التي قالها لوتز الجاسوس الاسرائيلي في السجن عن تسرب المخابرات الاسرائيلية داخل مخابرات صلاح نصر ، وكيف ان المخابرات الاسرائيلية أمرت لوتز ان يقلب عليّ صلاح نصر ! وكيف نجح في مهمته وقبض عليّ ، وجاءته رسالة من المخابرات الاسرائيلية بعد الحكم عليّ تقول له « برافو » .

---

(١) صورة لهذا الخطاب بخط الأستاذ مصطفى أمين في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٢٤) .

وذكرت أسماء جميع المسجونين الذين سمعوا أقوال لوتز .

وقال لي رئيس النيابة ان النائب العام كلفه بالانتقال ليحقق في أقوال لوتز ، ولكنه مستعد ان يسمع أقوالي في التعذيب ، وان بلاغ التعذيب لم يصل بعد الى النائب العام وقد مر أسبوع على ارساله . فقلت له انني أريد أن أقتصر الآن على ابداء أقوالي في تصريحات لوتز ، وان أنتظر نتيجة بلاغي لأتحدث في التعذيب بالتفصيل .

واستدعى رئيس النيابة الشهود جميعاً . وفصلوني عن الشهود ، وأجلسوني في غرفة أركان حرب . وأدلى الشهود بشهادتهم وأكدوا ما قلته .

وقال رئيس النيابة لبعض الشهود ان هذا التحقيق في رأيه أهم من قضية انحراف المخابرات وأهم من قضايا التعذيب . وفي رأيي أن هذا التحقيق يكمل صورة مخابرات صلاح نصر ، ويظهر مقدار الجريمة التي ارتكبتها في حق هذا الوطن .

وسألني رئيس النيابة اذا كانت المعاملة في السجن قد تحسنت كثيراً عما كانت ، ودهش كثيراً عندما قلت له انه لم يحدث أي تغيير .

ولقد علمت أنهم سيسمحون بدخول طعام لي في أول يوم من أيام العيد (السبت) او ثاني يوم من أيام العيد (الأحد) .

وطلبت من هاني ان يسمح لي بأن أراك دقيقة في هذا اليوم . فقال انه سيستأذن المدير في ذلك .

انني أكتب لك بسرعة هذا الخطاب حتى أجعلك في الصورة دائماً لتعرفي أخباري أولاً بأول .

ولك ألف ألف قبلة والى اللقاء . انني أعتقد ان محضر التحقيق الذي تم اليوم هو محضر تاريخي ، وكم أتمنى أن أحصل في يوم من الأيام على نص هذا المحضر ، ولست أعرف اذا كان المسئولون سيرون من المصلحة أن تعرف الآن هذه الحقائق الخطيرة .

ولم ينتابني شعور بالتمني ان أكون مطلق السراح ، خلال هذه المدة الطويلة سوى مرتين ، المرة الأولى عندما وقع العدوان في ٥ يونيو ، فقد شعرت عندما حدثت الهزيمة بالتمني لو انني كنت مطلق السراح ، لاستطعت أن أخدم بلادي ، كما خدمتها في عدوان سنة ١٩٥٦ .

والمرة الثانية هي هذه المرة بعد التحقيق ، فلقد تمنيت أن أكون مطلق السراح لأستطيع ان أكشف الستار ، وأحصل على الوثائق الخاصة بالجريمة التي ارتكبها لوتز ضد بلادنا ، وكيف استغل غفلة صلاح نصر وغروره وجهله لكي يدس على بلادي ما تريد المخابرات الاسرائيلية أن تدسه على المسئولين .

انني كنت أقول لنفسي ، لو كنت مطلق السراح ، لاستطعت أن أتعقب لوتز في جميع أنحاء العالم ، ولاستطعت ان أحصل منه على اعتراف بخط يده ، ولاستطعت أن أعرف كيف استطاع لوتز أن يفعل كل هذا الذي فعله ببلادي وبي[١] . انني أعرف انها مهمة شاقة ، ولكني أضعها أمانة في عنق كل تلاميذي ، وفي عنق كل أصدقائي ، وفي عنق صحافة العالم . فقد كنت أحد كبار الصحفيين العالميين ، وواجب صحافة العالم ان تكشف الجريمة التي ارتكبها هذا الجاسوس الاسرائيلي من أجل أن يضع واحداً من كبار الصحفيين في الشرق الأوسط ، بشهادة صحف العالم كلها ، في الليمان[٢] !

ان هذا يدل ولا شك على عبقرية لوتز الذي قرأت في الديلي تلغراف[٣] انه يعتبر Master Spy .

---

(١) منذ أفرج عن الأستاذ مصطفى أمين في شهر يناير ١٩٧٤ لم يكتب مقالاً واحداً عن الجاسوس الاسرائيلي « لوتز » ولم يطارده الى بقعة في الأرض ليكشف سره .

(٢) الملاحظ ان صحافة العالم كلها تقريباً لم تكتب شيئاً عن القضية ولم تتناولها واحدة منها كقضية صحافة او كقضية حريات .

(٣) يقول الاستاذ مصطفى أمين هنا انه يقرأ « الديلي تلغراف » في السجن ، وهذا يتنافى مع الصورة التي رسمها ـ فيما بعد ـ لأحواله في تلك الفترة ، والحقيقة اننا كنا رتبنا لجميع ما طلبه من جرائد ومجلات مصر ولبنان وانجلترا ان تصله بانتظام ـ ولم يكن هذا الخطاب خطاباً سرياً هربه من السجن وانما كان خطاباً سلمه بالطريق الرسمي الى قائد العنبر !

ولكن هذا يدل أيضاً على مبلغ سذاجة وجهل صلاح نصر !

انه من أجل ان يغطي فضائحه الشخصية ، خشية ان تصل الى المسئولين ، لفق عليّ هذه التهمة ، وعذبني ، وامتهن انسانيتي ، ولوث وطنيتي . .

ان الله شاء ان يجعلني أعيش حتى أرى هذا اليوم ، انه جعلني أعيش حتى أشهد الحقائق تظهر واحدة بعد أخرى .

ان الله معنا .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

والى اللقاء .

(امضاء) »

وكان تعليقي على قراءة الخطاب هو انه انعكاس لحالة اضطراب نفسي . . . رجل يحاول ان يهرب من الماضي ومن الواقع ، وذلك يجب ان يفهم انسانياً قبل أي اعتبار آخر ! .